موسوعة أهل البيت عليهم السلام

سيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين

جمع وإعداد
السيد علي عاشور

الجزء الحادي عشر

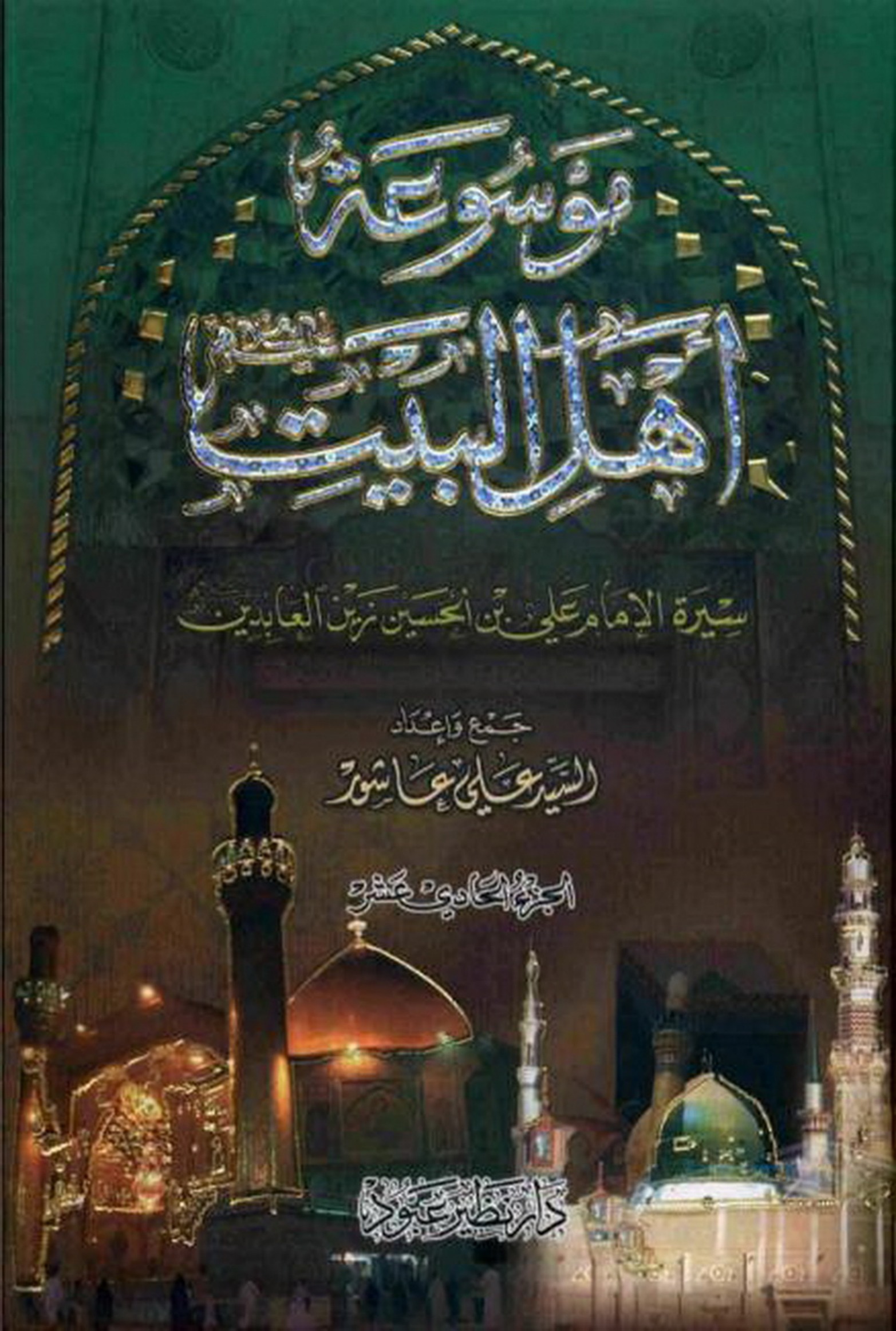

دار نظير عبود

بسم الله الرحمن الرحيم

هو سيد الساجدين[١]

هو سيّد الساجدين وزين العابدين وقدوة السالكين والزاهدين، إمام الثقلين ذو الثّفنات أبو الحسن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما، خلّف كتاباً جذب عقول الحكماء المتألهين إلى دقائق حقائقه، وشحذ أفكار العلماء الشامخين في درك أسرار لطائفه، فغاصوا في بحار معانيه لاقتناء دُرره، وشمّروا عن ساق الهمة لاجتناء ثمره، فنالتهم العائدة من تلك المائدة الإلهية بقدر الوسع والقابليّة، ألا وهو زبور آل محمّد وإنجيل أهل البيت الصحيفة الكاملة السجاديّة. أرأيت هل تيسّر لأحد من العلماء المتبحّرين في الفنون العديدة أن يحذو حذوه في أداء تلك المعاني الجزيلة، بتلك العبارات الوجيزة الجميلة وهل تجد لأسلافنا الماضين، من غير بيت الآل من نسج المعاني بالألفاظ على ذلك المنوال؟ ولعمري وما عمري عليّ بهيّن لو أعيد عبد الحميد وعوضد بابن العميد على أن يأتي بمثل دعاء منها، لرأيت أنه لا يلوم إلّا نفسه ولا يروم إلّا رمسه.

ولله درّ الحكيم البارع والعالم الجامع المتضلّع في الفنون العلمية، صاحب الكتب القيمة صدر الدين المدني عليّ بن أحمد نظام الدين الحسيني الحسني، حيث قال في مقدمة شرحه على صحيفة سيّد الساجدين الموسوم برياض السالكين: واعلم أنّ هذه الصحيفة الشريفة عليها مسحة من العلم الإلهي، وفيها عبقة من الكلام النبوي، كيف لا وهي قبس من نور مشكاة الرسالة، ونفحة من شميم رياض الإمامة حتّى قال بعض العارفين: إنّها تجري مجرى التنزيلات السماوية وتسير مسير الصحف اللوحيّة والعرشيّة لما اشتملت عليه من أنوار حقائق المعرفة، وثمار حدائق الحكمة، وكان أخيار العلماء وجهابذ القدماء من السلف الصالح يلقّبونها بزبور آل محمّد وإنجيل أهل البيت قال الشيخ محمّد بن علي بن شهر آشوب في معالم العلماء، في ترجمة المتوكل بن عمير: روى عن يحيى بن زيد بن عليّ دعاء الصحيفة وتلقب بزبور آل محمّد.

ثمّ قال: وأمّا بلاغة بيانها فعندها تسجد سحرة الكلام، وتذعن بالعجز عنها مدارة الأعلام وتعترف بأنّ النّبوة غير الكهانة، ولا يستوي الحقّ والباطل في المكانة، ومن حام حول سمائها

---

(١) انظر أخباره عليه السلام في المعارف: ٢١٣ ووفيات الاعيان ٣/ ٢٦٦ رقم ٤٢٢، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٣٧ وتهذيب التهذيب ٤/ ١٩٢ وطبقات ابن سعد ٥/ ٢١١ وحلية الأولياء ٣/ ١٣٣ والجرح والتعديل ٦/ ١٧٦ والتاريخ الكبير ٦/ ٢٦٦ وتذكرة الحفاظ ١/ ٧٠ وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦ وتاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ ص ٤٣١).

بغاسق فكره الواقب، رمي من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب. حكى ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: أنّ بعض البلغاء بالبصرة ذكرت عنده الصحيفة الكاملة فقال: خذوا عنّي حتّى أملي عليكم مثلها، فأخذ القلم وأطرق رأسه فما رفع حتّى مات، ولعمري لقد رام شططاً فنال سخطاً. انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

وقال بعض العلماء في مقدمته على صحيفة سيّد الساجدين: وإنّي في سنة ١٣٥٣ هـ بعثت نسخة من الصحيفة الشريفة إلى العلامة المعاصر الشيخ جوهري طنطاوي صاحب التفسير المعروف، مفتي الاسكندريّة ليطالعها فكتب إليّ من القاهرة وصول الصحيفة وشكر لي على هذه الهدية السنيّة، وأطرى في مدحها والثناء عليها ـ إلى أن قال: ومن الشقاء أنّا إلى الآن لم نقف على هذا الأثر القيّم الخالد من مواريث النبوّة، وأهل البيت، وإنّي كلّما تأملتها رأيتها فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق ـ إلى آخر ما قال.

ثمّ سألني هل شرحها أحد من علماء الإسلام فكتبت إليه أسماء من شرحه، ممن كنت أعلم به وقدّ مت لسماحته رياض السالكين للسيّد علي خان، وكتب في جواب وصوله إنّي مصمّم ومشمّر الذيل على أن أكتب شرحاً على هذه الصحيفة العزيزة. انتهى[١].

كلام محيي الدين الأعرابي أو المغربي فيه قال في المناقب: صلوات الله وملائكته وحملة عرشه وجميع خلقه من أرضه وسمائه على آدم أهل البيت، المنزّه عن كيت وما كيت، روح جسد الإمامة، شمس الشهامة، مضمون كتاب الإبداع، حلّ تعمية الإختراع سرّ الله في الوجود، إنسان عين الشهود، خازن كنوز الغيب، مطل نور الإيمان، كاشف مستور العرفان، الحجة القاطعة، والدرة اللامعة، ثمرة شجرة طوبى القدسيّة، أزل الغيب وأبد الشهادة، السرّ الكلّ في سرّ العبادة، وتد الأوتاد وزين العبّاد، إمام العالمين، ومجمع البحرين، زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام.

وقال محمد بن طلحة الشافعي: هذا زين العابدين وقدوة الزاهدين، وسيّد المتقين وإمام المؤمنين، سمته يشهد له أنّه من سلالة رسول الله، وسمته يثبت مقام قربة من الله زلفى، وثفناته يسجل بكثرة صلاته وتهجده.

وإعراضه عن متاع الدّنيا ينطق بزهده، درّت له أخلاق التقوى فيعوقها، وأشرقت لربه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألقته أوراد العبادة فأنس بصحبتها، وخالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتخذ الليل مطيّة ركبها لقطع طريق الآخرة، وظماء هواء حرّ دليلاً استرشد به في مفازة المسافرة، وله من الكرامات وخوارق العادات ما شوهد بالأعين الباصرة، وثبت بالآثار المتواترة، وشهد له أنّه من ملوك الآخرة[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢١٠.

(٢) كشف الغمة: ٢/ ٢٨٥، ووفيات الأمة: ١٥٢.

وقال أحمد بن خلّكان في وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان في ترجمته: أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب المعروف بزين العابدين ويقال له: عليّ الأصغر وليس للحسين عقب إلّا من ولد زين العابدين، هذا وهو أحد الأئمة الإثني عشر ومن سادات التابعين، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه، وكان يقال لزين العابدين ابن الخيرتين لقوله: لله تعالى من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس[١].

نقل عنه الحفاظ والمحدّثون واستفاد من علمه العلماء الربانيون.

وذكر ابن عساكر أنه روى عن أبيه، وعمّه، وعَبْد الله بن عباس، وجابر بن عَبْد الله، والمِسْوَر بن مَخْرَمة، ومروان بن الحكم، وأم سَلَمة وصفية بنت حيي زوجتي النبي صلى الله عليه وآله، وسعيد بن المُسَيّب، وسعيد بن مَرْجانة، وعمرو بن عثمان بن عفّان[٢].

وروى عنه: الزهري، وزيد بن أسلم، ويَحْيَى بن سعيد الأنصاري، وحكيم بن جُبَير، وعَبْد الله بن مسلم بن هُرْمُز، وابنه أبُو جعفر محمّد بن علي.

وقدم دمشق بعد قتل أبيه الحُسَين بن عَلي، ومسجده المنسوب إليه فيها معروف[٣].

ذكر أُمه عليها السلام

أمّ ولد إسمها غزالة[٤].

وقيل: بل كان إسمها شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى.[٥]

وقيل اسم أُمه شهربانويه.

وقد قال بعض أصحاب السير: إسمها بانو، وقال بعضهم: شهربانو، وقال بعضهم: سلامة، وقال بعضهم: غزالة.

وقيل: روي في كشف الغمة عن ابن خشاب أنّ اسمها كان خويلة[٦].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٤، ومناقب أهل البيت للشيرواني: ٢٥٦.
(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٦٠.
(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٦٠.
(٤) الطبقات الكبرى ٥/ ٢١١، المعارف: ١٢٥، ترجمة الإمام علي بن الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: ١٣/ ٩، صفة الصفوة ٢/ ٩٣.
(٥) الإرشاد ٢: ١٣٧، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٨٩، أعلام الورى ١/ ٤٨٠.
(٦) شرح أصول الكافي: ٧/ ٢٣٦.

وقيل: غير ذلك[١].

وعن خليفة بن خياط قال: عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب، أمه فتاة يقال لها سَلّامة، يُكنى أبا محمد.

وعن الزبير بن بكار، قال: وولد الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب: علياً الأكبر، قُتل مع أبيه بالطف، وأمه ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود، وعَلي الأصغر بن الحُسَين لأم ولد.

وعن محمّد بن سعد قال في الطبقة الثانية: عَلي بن حسين بن عَلي بن أبي طالب بن عَبْد المُطّلب بن هاشم، وأمّه أُم ولد، إسمها غزالة، خلف عليها بعد حسين زُبَيْد مولى الحُسَين بن عَلي، فولدت له عَبْد الله بن زُبَيْد ولعَلي بن حسين هذا العقب من ولد حسين، وهو عَلي الأصغر بن الحُسَين، وأمّا عَلي الأكبر فقتل مع أبيه بكربلاء[٢].

وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار أنّ الصحابة لمّا أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب، كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد أيضاً فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد.

فقال له عليّ بن أبي طالب: أنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة كغيرهنّ من بنات السوقة، فقال: كيف الطريق إلى العمل معهن؟

قال: يقوّمن ومهما بلغ من ثمنهنّ قام به من يختارهنّ، فقوّمن فأخذهنّ عليّ بن أبي طالب، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، والأخرى لولده الحسين، والأخرى لمحمّد بن أبي بكر، فأولد عبد الله أمته ولده سالماً، وأولد الحسين أمته زين العابدين، وأولد محمّد أمته القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة وأُمهاتهم بنات يزدجرد.

ثمّ قال: وحكى المبرّد في كتاب الكامل ما مثاله، يروى عن رجل من قريش لم يسمّ لنا قال: كنت أجالس سعيد بن المسيّب فقال لي يوماً: من أخوالك؟

فقلت: أمي فتاغة، فكأنّي نقصت في عينه، فأمهلت حتّى دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فلمّا خرج من عنده قلت: يا عم من هذا؟

فقال: يا سبحان الله العظيم أتجهل مثل هذا، هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر.

قلت: فمن أمّه؟

فقال: فتاة.

---

(١) تاريخ ابن الخشاب: ١٧٩، ربيع الأبرار ١/ ٤٠٢، ترجمة الإمام علي بن الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق: ١٨/١٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١١.

قال: ثمّ أتاه القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصّديق، فجلس عنده ثمّ نهض، قلت: يا عمّ من هذا؟

قال: أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا، هذا القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

قلت: فمن أمّه.

قال: فتاة.

فأمهلت شيئاً حتّى جاءه عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسلّم عليه ثمّ نهض قلت: يا عمّ من هذا؟

فقال: هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله، هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

فقلت: من أمّه؟

فقال: فتاة.

فقلت: يا عم رأيتني نقصت من عينك حين قلت لك: أمّي فتاة أفما لي بهؤلاء أسوة، قال: فجلّلت في عينه جدّاً[1].

وفي كتاب كشف اليقين: ولد عليه السلام بالمدينة في الخميس الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة قبل وفاة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام بسنتين وأمّه أمّ ولد إسمها غزالة وقيل شاه زنان بنت يزدجرد وكان عمره سبع وخمسين سنة[2].

وفي رواية إنّه ولد سنة سبع وثلاثين وقبض وهو ابن سبع وخمسين سنة أربع وتسعين وكان بقاؤه بعد أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة[3].

وفي كتاب عيون الأخبار مسنداً إلى سهل بن القاسم النوشجاني قال: قال لي الرضا عليه السلام بخراسان: إنّ بيننا وبينكم نسباً.

قلت: وما هو؟ قال: إنّ عامر بن عبد الله بن كريز لمّا افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجرد ملك الأعاجم فبعث بهما إلى عثمان بن عفّان فوهب إحداهما للحسن والأخرى للحسين عليهما السلام، فماتتا عندهما نفساوين، كانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعليّ بن الحسين فكفل علياً بعض أمّهات ولد أبيه فَنَشأ وهو لا يعرف أمّاً غيرها، ثمّ علم إنّها مولاته وكان الناس يسمّونها أمّه وزعموا أنّه زوّج أمّه ومعاذ الله إنّما زوج هذه على ما ذكرناه، وكان سبب ذلك إنّه واقع بعض نسائه ثمّ خرج يغتسل فلقيته أمّه هذه فقال لها: إن كان في نفسك من هذا الأمر شيء فاتّق الله وأعلميني.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/١٥١ ح ١٠، والأنوار البهية: ١٢٧.

(٢) ولائل الإمامة: ١٩١، والبحار: ٩٥/١٩٢.

(٣) تاريخ مواليد الأئمة: ٢٣، والبحار: ٤٦/٨ ح ١٨.

فقالت: نعم، فزوّجها، فقال ناس: زوّج عليّ بن الحسين أُمّه[١].

قال سهل بن القاسم: ما بقي طالبي عندنا إلّا كتب هذا الحديث عن الرضا عليه السلام[٢]

وفي كتاب الخرائج روي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا قدمت ابنة يزدجرد المدينة على عمر أمر أن ينادى عليها فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لايجوز بيع بنات الملوك وإن كنّ كافرات ولكن أعرض عليها أن تختار رجلاً من المسلمين فوضعت يدها على منكب الحسين عليه السلام فقال: «چه نام دارى آى كينزك» يعني ما اسمك يا صبيّة؟

قالت: جهانشاه.

فقال: بل شهربانويه، قالت: تلك أُختي، قال: راست گفتى، أي صدقت، ثمّ التفت إلى الحسين عليه السلام وقال: احتفظ بها وأحسن إليها فستلد لك خير أهل الأرض في زمانه بعدك فولدت عليّ ابن الحسين[٣].

ويروى أنّها ماتت في نفاسها به وإنّما اختارت الحسين عليه السلام لأنّها رأت فاطمة وأسلمت قبل أن يأخذها عسكر المسلمين ولها قصّة وهي أنّها قالت: رأيت في المنام قبل ورود عسكر المسلمين كأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله دخل دارنا وقعد مع الحسين وخطبني له وزوّجني منه فلمّا أصبحت كان ذلك يؤثّر في قلبي وما كان لي خاطر غير هذا فلمّا كان في الليلة الثانية رأيت فاطمة بنت محمّد قد أتتني وعرضت عليّ الإسلام فأسلمت ثمّ قالت: إنّ الغلبة تكون للمسلمين وانّك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين سالمة قالت: وكان من الحال أن خرجت من المدينة ما مسّ يدي إنسان[٤].

وفي كتاب بشائر المصطفى سأل أمير المؤمنين عليه السلام شاه زنان بنت كسرى حين أسرت ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟

قالت: حفظت عنه كان يقول إذا غلب الله على أمر ذلّت المطامع دونه وإذا انقضت المدّة كان الحتف في الحيلة.

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك تذلّ الأمور للمقادير حتّى يكون الحتف في التقدير[٥].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا أقدمت بنت يزدجرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة وأشرق المسجد بضوئها لمّا دخلته، فلمّا نظر إليها عمر غطّت وجهها وقالت: أُف بيروج بادا هرمز[٦].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١/١٣٦ ح ٦.
(٢) عيون أخبار الرضا: ١/١٣٦ ح ٦.
(٣) عيون المعجزات: ٦٢، والبحار: ١١/٤٦.
(٤) البحار: ١١/٤٦.
(٥) الإرشاد: ١/٣٠٢، والبحار: ١٢/٤٦ ح ٢٢.
(٦) معرب اف بيروز بادا هرمز، تكلمت به لما نزلت بها من إبرازها في الأجانب وخذلانها بالأسر بعد ما =

فقال عمر: أتشتمني هذه وهمّ بها.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيّرها رجلاً من المسلمين واحسبها بفيئه، فخيّرها فجاءت حتّى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام فقال لها أمير المؤمنين: ما اسمك؟

فقالت: جهان شاه.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: بل شهربانويه، ثمّ قال للحسين: يا أبا عبد الله لتلدنّ لك منها خير أهل الأرض، فولدت عليّ بن الحسين عليه السلام وكان يقال لعليّ بن الحسين عليه السلام: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس.

وروي أنّ أبا الأسود الدؤلي قال فيه:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم ... لأكرم من نيطت[1] عليه التمائم[2]

برّ الإمام علي بن الحسين بأمّه عليه السلام

وكان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام كثير البرّ بأُمّه عليها السلام، حتى قيل له: إنّك من أبرّ النّاس بأُمّك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة، فقال عليه السلام: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها[3].

ولادة علي بن الحسين عليه السلام

ولد عليّ بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين وقبض في سنة خمس وتسعين وله سبع

= كانت مخدرة مستورة لا يراها أحد منهم ومعززة مكرمة عند أهلها وهذه الكلمة يتكلم بها من وقع في بلية لا تخطر بباله أصلاً ولا يذهب وهمه إليها أبداً.

(١) النوط التعليق يقال: ناطه ينوطه نوطاً أي علقه عليه، والتمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها العين بزعمهم. قال القتيبي: وبعضهم يتوهم أن المعاذات هي التمائم وليس كذلك إنما التميمة الخرزة، وقد وقع النهي عنها وأما المعاذات فلا بأس بها إذا كتب فيها القرآن أو أسماء الله تعالى، قال الأزهري: ومن جعل التمائم سيوراً فغير مصيب، وأما قول الفرزدق:

وكيف يفضل العنبري بلدة ... بها قطعت عنه سيور التمايم

فإنه أضاف السيور إليها لأنها تثقب وتجعل فيها سيور أو خيوط تعلق بها ومقصود أبي الأسود أنه عليه السلام كريم نجيب من الطرفين طرف الأب وطرف الأم وهو أكرم الخلق وأشرفهم.

(٢) الكافي: ١/ ٤٦٧ ح ١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٦/ ١٥١ ح ١٠، والأنوار البهية: ١٢٧.

خمسون سنة، وأمّه سلامة بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى أبرويز وكان يزدجرد آخر ملوك الفرس[١].

وقيل ولد بالمدينة سنة ست وثلاثين من الهجرة يوم الجمعة وقيل الخميس في النصف من جمادى الآخرة وقيل لتسع خلون من شعبان عاش مع جده سنتين ومع عمه عشر سنين ومع أبيه أحد عشرة سنة وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة وهي مدة إمامته.

توفي في المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين للهجرة وله سبع وخمسون سنة ودفن بالبقيع[٢].

وقيل: كانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور سنة ٣٨ للهجرة وتوفي سنة ٩٤ وقيل ٩٩ وقيل ٩٢ للهجرة بالمدينة ودفن في البقيع في قبر عمه الحسن بن عليّ في القبة التي فيها قبر العبّاس[٣].

وقيل ولد بالمدينة في الخميس الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، في أيام جده علي بن أبي طالب عليه السلام قبل وفاته بسنتين[٤].

وفي كتاب المناقب كانت إمامته عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة وكان في سني إمامته بقيّة ملك يزيد وملك معاوية بن يزيد وملك مروان وعبد الملك وتوفي في ملك الوليد سمّه الوليد بن عبد الملك[٥].

في أنّه وارث أبيه عليه السلام

في الأمالي عن محمّد بن مسلم قال: سألت الصادق عليه السلام عن خاتم الحسين عليه السلام إلى من صار وذكرت له أنّي سمعت أنه أخذ من إصبعه فيما أخذ.

قال عليه السلام: ليس كما قالوا: إنّ الحسين عليه السلام أوصى إلى ابنه عليّ بن الحسين وجعل خاتمه في إصبعه وفوّض إليه أمره كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين وهو بالحسن والحسن بالحسين ثمّ صار ذلك الخاتم إلى أبي ومنه إليّ وأبي لابسه في كلّ جمعة فرأيته في إصبعه يوم الجمعة نقشه لا إله إلّا الله عدّة للقاء الله[٦].

---

(١) الكافي: ١/٤٦٦ ح ٩، والبحار: ٤٦/١٣ ح ٢٥.
(٢) بحار الأنوار: ٤٦/١٣ ح ٢٧.
(٣) بحار الأنوار: ٤٦/١٥١ ح ١٠، والأنوار البهية: ١٢٧.
(٤) تاريخ ابن الخشاب: ١٧٨، الإرشاد ٢/١٣٧، مناقب ابن شهر آشوب ٤/١٨٩.
(٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/٣١١، والبحار: ٤٦/١٣ ح ٢٤.
(٦) البحار: ٤٣/٢٤٨ ح ٢٣، وأمالي الصدوق: ٢٠٨ ح ١٣.

وفي كتاب البصائر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الحسين عليه السلام لمّا حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة فدفع إليها كتاباً ملفوفاً فدفعت فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحسين وإنّما دفعه إلى فاطمة، لأنّ عليّ بن الحسين كان مبطوناً لا يرون إنّه إلّا لما به ثمّ صار ذلك الكتاب إلينا فقلت: فما في ذلك الكتاب؟

فقال: والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدُّنيا[١].

وعن الفضيل قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: لمّا توجّه الحسين إلى العراق دفع إلى أُمّ سلمة الوصية والكتب وغير ذلك وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعت إليك، فلمّا قتل الحسين عليه السلام أتى عليّ بن الحسين أُمّ سلمة فدفعت إليه كلّ شيء أعطاها الحسين عليه السلام[٢].

وفاته ودفنه عليه السلام

قيل مات في الثامن عشر من المحرم سنة أربع وتسعين[٣] وقيل: خمس وتسعين[٤].

وقد تقدّم ذكر ولادته في سنة ثمان وثلاثين فيكون سبعاً وخمسين سنة[٥] كان منها مع جده سنتين، ومع أبي محمد الحسن عشر سنين، وأقام مع أبيه بعد عمه الحسن عشر سنين، وبقي بعد قتل أبيه تتمة ذلك.

وقبره بالبقيع بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله في القبر الذي فيه عمه الحسن، وهو الآن في القبّة التي فيها العباس بن عبد المطلب[٦].

ألقاب وكنى علي بن الحسين عليه السلام

قال أهل التراجم: كان للحسين عليه السلام ولد آخر أكبر من من السجاد قتل بين يدي والده، وولد

(١) بصائر الدرجات: ١٨٣ ح ٣، والبحار: ٢٦/ ٣٦ ح ٦٢.
(٢) البحار: ٤٦/ ٨ ح ٣، ومكاتيب الرسول: ٢/ ٥٤ ح ٦٥.
(٣) الطبقات الكبرى ٥/ ٢٢١، المعارف: ١٢٥، الكامل في التاريخ ٤/ ٥٨٢، ترجمة الإمام علي بن الحسين من تاريخ دمشق ١٢/ ٥، صفة الصفوة ٢/ ١٠٢، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٧.
(٤) ترجمة علي بن الحسين من تاريخ دمشق ١١٧/ ١٥٥ و١٦٧.
(٥) مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٨٩، تاريخ ابن الخشاب: ١٧٨.
(٦) مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٨٩، صفة الصفوة ٢/ ١٠٢، ترجمة علي بن الحسين من تاريخ دمشق ١١٧/ ١٥٦ ـ ١٥٧، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٩.

طفل صغير له فجاءه سهم فقتله وقد تقدّم ذكر ذلك، وكان كلّ واحد منهما يسمى عليّاً أيضاً.

وعن نوح بن حبيب يقول: عَلي بن حسين بن عَلي بن أبي طالب يكنّى أبا الحسين[١].

وفي الطبقات: قال في الطبقة الثانية: عَلي بن حسين بن عَلي بن أبي طالب أحد بني هاشم، ويكنّى أبا محمد[٢].

محمّد بن إسْمَاعيل قال: عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب أبُو الحَسن الهاشمي المدني، ويقال: أبُو الحُسَين، كنّاه محمّد بن إسحاق[٣].

وعن عيسى بن دينار، حدّثني أبُو جعفر في حديث ذكره: أنّ عَلي بن الحُسَين يكنّى أبا الحُسَين، وفي غير هذا الحديث أنه كان يكنّى أبا محمد، وكان عَلي بن حسين ثقة، مأموناً، كثير الحديث، عالياً، رفيعاً، ورعاً[٤].

عن الزُّهري قال: ما رأيت قرشياً أفضل من عَلي بن الحُسَين، وكان عَلي بن الحُسَين مع أبيه يوم قتل وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وهو مريض، فقال عمر بن سعد: لا تَعَرّضوا لهذا المريض، ولقي عَلي بن الحُسَين جابر بن عَبْد الله[٥].

وفي كتاب المناقب لقبه عليه السلام زين العابدين وسيّد الساجدين وزين الصالحين ووارث علم النبيّين ووصيّ الوصيّين وخازن وصايا المرسلين وإمام المؤمنين ومنار القانتين والخاشع والمتهجّد والزاهد والعابد والعدل والبكّاء والسجّاد وذو الثفنات وإمام الأمّة وأبو الأئمّة وكنيته أبو الحسن وأبو محمّد وأبو القاسم.

وروي أنّه يكنّى بأبي بكر[٦].

وألقابه كثيرة أشهرها زين العابدين، وسيد العابدين، والزكي، والأمين، وذو الثفنات[٧].

وفي كتاب كشف اليقين أنّ من ألقابه الزكي والأمين.

وقيل: كان سبب لقبه زين العابدين أنّه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجّده، فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه، فجاءه إلى إبهام رجله فالتقمها فلم يلتفت إليه فآلمه فلم يقطع صلاته، فلمّا فرغ منها وقد كشف الله تعالى له فعلم أنّه شيطان فسبّه ولطمه وقال:

---

(١) الجرح والتعديل ٦/ ١٧٨.
(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١١.
(٣) التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٢٦٦ رقم ٢٣٦٤.
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٢ و٢٢٢ والبداية والنهاية ٩/ ١٧٩.
(٥) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ ص ٤٣٢).
(٦) تاريخ ابن الخشاب: ١٨٠، الإرشاد ٢/ ١٣٧ بنحوه، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٨٩.
(٧) تاريخ ابن الخشاب: ١٨٠.

(إخس يا ملعون) فذهب وقام إلى إتمام ورده، فسمع صوتاً ولا يرى قائله وهو يقول له: أنت زين العابدين ثلاثاً . فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له[١].

سبب تسميته بزين العابدين عليه السلام

من كتاب علل الشرائع بإسناده إلى عمران بن سليم قال: كان الزهري إذا حدّث عن عليّ ابن الحسين قال: حدّثني زين العابدين عليّ بن الحسين.

فقال له سفيان بن عيينة: ولِمَ تقول له: زين العابدين؟

قال: لأنّي سمعت سعيد بن المسيّب يحدّث عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: أين زين العابدين، فكأنّي أنظر إلى ولدي علي بن الحسين يخطر بين الصفوف يعني يتمايل في مشيته كالمعجب بنفسه[٢].

وفي مناقب ابن عبد العزيز أنّه قال يوماً وقد قام من عنده عليّ بن الحسين عليه السلام: من أشرف الناس؟

فقالوا: أنتم.

فقال: كلّا، إنّ أشرف الناس هذا القائم من عندي، من أحبّ الناس أن يكونوا منه ولم يحبّ أن يكون من أحد[٣].

وفي ربيع الأبرار عن الزمخشري روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس، وكان يقول: عليّ بن الحسين أنا ابن الخيرتين لأنّ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّه بنت يزدجرد الملك، وأنشأ أبو الأسود شعر:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم ... لأكرم من نيطت عليه التمائم[٤]

بيان: التمائم خرزات كانت العرب تعلّقها على أولادها يتّقون بها العين أو الأعمّ منها ومن العُوذ والغرض التعميم بأنّه أفضل الخلق.

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٤٦.
(٢) علل الشرائع: ١/ ٢٣٠ ح ١، وأمالي الصدوق: ٤١٠ ح ١٢.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٣٠ ح ١، والبحار: ٤٦/ ٣ ح ٤.
(٤) الكافي: ١/ ٤٦٧ ح ١، والبحار: ٤٦/ ٤ ح ٤.

علّة لقبه سيّد الساجدين

في كتاب العلل عن الباقر عليه السلام إنّ أبي عليّ بن الحسين ما ذكر الله عزّ وجلّ نعمة عليه إلّا سجد ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلّا سجد ولا دفع الله عزّ وجلّ عنه سوء يخشاه أو كيد كائد إلّا سجد، ولا فرغ من صلاته مفروضة إلّا سجد، ولا وفق بين اثنين إلّا سجد وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمّي السجّاد لذلك[١].

وعنه عليه السلام كان أبي عليه السلام في موضع سجوده آثار نائتة وكان يقطعها في السنة مرّتين في كلّ مرّة خمس ثفنات فسمّي ذا الثفنات[٢].

في نقش خاتم علي بن الحسين عليه السلام

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: كان في خاتم عليّ بن الحسين: الحمد لله العليّ[٣].

وعن أبي الحسن عليه السلام: كان نقش خاتم عليّ بن الحسين عليه السلام: خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه[٤].

وعن الرضا عليه السلام كان نقش خاتم الحسين عليه السلام: إنّ الله بالغ أمره[٥].

وكان عليّ بن الحسين يتختّم بخاتم أبيه[٦].

وعن الباقر عليه السلام: كان نقش خاتم أبي: العزّة لله[٧].

فضل علي بن الحسين عليه السلام

عن أبي الزبير قال: كنا عند جابر، فدخل عليه عَلي بن الحُسَين، فقال: كنت عند رَسُول

(١) علل الشرائع: ١/ ٢٣٣ ح ١، والبحار: ٤٦/ ٦ ح ١٠، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٤.
(٢) علل الشرائع: ١/ ٢٣٣ ح ١، والبحار: ٤٦/ ٦ ح ١٢.
(٣) الكافي: ٦/ ٤٧٣ ح ٢، والبحار: ٤٦/ ٥ ح ٧.
(٤) أمالي الصدوق: ١٩٤ ح ٧، والبحار: ١٠١/ ١٠٢/ ٣.
(٥) دلائل الإمامة: ١٨١، والبحار: ١١/ ٦٣ ح ١.
(٦) الكافي: ٦/ ٤٧٤ ح ٩، والبحار: ١١/ ٦٣ ح ١.
(٧) الكافي: ٦/ ٤٧٣ ح ٢، وأمالي الصدوق: ٥٤٣ ح ٥.

الله ﷺ فدخل عليه الحُسَين بن عَلي، فضمّهُ إليه، وقبّله وأقعده إلى جنبه، ثم قال: «يولد لابني هذا ابن يقال له عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بُطْنَان العرش: ليقم سيد العابدين فيقوم هو»[١].

عن رَزين بن عُبَيْد قال: كنت عند ابن عباس فأتى عَلي بن الحسين فقال ابن عباس: مرحباً بالحبيب بن الحبيب[٢].

وعن ابن شهاب قال: ما رأيت قرشياً أفضل من عَلي بن الحُسَين[٣].

قال الزهري: ما كان أكثر مجالستي عَلي بن الحُسَين وما رأيت أحداً كان أفقه منه[٤].

وعنه قال: كان عَلي بن الحُسَين من أفضل أهل بيته وأفقههم وأحسنهم طاعة.

وقال: لم أدرك من أهل البيت أفضل من عَلي بن حسين.

وعن ابن زيد قال: كان أبي يقول: مَا رأيت مثل عَلي بن الحُسَين فيهم قط[٥].

إبن أبي حازم قال: سمعت أبا حَازم يقول: ما رأيت هَاشمياً أفضل من عَلي بن الحُسَين[٦].

وعن ابن وَهْب عن مالك قال: لم يكن في أهل بيت رَسُول الله ﷺ مثل عَلي بن الحُسَين، وهو ابن أمَة.

وعن يَحْيَى بن سعيد، قال: قال: سمعت عَلي بن الحُسَين وكان أفضل هاشمي أدركته يقول: يا أيها الناس أحبّونا حبّ الإسلام، فما برح بنا حبّكم حتى صَار علينا عاراً[٧].

قال أبُو بكر بن البرقي: ونسل الحُسَين بن عَلي كله من قبل عَلي الأصغر، وَأمه أم ولد، وكان أفضل أهل زمانه[٨].

وعن أبي عَبْد الله الحافظ[٩] عن أبي بكر بن أبي شَيبة قال: أصحّ الأسانيد كلها الزهري عن عَلي بن الحُسَين عن أبيه عن عَلي.

(١) البحار: ٤٦/ ٧ ح ١٧، ولسان الميزان: ٥/ ١٦٨.
(٢) فضائل الصحابة لأحمد ج ٢/ ح ٣٠ والطبقات الكبرى ٥/ ٢١٣.
(٣) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٤، وتاريخ أبي زُرْعة الدمشقي ١/ ٥٣٦.
(٤) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٤.
(٥) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٤.
(٦) حلية الأولياء ٣/ ١٤١.
(٧) نسب قريش للمصعب ص ٥٨.
(٨) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٠.
(٩) الحاكم صاحب المستدرك رواه في معرفة علوم الحديث.

مدح علي بن الحسين عليه السلام من الفرزدق

قال في حقه أبي فراس همام بن غالب بن الصعصعة الملّقب بالفرزدق التميمي المجاشعي رحمة الله عليه، في مدحه قصيدة غرّاء بلغت في جودة ألفاظها وعذوبة معانيها غاية تستشهد بأبياتها الأدباء، والحريّ فيها أنّ يقال: إنّ من الشعر لحكمة، وأن من الكلام لسحراً، أشار فيها إلى طائفة من علوّ رتبته وسموّ درجته وشرذمة من منزلة شأنه، ومكانة أمره، في واقعة اقتضت ذلك، كما نشير إليها، وأتى ببعض أبياتها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في كتابه المعروف بالحماسة (الحماسة ٧٠٨) التي دلّت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، معنوناً بقوله: وقال الفرزدق يمدح عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم، مبتدئاً بقول الفرزدق: إذا رأته قريش قال قائلها، وبعده: هذا الذي تعرف البطحاء، وبعده: يكاد يمسكه، وبعده: أي القبائل ليست، وبعده: بكفه خيزران، وبعده يغضي حياء، وختم به. وكذا أتى بعشرين بيتاً منها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني في ترجمة الفرزدق (الجزء التاسع عشر ص ٤٠ طبع ساس).

وكذا أتى بعدة أبيات منها الشريف المرتضى علم الهدى في أماليه، المعروف بغرر الفوائد ودرر القلائد، وكذا ذكر سبعاً وعشرين منها أحمد بن خلّكان في وفيات الأعيان، عند ترجمة الفرزدق، وكذا غيرهم من كبار المؤلفين وأعاظم المؤرخين، ولا حاجة إلى ذكرهم لأنّ القضية بلغت في وضوحها كالشمس في رائعة النّهار ويعدّ من متواترات الأخبار والآثار.

قال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني: أخبرني عبد الله بن عليّ بن الحسن الهاشمي، عن حيّان بن عليّ العنزي عن مجالد عن الشعبي قال: حجّ الفرزدق بعدما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام، فرأى عليّ بن الحسين في غمار النّاس في الطواف فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرّة وجهه كأنّه صينيّة تتراءى فيها عذارى الحيّ وجوهها؟

فقالوا: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق: هذا الذي تعرف البطحاء وطأته: إلى آخر من أتى بها، وقال بعد نقل القصيدة: فغضب هشام فحبسه بين مكّة والمدينة فقال[1]:

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب النّاس يهوى منيبها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعيناً له حولاء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فوجّه فأطلقه. وقال في ينابيع المودّة: وكان هشام أحولاً[2].

---

(١) ديوان الفرزدق: ١/ ٥١ ولفظهما فيه:

يرددني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلّب عيناً لم تكن للخليفة ... مشوهة حولاء باد عيوبها.

(٢) الاختصاص: ١٩٤، وأمالي المرتضى: ٤٩.

وقال ابن خلّكان في وفيات الأعيان في ترجمة الفرزدق: وتنسب إليه مكرمة يرجى له بها الجنّة، وهي أنّه لما حجّ هشام بن عبد الملك في أيّام أبيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر لكثرة الزحام، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى النّاس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وكان من أحسن النّاس وجهاً وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحّى له النّاس حتّى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي هابه النّاس هذه الهيبة؟

فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، فيملكون، وكان الفرزدق حاضراً فقال: أنا أعرفه.

فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟

فقال: هذا الذي تعرف البطحاء ـ إلى آخر ما ذكر من أبيات تلك القصيدة.

ونحن نذكر القصيدة بتمامها تيمّنا بها ونشرح بعض ما يحتاج إليه بالتفسير والسؤال:

يا سائلي أين حلّ الجود والكرم ... عندي بيان إذا طلا به قدموا

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا الذي أحمد المختار والده ... صلّى عليه إلهي ما جرى القلم

لو يعلم الركن من ذا جاء يلثمه ... لخرّ يلثم منه ما وطى القدم

هذا عليّ رسول اللّه والده ... أمست بنور هداه تهتدي الأُمم

هذا الذي عمّه الطيار جعفر والـ ... ـمقتول حمزة ليث حبّه قسم

هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة ... وابن الوصي الذي في سيفه سقم

إذا رأته قريش قال قاتلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العزّ التي قصر ... ت عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن ... الحطيم إذا ما جاء يستلم

وليس قولك: من هذا؟ بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلّم إلاّ حين يبتسم

في كفّه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرينه شمم

ينشقّ ثوب الدجى عن نور غرّته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

ما قال لا قطّ إلاّ في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت مغارسه والخيم والشيم[١]
حمّال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
إن قال قال بما تهوى جميعهم ... وإن تكلم يوماً زانه الكلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا
الله شرّفه قدماً وعظّمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
من جدّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمّته دانت له الأمم
عمّ البريّة بالإحسان وانقشعت ... عنها العماية[٢] والإملاق والظلم[٣]
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... يستو كفان ولا يعروهما عدم[٤]
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه خصلتان الحلم والكرم[٥]
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعترم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبّهم ... ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم
إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض؟ قيل هم
لا يستطيع جواد بعد جودهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم[٦]
يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى ديم
لا يقبض العسر بسطاً من أكفّهم ... سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا
أيّ القبائل ليست في رقابهم ... لأوّليّة هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أوّليّته ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

---

(١) النبعة: شجرة تصنع منها القسي وهي أجود الشجر، والخيم: الطبيعة والسجية.
(٢) ويروى: الغماية.
(٣) في الديوان: الغياهب والأملاق والعدم.
(٤) يستوكفان: يستمطران. يعروهما: يلم بهما.
(٥) عجزه في الديوان:
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
والخليقة: الطبيعة، وبوادره جمع بادره وهي الحدّة.
(٦) أزمت: اشتدت. والشرى: مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل.

بيوتهم في قريش يستضاء بها ... في النائبات وعند الحكم إن حكموا
فجدّه من قريش في أرومتها ... محمّد وعليّ بعده علم
بدر له شاهدٌ والشعب من أحد ... والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبر وحنين يشهدان له ... وفي قريظة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت في كلّ نائبة ... على الصحابة لم أكتم كما كتموا[1]

قال ابن خلّكان: لمّا سمع هشام هذه القصيدة غضب، وحبس الفرزدق، وأنفذ له زين العابدين إثني عشر ألف درهما فردّها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء فقال: إنا أهل البيت إن وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها[2].

وفي البحار نقلاً عن الإختصاص بإسناده: عليّ بن الحسين بن يوسف عن محمّد بن جعفر العلوي، عن الحسن بن محمّد بن جمهور، عن أبي عثمان المازني، عن كيسان، عن جويرية بن أسماء عن هشام بن عبد الأعلى، عن فرعان وكان من رواة الفرزدق قال: حججت سنة مع عبد الملك بن مروان فنظر إلى عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فأراد أن يصغّر منه فقال: من هو؟

فقال الفرزدق: فقلت على البديهة القصيدة المعروفة: هذا ابن خير عباد الله كلّهم، هذا التقي النقي الطاهر العلم، حتّى أتمّها وكان عبد الملك يصله في كلّ سنة بألف دينار، فحرمه تلك السنة، فشكى ذلك إلى عليّ بن الحسين وسأله أن يكلمه فقال: أنا أصلك من مالي بمثل الذي كان يصلك به عبد الملك، وصنّي عن كلامه.

فقال: والله يا ابن رسول الله لارزأتك شيئاً، وثواب الله عزّ وجل في الآجل أحبّ إليّ من ثواب الدّنيا في العاجل، فاتصل ذلك بمعاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار، وكان أحد سمحاء بني هاشم لفضل عنصره وأحد أدبائها وظرفائها فقال له: يا أبا فراس كم تقدّر الذي بقي من عمرك؟

قال: قدر عشرين سنة.

قال: فهذه عشرون ألف دينار أعطيتكها من مالي، واعف أبا محمّد أعزّه الله عن المسألة في أمرك.

---

(١) وروي في كشف الغمة: ٢/ ٢٥٥.
مواطن قد علمت أقدارها ونمت ... آثارها لم تنلها العرب والعجم

(٢) القصة مشهورة وفي كتب القوم مستورة راجع شرح الشواهد للعيني ٢/ ٥١٣ وصفة الصفوة ٢/ ٥٤ وشرح شواهد المغني ٢٤٩ ط. مصر. والمعجم الكبير ٣/ ١٠٦ ح ٣٥ ومجمع الزوائد ٩/ ٢٠٠ والتبيين في انساب القرشيين ١٠٩، والجليس الصالح الكافي ٤/ ١٠٧، وينابيع المودة لذوي القربى: ٣/ ١٥٧، ووفيات الأئمة: ١٥٦.

فقال: لقد لقيت أبا محمّد وبذل لي ماله، فأعلمته أني أخرت ثواب ذلك الأجر للآخرة. انتهى[١].

شرح الغريب من القصيدة:

قوله: تعرف البطحاء المراد به هذا الصحراء وإلّا فالبطحاء مسيل الماء فيه الحصا والوطأة هنا بمعنى البأس والشدّة كقوله ﷺ: اللّهم اشدد وطأتك على مضر، ويجوز أن يُراد المشي عليها، تعرفه عرفان بالنصب مفعول له يعني يمسكه لأجل معرفته به أو لأجل العرف أي الطيّب الموجود في راحته والإغضاء أو ماء الجفون، والخيزران بضمّ الزاء شجرٌ هندي وهو عروق ممتدّة في الأرض، وعبق به الطيب أي لزق به ولم يذهب عنه أيّاماً، والأروع من يعجبك بحسنه ومنظره، والعرنين بالكسر الأنف، والشمم محرّكة ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها.

قوله: من كف على طريق التجريد، والخيم بالكسر السجيّة والطبيعة، والشيم بكسر الشين وفتح الياء جمع شيمة بالكسر وهي الطبيعة، وفدحه الدين أثقله، استوكف استقطر والبوادر جمع بادرة وهي ما يبدو من حدّتك في الغضب من قول أو فعل، والنقيبة النفس والعقل والمشورة، والأريب العاقل، ويعترم على المجهول من العرام بمعنى الشدّة يعني أنّه عاقل عند عروض الشدائد وبعد غايتهم بضمّ الباء، والأزمة الشدّة وأزمت بمعنى لزمت، والثرى كعلى طريق في سلمى كثير الأسد، واحتدم عليه غيظاً تحرّق والنار التهبت وفي بعض النسخ البأس بالباء الموحّدة وفي بعضها بالنون فعلى الأوّل المراد أنّ شدّتهم وغيظهم ملتهب في الحرب، وعلى الثاني المراد أنّ الناس محتدمون عليهم حسداً، وخيم أي لهم خيم والندى المطر ويستعار للعطاء الكثير، وهضم ككتب جمع هضوم يُقال: يد هضوم أي تجود بما لديها، ويُقال أثرى الرجل كثر ماله، والأرومة الأصل.

وقوله: الخندقان يعني به غزوة الخندق، وقال بعض أهل الحديث: لعلّ التثنية باعتبار أنّه محيط بالبلد أو لأنّه كان على قسمين حفر بعضه المهاجرون والآخر الأنصار، والصيلم الأمر الشديد، والقتام الغبار والأقتم الأسود وقتم الغبار ارتفع . وقوله: مواطن أي له أو هذه.

وقال الزمخشري في الفائق: عليّ بن الحسين مدحه الفرزدق فقال: في كفّه جهني ريحه عبق. البيت.

قال القتيبي: الجهني الخيزران ومعرفتي هذه الكلمة عجيبة.

وذلك أنّ رجلاً من أصحاب الغريب سألني عنه فلم أعرفه فلمّا أخذت من الليل مضجعي أتاني آت في المنام يقول: ألا أخبرته عن الجهني؟ قلت: لم أعرفه، قال: هو الخيزران، فسألته شاهداً

(١) . الاختصاص: ١٩٥، وبحار الأنوار: ٤٦/ ١٣١ ح ٢٠.

فقال: هدية ظريفة في طبق محبه فانتبهت وأنا أكثر التعجّب فلم يلبث إلّا يسيراً حتّى سمعت من ينشد: في كفّه جهني وكنت أعرفه في كفّه خيزران.

وروى صاحب الخرائج: أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام أعطاه لأربعين سنة وقال: لو علمت أنّك تحتاج إلى أكثر من هذا أعطيتك فمات الفرزدق بعد أن مضى أربعون سنة.

ويجوز تعدّد الواقعة بأن يكون أنشد القصيدة تارةً لعبد الملك وأُخرى لابنه هشام.

وقد روي أنّ هذه القصيدة أنشدها الفرزدق أوّلاً في مدح الحسين عليه السلام ولمّا رأى المقام مناسباً لإنشادها أنشدها للخليفة في مدح عليّ بن الحسين عليه السلام لأنّ صفات المدح متّحدة فيهما[1].

في أسرار علي بن الحسين عليه السلام

فمن ذلك ما رواه خالد بن عبد الله قال: كان علي بن الحسين عليه السلام حاجّاً فجاء أصحابه فضربوا فسطاطه في ناحية فلما رآه قال: هذا مكان قوم من الجن المؤمنين وقد ضيّقتم عليهم.

فناداه هاتف: يابن رسول الله قرّب فسطاطك منّا رحمةً لنا، وإنّ طاعتك مفروضة علينا، وهذه هديتنا إليك فاقبلها.

قال جابر: فنظرنا وإذا إلى جانب الفسطاط أطباق مملوءة رطباً وعنباً، وموزاً ورمّاناً، فدعا زين العابدين عليه السلام من كان معه من أصحابه، وقال: كلوا من هدية إخوانكم المؤمنين[2].

ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب الأربعين: أنّ بني مروان لمّا كثر استنقاصهم بشيعة علي بن الحسين عليه السلام شكوا إليه حالهم فدعا الباقر عليه السلام وأخرج إليه حقاً فيه خيط أصفر وأمره أن يحرّكه تحريكاً لطيفاً فصعد السطح وحرّكه، وإذا بالأرض ترجف وبيوت المدينة تساقطت حتى هوى من المدينة ستمائة دار، وأقبل الناس هاربين إليه يقولون: أجرنا يابن رسول الله، أجرنا يا ولي الله.

فقال: هذا دأبنا ودأبهم يستنقصون بنا ونحن نفنيهم[3].

ومن ذلك أنّ رجلاً سأله فقال: بماذا فُضّلنا على أعدائنا وفيهم مَنْ هو أجمل منّا؟ فقال له الإمام عليه السلام: أتحبّ أن ترى فضلك عليهم؟

فقال: نعم، فمسح يده على وجهه، وقال: أنظر، فنظر فاضطرب.

---

(١) انظر المعجم الكبير للطبراني: ٣/ ١٠١، والفتوح لابن أعثم: ٢/ ١٢٩، ومقتل الخوارزمي: ١/ ٢٤٩.

(٢) بحار الأنوار عن دلائل الطبري: ٤٦/ ٤٥ ح٤٥ بتفاوت.

(٣) الهداية الكبرى: ٢٢٧ ـ ٢٢٨ باب ٦ و: ٣٢٢ باب ١٢، ودلائل الإمامة: ٢، والبحار: ٢٥/ ٣٧٩.

وقال: جعلت فداك ردّني إلى ما كنت، فإنّي لم أرَ في المسجد إلّا دبّاً، وقرداً وكلباً، فمسح يده فعاد إلى حاله[١].

وإليه الإشارة بقوله: «أعداء عليّ مسوخ هذه الأُمّة».

وفي النقل: اقتلوا الوزغ فإنّها مسوخ بني أمية[٢] [٣].

كرامات علي بن الحسين عليه السلام

عن ابن شهاب الزهري قال: شهدت عَلي بن الحُسَين يوم حمله عَبْد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً، ووكّل به حفّاظاً في عدّة وجمع، فاستأذنتهم في التسليم عليه والتوديع له، فأذنوا لي، ودخلت عليه وهو في قبة، والقيود في رجليه، والغلّ في يديه، فبكيتُ وقلت: وددت أنّي مكانك وأنت سالم.

فقال: يا زُهري أوَ تظن هذا ممّا ترى عَلي وفي عنقي يكرثني، أما لو شئت ما كان، فإنه وإن بلغ فيك وفي أمثالك ليذكّرني عذاب الله، ثم أخرج يديه من الغلّ ورجليه من القيد، ثم قال: يا زُهري لا جزت معهم على ذا منزلتين من المدينة.

قال: فما لبثنا إلّا أربع ليال حتى قدم الموكلون به يظنونه بالمدينة، فما وجدوه فكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنّا نراه متبوعاً، إنه لنازل ونحن حوله لا ننام نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمليه إلّا حديدة.

قال الزُهري: فقدمتُ بعد ذلك على عَبْد الملك بن مروان فسألني عن عَلي بن الحُسَين، فأخبرته، فقال لي: إنه قد جاءني في يوم فقده الأعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي، فقال: لا أحبّ، ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة.

قال الزهري: فقلت: يا أمير المؤمنين ليس عَلي بن الحُسَين حيث تظن، إنه مشغول بنفسه.

فقال: حبّذا شغل مثله، فنعم ما شغل به.

قال: وكان الزهري إذا ذكر عَلي بن الحُسَين يبكي ويقول: زين العابدين[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/ ٤٩ ح٤٩.

(٢) الخرائج: ٨٢٣ وبحار الأنوار: ٢٧/ ٢٦٩ ح١٩ بتفاوت.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ١٣٥.

(٤) حلية الاولياء ٣/ ١٣٥، وترجمة الإمام علي بن الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق ٣١/ ٤٢، مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٤٥.

ورع علي بن الحسين عليه السلام

قال رجل لسعيد بن المُسَيّب: ما رأيت أحداً أورع من فلان؟ قال: هل رأيت عَلي بن الحسين؟ قال: لا، قال: مَا رأيت أحداً أورع منه[١].

وعن عمر بن شَبة قال: سمعت سعيد بن عامر يذكر عن جويرية قال: ما أكل عَلي بن الحُسَين بقرابته من رَسُول الله صلى الله عليه وآله درهماً قطّ[٢].

وقال أَبُو جعفر محمّد بن علي عليه السلام: كان عَلي بن الحُسَين إذا ذكر هذا الحديث ـ يعني حديثاً في ذكر الموت ـ بكى حتى يرثي له كل صديق[٣].

وعن إبراهيم بن علي عن أبيه قال: حججت مع عليّ بن الحسين عليه السلام فالتاثت الناقة عليه في سيرها فأشار إليها بالقضيب ثمّ قال: آه لولا القصاص وردّ يده عنها[٤].

خوف علي بن الحسين عليه السلام من الله

عن جابر، عن أبي جعفر قال: كان أبي عَلي بن الحُسَين يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، فلما حضرته الوفاة بكى قال: فقلت: يا أبة ما يبكيك؟

فوالله ما رأيت أحداً طلب الله طلبك، ما أقول هذا إنك أبي.

قال: فقال: يا بني إنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرّب، ولا نبي مرسل إلّا كان لله عز وجل فيه المشيئة إن شاء غفر له، وإن شاء عذّبه[٥].

أخلاق علي بن الحسين عليه السلام

عن عَبْد الله بن عمر، عن الزهري، قال: حَدّثت عَلي بن الحُسَين بحديث، فلما فرغت قال: أحسنت بارك الله فيك، هكذا حدّثناه، قلت: ما أراني إلا حدّثتك بحديث أنت أعلم به مني؟ قال:

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٤١، وترجمة الإمام علي بن الحسين من تاريخ دمشق: ٣٧/ ٥٧، وصفة الصفوة ٢/ ٩٩، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٧٩.

(٤) البحار: ٤٦/ ٧٦ ح ٦٩، وكشف الغمة: ٢/ ٢٩٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٧٩، وتهذيب الكمال: ٢٠/ ٣٩١.

فلا تقل ذاك فليس من العلم ما لا يعرف، إنّما العلم ما عُرف وتواطأت عليه الألسن[١].

وعن عَبْد الله بن محمد، قال: سمعت عَبْد الرزّاق يقول: جعلت جارية لعَلي بن الحُسَين تسكب عليه الماء يتهيأ للصّلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه، فرفع عَلي بن الحُسَين رأسه إليها، فقالت الجارية: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿والكاظمين الغيظ﴾[٢].

فقال لها عليه السلام: قد كظمت غيظي.

قالت: ﴿والعافين عن الناس﴾[٣].

قال عليه السلام: قد عفا الله عنك.

قالت: ﴿والله يُحب المحسنين﴾[٤].

قال عليه السلام: فاذهبي فأنت حرة[٥].

وعن عَبْد الغفار بن القاسم قال: كان عَلي بن حسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل، فسبّه فثارت إليه العبيد والموالي، فقال عَلي بن الحسين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، ورجع إلى نفسه، قال: فألقى إليه خميصة[٦] كانت عليه، وأمر له بألف درهم، قال: وكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل[٧].

وروي أنّ مولى له كان يتولّى عمارة ضيعة له فأفسد عمارتها فقرعه بسوط ثمّ ندم على ذلك فأرسل في طلب المولى فأتاه فوجده عارياً والسوط بين يديه فخاف أن يعاقبه فقال للمولى: خذ السوط وقد كانت منّي هفوة وزلّة فخذ السوط واقتصّ منّي، فقال: يا مولاي ظننت أنّك تريد عقوبتي وأنا مستحقّ للعقوبة فكيف أقتصّ منك؟

فقال: ويحك اقتصّ.

قال: معاذ الله أنت في حلٍّ وسعة فكرّر ذلك عليه مراراً وهو يحلّه، فقال: أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك وأعطاه إيّاها[٨].

ومنها: ما نقله سفيان قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: إنّ فلاناً وقع فيك وآذاك.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٥) أمالي الصدوق: ٢٦٩ ح ١٥، وتاريخ مدينة دمشق: ٤٦/ ٣٧٨.
(٦) خميصة: كساء أسود مربع له علمان (القاموس).
(٧) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٢٨ ط. مصر وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٦.
(٨) مناقب آل أبي طالب: ٢٩٧، والبحار: ٤٦ ح ٨٤.

فقال له: (فانطلق بنا إليه).

فانطلق معه وهو يرى أنّه سينتصر لنفسه، فلمّا أتاه: فقال له: (ياهذا إن كان ما قلته فيّ حقاً فالله تعالى يغفره لي، وإن كان ما قلت فيّ باطلا فالله تعالى يغفر لك)[١].

وكان بينه وبين ابن عمه حسن بن الحسن شيء من المنافرة، فجاء حسن إلى علي وهو في المسجد مع أصحابه، فما ترك شيئاً إلّا قاله من الأذى، وهو ساكت ثم إنصرف حسن، فلمّا كان الليل أتاه في منزله، فقرع عليه الباب فخرج حسن إليه فقال له علي عليه السلام: (ياأخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، والسلام عليك ورحمة الله) ثم وليّ فاتّبعه حسن والتزمه من خلفه وبكى حتى رقّ له، ثم قال له: والله لاعدت إلى أمر تكرهه.

فقال له علي: (وأنت في حل مما قلته)[٢].

وكان يقول: (فقد الأحبّة غربة).

وفي الكافي عن العبّاس بن عيسى قال: ضاق عليّ بن الحسين عليهما السلام فأتى مولى له فقال له: أقرضني عشرة آلاف درهم فقال: أريد وثيقة فنتف له من ردائه هدبة وقال: هذه الوثيقة فكان مولاه كره ذلك فغضب وقال: أنا أولى بالوفاء من حاجب ابن زرارة رهن قوساً وهي خشبة على مائة حماله وهو كافر، فأعطاه الدراهم وجعل الهدبة في حقّ فسهّل الله المال فحمله إلى الرجل ثمّ قال: هات وثيقتي.

قال: ضيّعتها.

قال: إذاً لم تأخذ مالك منّي ليس مثلي يستخفّ بذمّته فأخرج الرجل الحق فإذا فيه الهدبة فأعطاها عليّ بن الحسين فأعطاه الدراهم وأخذ الهدبة فرمى بها وانصرف[٣].

وروي أنّ بعضهم شتم زين العابدين عليه السلام فقصده غلمانه فقال: دعوه فإنّ ما خفي منّا أكثر ممّا قال، فقال له: ألك حاجة يا رجل؟ فخجل الرجل فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم فانصرف الرجل صارخاً يقول: أشهد أنّك ابن رسول الله[٤].

وشتمه آخر فقال: يا فتى إنّ بين أيدينا عقبة كؤوداً فإن جزت منها فلا أُبالي بما تقول وإن أتحيّر فيها فأنا شرّ ممّا تقول[٥].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٩٤، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٠، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٧٠ بمعناه.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٩٤، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٧٠، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٤، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٧٠.

(٣) الكافي: ٥/ ٩٧ ح ٦، وسائل الشيعة: ١٨/ ٣٢٦ ح ٥.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٩٦، والبحار: ٤٦/ ٩٥.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٩٦، والبحار: ٤٦/ ٩٦.

وعن الأصمعي قال: كنت بالبادية وإذا أنا بشابّ في أطمار رثّة وعليه سيماء الهيبة فقلت: لو شكوت حالك إلى هؤلاء يعني الرفقاء لأصلحوا حالك فأنشأ يقول، شعر:

لباسي للدُّنيا التجلّد والصبر ... ولبسي للأُخرى البشاشة والصبر

إذا اعترني أمر لجأت إلى العرا ... لأنّي من القوم الذين لهم فخر

ألم تر أنّ العرف قد مات أهله ... وأنّ الندى والجود ضمّهما قبرُ

على الجود والعرف السلام فما بقى ... من العرف إلاّ الرّسم في الناس والذكر

فتعرّفته فإذا هو عليّ بن الحسين[1].

وكان عنده عليه السلام قومٌ أضياف فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنوّر فسقط السفود على رأس ابن لعليّ بن الحسين تحت الدرجة فقتله فقال عليه السلام للغلام وقد تحيّر: أنت حرّ فإنّك لم تتعمده وأخذ في جهازه ودفنه[2].

كرم علي بن الحسين عليه السلام

في كتاب سوق العروس عن أبي عبد الله الدامغاني أنّه كان عليّ بن الحسين عليه السلام يتصدّق بالسكّر واللوز فسُئل عن ذلك فقرأ قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وأنا أحبّ السكّر واللّوز فأحببت أن أنفق منه.

وكان عليه السلام إذا انقضى الشتاء تصدّق بكسوته وإذا انقضى الصيف تصدّق بكسوته وكان يلبس من خزّ اللباس فقيل له: تعطيها من لا يعرف قيمتها ولا يليق به لباسها فلو بعتها وتصدّقت بثمنها؟

فقال: إنّي أكره أن أبيع ثوباً صلّيت فيه.

وعن سعيد بن مَرْجَانة قال: أعتق عَلي بن حسين غلاماً له أعطاه به عَبْد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم، وألف دينار[3].

عن عمرو بن دينار قال: دخل عَلي بن الحُسَين على محمّد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي فقال: ما شأنك؟

قال: عليّ دين.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٤، والبحار: ٤٦/ ٩٧.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٠٠، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٨٥، وتهذيب الكمال: ٢٠/ ٣٩٢.

قال: كم هو؟

قال: خمسة عشر ألف دينار أو بضعة عشر ألف دينار.

قال: فهي عليّ[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن جده قال: قال عَلي بن الحسين: إنّي لأستحي من الله عزّ وجلّ أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنّة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنّة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل[٢].

وعن ابن عائشة، عن أبيه، عن عمّه قال: قال عَلي بن الحسين: سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم لأنّ العلماء ورثة الأنبياء[٣].

وعن عَبْد الله بن محمد، قال: سمعت عَبْد الرزّاق يقول: جعلت جارية لعَلي بن الحُسَين تسكب عليه الماء يتهيأ للصَلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه، فرفع عَلي بن الحُسَين رأسه إليها، فقالت الجارية: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿والكاظمين الغيظ﴾[٤].

فقال لها عليه السلام: قد كظمت غيظي.

قالت: ﴿والعافين عن الناس﴾[٥].

قال عليه السلام: قد عفا الله عنك.

قالت: ﴿والله يُحب المحسنين﴾[٦].

قال عليه السلام: فاذهبي فأنت حرة[٧].

تصبّر علي بن الحسين عليه السلام في الشدائد

عن إبْرَاهيم بن سعد، قال: سمع عَلي بن الحُسَين واعية في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله، ثم رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الواعية؟ قال: نعم، فعزّوه وتعجبوا من صبره، فقال: إنّا أهل بيت نطيع الله فيما نحبّ، ونحمده فيما نكره[٨].

---

(١) البحار: ٤٦/ ٥٦ ح ٨، وتاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٨٥.
(٢) وسائل الشيعة: ١٦/ ٣٨٧ ح ٣٨، وتاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٨٥.
(٣) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٧) أمالي الصدوق: ٢٦٩ ح ١٥، وتفسير مجمع البيان: ٢/ ٣٩٣.
(٨) حلية الأولياء ٣/ ١٣٨.

روى محمّد بن سعد في الطبقات عن المِنْهال بن عمرو قال: دخلت على عَلي بن حسين، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا، قال: فأمّا إذ لم تَدْرِ أو تعلمْ فأنا أخبرك، أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون إذ كانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيّدنا يُتقرب إلى عدّونا بشتمه ويسبّه على المنابر، وأصبحت قريش تعدّ أنّ لها الفضل على العرب لأن مُحَمَّداً منها لا يُعَدّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العرب مُقرّة لهم بذلك، وأصبحت العرب تعدّ لها الفضل على العجم لأن مُحَمَّداً منها لا يُعدّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العجم مقرّة لهم بذلك، فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أن كان لها الفضل على العرب لأن مُحَمَّداً منها، إنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنّ مُحَمَّداً منا فأصبحوا يأخذون بحقّنا لا يعرفون لنا حقاً، فهكذا أصبحنا إذ لم تعلم كيف أصبحنا.

قال: فظننتُ أنه أراد أن يُسْمِعَ مَنْ في البيت[1].

حلم علي بن الحسين عليه السلام

وعن موسى بن داود، حدثني مولى بني هاشم أن عَلي بن الحسين دعا مملوكه مرتين فلم يجبه ثم أجابه في الثالثة، فقال: يا بنيّ أما سمعتَ صوتي؟

قال: بلى.

قال: فلِمَ لم تجبني؟

قال: أمنتك.

قال: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[2].

وعن عَبْد الغفار بن القاسم قال: كان عَلي بن حسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل، فسبّه فثارت إليه العبيد والموالي، فقال عَلي بن الحسين: مهلا عن الرجل، ثم أقبل عليه، فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، ورجع إلى نفسه، قال: فألقى إليه خميصة[3] كانت عليه، وأمر له بألف درهم، قال: وكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل[4].

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) البحار: ٤٦/ ٥٦ ح ٦، وتاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٧٨.

(٣) خميصة: كساء أسود مربع له علمان (القاموس).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٢٨ ط. مصر وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٦.

وعن عَبْد الله بن عطاء قال: أذنب غلام لعلي بن حسين ذنباً استحق منه العقوبة، فأخذ له السوط، فقال: ﴿قُلْ للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾[١]، وقال الغلام: وما أنا كذلك إنّي لأرجو رحمة الله، وأخاف عذابه، فألقى السوط وقال: أنت عتيق[٢].

وعن أبُو يعقوب المدني، قال: كان بين حسن بن حسن وبين عَلي بن حسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى عَلي بن حسين وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئاً إلّا قاله له، قال: وعليّ ساكت، فانصرف حسن، فلما كان الليل أتاه في منزله، فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له علي: يا أخي، إنْ كنتَ صادقاً فيما قلتَ لي يغفر الله لي، وإنْ كنتَ كاذباً يغفر الله لك، السّلام عليكم، وولّى.

قال: فاتّبعه حسن فلحقه، فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له، ثم قال: لا جَرَم لا عدتُ في أمر تكرهه، فقال علي: وأنت في حلّ مما قلت لي[٣].

وفي كتاب بشائر المصطفى عن محمّد بن جعفر وغيره قالوا: وقف على عليّ بن الحسين عليه السلام رجل من أهل بيته فأسمعه وشتمه فلم يكلّمه، فلمّا انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا مني ردّي عليه.

فقالوا له: نفعل ولقد كنّا نحبّ أن تقول له ويقول فمشى وهو يقول: والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين، فعلمنا أنّه لا يقول له شيئاً فأتى منزل الرجل وصرخ به وقال: قولوا له هذا عليّ بن الحسين، فخرج إلينا طالباً للشرّ وهو لا يشكّ إنّه إنّما جاء مكافياً له على بعض ما كان.

فقال له عليّ بن الحسين: يا أخي إنّك قد وقفت عليَّ وقلت وقلت فإن كنت قلت ما فيَّ فأستغفر الله منه وإن كنت قلت ليس ما فيَّ فغفر الله لك، فقبّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلت ما ليس فيك وأنا أحقّ به[٤].

وعن عَبْد الرَّحْمن بن زيد بن أسلم، قال: كان أبي يقول: ما رأيت مثل عَلي قط، قال ابن زيد: وشتمه رجل من أهل بيته وأسرع إليه وبلغ منه كل مبلغ وهو ساكت، فلماً مضى قال له بعض القوم: إنّ ما يقول حقاً؟

قال: فقد دخل هذا في قلوبكم؟ قالوا: أو بعضنا؟

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٤.
(٢) البحار: ٤٦/ ١٠٠، وكشف الغمة: ٢/ ٣١٢.
(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٩٥، وتهذيب الكمال: ٢٠/ ٣٩٧.
(٤) البحار: ٤٦/ ٩٦.

قال: انطلقوا بنا، فأتى بيته، فسلّم، فخرج الآخر محتداً، فقال: إن بعض القوم ظنّ أن الذي قلتَ أو بعضه حقّ، فإن يكن ذلك حقاً فإني أسأل الله الذي لا إله إلّا هو أن يغفر لي، وإن كان الذي قلتَ عليّ باطلا فأسأل الله الذي لا إله إلّا هو أن يغفر لك، قال: فأخذ بيده وقال: والله ما جعله الله حقاً وإنْ كان لباطلا، فلما مضينا، قال: كيف رأيتم؟[١].

وعن موسى بن طريف قال: استطال رجل على عَلي بن حسين فتغافل عنه فقال له الرجل: إياك أعني، فقال له علي: وعنك أغضي[٢].

وروي أنه كان عند عَلي بن الحسين قوم، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً، وسقط السَّفُود[٣] من يده على ابن لعلي أسفل الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فوثب عليّ فلما رآه، قال للغلام: إنّك حرّ، إنّك لم تتعمده، وأخذ في جهاز ابنه[٤].

زهد علي بن الحسين عليه السلام وتواضعه

عن عمر بن علي أنّ عَلي بن الحُسَين كان يلبس كساء خَزّ بخمسين دينار، يلبسه في الشتاء، فإذا كان الصيف تصدّق به أو باعه فتصدّق بثمنه، وكان يلبس في الصيف ثوبين ممشقين[٥] من متاع مصر، ويلبس ما دون ذلك من الثياب ويقرأ: ﴿قُلْ من حَرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾[٦] [٧].

وفي عيون الأخبار عن الصادق عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام لا يسافر إلّا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه فسافر مرّة مع قوم فرآه رجل فعرفه فقال لهم: هذا عليّ بن الحسين فوثبوا إليه وقبّلوا يده ورجله وقالوا: يابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنّم لو بدرت منّا إليك يد أو لسان أما كنّا هلكنا إلى آخر الدهر فما الذي يحملك على هذا؟

قال: إنّي كنت سافرت مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحقّ فإنّي أخاف أن تعطوني مثل ذلك فصار كتمان أمري أحبّ إليّ[٨].

وفي كتاب المحاسن مسنداً إلى الصادق عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا كان اليوم الذي يصوم فيه يأمر بشاة فتذبح وتطبخ وإذا كان عند المساء أكبّ على القدور حتّى يجد ريح المرق

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٩٥.
(٢) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٦.
(٣) السفود: هي حديدة يشوى بها اللحم، وتسفيد اللحم: نظمه فيها للاشتواء (انظر القاموس المحيط).
(٤) صفة الصفوة ٢/ ١٠٠، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٤٤.
(٥) الثوب الممشق المصبوغ بالمشق، وهو المغرة (انظر القاموس المحيط).
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٧) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٧.
(٨) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٥٦ ح ١٣، والبحار: ٤٦/ ٦٩ ح ٤١.

وهو صائم ثمّ يقول: هاتوا القصاع أُغرفوا لآل فلان واغرفوا لآل فلان حتّى يأتي على آخر القدور ثمّ يؤتى بخبز وتمر فيكون ذلك عشاؤه.

وفيه أيضاً عن هشام بن سالم قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يعجبه العنب فكان ذات يوم صائماً فلمّا أفطر كان أوّل ما جاءت العنب أتته أُمّ ولد له بعنقود فوضعته بين يديه فجاء سائل فدفعه إليه فدسّت إلى السائل فاشترته منه فوضعته بين يديه فجاء سائل آخر فأعطاه ففعلت أُمّ الولد مثل ذلك حتّى فعل ثلاث مرّات فلمّا كان في الرابعة لم يأت سائل فأكله[١].

وفي دعوات الراوندي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يلبس الصوف وأغلظ ثيابه إذا قام إلى الصلاة وكان إذا صلّى برز إلى موضع خشن فيصلّي فيه ويسجد على الأرض[٢].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: مرّ عليّ بن الحسين عليه السلام على المجذومين وهو راكب حماراً وهم يتغدّون فدعوه إلى الغذاء فقال: لولا إنّي صائم لفعلت فلمّا صار إلى منزله أمر بطعام وأن يتنوقوا فيه ثمّ دعاهم فتغدّوه عنده وتغدّى معهم[٣].

وقال عليه السلام: لئن أدخل السوق ومعي دراهم أبتاع به لعيالي لحماً وقد اشتاقوا إليه أحبّ إليّ من أن أعتق نسمة[٤].

مناجات الإمام السجاد عليه السلام

وفي كشف اليقين عن أسباط قال: دخلت مسجد الكوفة فإذا شاب يناجي ربّه ويقول في سجوده: سجد وجهي متعفّراً في التراب لخالقي وحقّ له.

فقمت إليه فإذا هو عليّ بن الحسين عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله تعذّب نفسك وقد فضّلك الله بما فضّلك، فبكى وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا أربعة: عينٌ بكت من خشية الله وعينٌ فقأت في سبيل الله، وعين غضّت عن محارم الله، وعينٌ باتت ساهرة ساجدة يُباهي الله بها الملائكة يقول: أنظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده على طاعتي قد جافى بدنه عن المضاجع يدعوني خوفاً من عذابي وطمعاً في رحمتي إشهدوا أنّي قد غفرت له[٥].

وعن طاووس قال: رأيت رجلاً في المسجد الحرام يصلّي تحت الميزاب ويبكي في دعائه فإذا

---

(١) الوسائل: ٢٥/١٤٩، والبحار: ٦٣/١٤٨. (٢) الدعوات للراوندي: ٣٢ ح ٦٩.
(٣) الكافي: ٢/١٢٣ ح ٨، ووسائل الشيعة: ١٥/٢٧٨ ح ٣، والبحار: ٤٦/٥٥ ح ٢.
(٤) الكافي: ٤/١٢ ح ١٠، وسائل الشيعة: ٢١/٥٤٣ ح ٦.
(٥) كشف الغمة: ٢/٣١١، والبحار: ٤٦/١٠٠.

هو عليّ بن الحسين فقلت له: يابن رسول الله رأيتك على حالة كذا وكذا ولك ثلاثة أرجو أن تأمنك من الخوف أحدها ابن رسول الله والثاني شفاعة جدّك والثالث رحمة الله.

فقال: يا طاووس أمّا أنّني ابن رسول الله ﷺ فلا يؤمنني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وأمّا شفاعة جدّي فلا تؤمنّني لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.

وأمّا رحمة الله فإنّ الله تعالى يقول إنّها قريبة من المحسنين ولا أعلم أنّي محسن[1].

وقال طاووس الفقيه: رأيته يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد فلمّا لم يرَ أحداً رمق السماء بطرفه فقال: إلهي غارت نجوم سمواتك وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمّد ﷺ في عرصات القيامة، ثمّ بكى.

ثمّ قال: وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك وما عصيتك وأنا بك شاكّ ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرّض ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ فأنا الآن من عذابك من يستنقذني ويحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي فوا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا، أمع المخفّين أجوز أم مع المثقلين أحط، ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحيي من ربّي ثمّ بكى وقال: أتحرقني بالنار ياغاية المُنى فأين رجائي ثمّ أين محبّتي أتيت بأعمال قباح رزيّة وما في الورى خلقاً جنى كجنايتي ثمّ بكى وقال: سبحانك تُعصى كأنّك لا ترى وتحلم كأنّك لم تعص، تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنّ بك الحاجة إليهم وأنت يا سيّدي الغنيّ عنهم، ثمّ خرّ إلى الأرض ساجداً فدنوت منه ووضعت رأسه على ركبتي وبكيت حتّى جرت دموعي على خدّيه فاستوى جالساً وقال: من الذي أشغلني عن ذكر ربّي؟

فقلت: أنا طاووس يابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون، أبوك الحسين بن عليّ وأُمّك فاطمة الزهراء وجدّك رسول الله ﷺ.

فقال: هيهات يا طاووس دع عنّي حديث أبي وأمّي وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشيّاً وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشيّاً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدّمها من عمل صالح[2].

وعن الزهري قال: سمعت عَلي بن الحُسَين ـ سيد العابدين ـ يحتسب نفسه ويناجي ربه ويقول:

---

(١) البحار: ٤٦/ ١٠٢ ح ٨٩، وميزان الحكمة: ٤/ ٣٢٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٩١، والصحيفة السجادية: ١٧٧.

يانفسُ حتّام إلى الدنيا غرورك، وإلى عمارتها ركونك؟

أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارته الأرض من ألّافك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقل البلى من أقرانك؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بَوَال دوائرُ
خلت دورهم منها وأقوت عراصهم ... وساقتهمُ نحو المنايا المقادر
وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمتهمُ تحت التراب الحفائر

كم تَخَرّمت أيدي المنون من قرون بعد قرون، وكم غيّرت الأرض ببلاها، وغيبتْ في ثراها ممن عاشرت من صنوف الناس، وشيّعتهم إلى الأرماس.

وأنت على الدنيا مكبّ منافس ... لخطائها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهياً ... أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإنّ امرأ يسعى لدنياه دائباً ... ويذهل عن أخراه لا شكّ خاسر

فحتّام على الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك؟ وقد وخطك القتير[1]، وأتاك النذير، وأنت عما يراد بك ساه، وبلذة نومك لاه.

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى ... عن اللّهو واللّذات للمرء زاجرُ
أبعد اقتراب الأربعين ترتّصُ ... وشيب قذال منذر لك كاسرُ
كأنك تعني بالذي هو صائر ... لنفسك عمداً أو عن الرشد حائر

أنظر إلى الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف أفنتهم الأيام، ووفاهم الحمام، فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم.

وأضحوا رميماً في التراب وعُطّلتْ ... مجالس منهم أقفرتْ ومقاصر
وحلّوا بدار لا تزاور بينهم ... وأنّى لسكان القبور تزاورُ
فَمَا أنْ ترى إلاّ جُثىً قد ثَوَوْا بها ... مُسَطّحة تَسْفي عليها الأعاصر

كم ذي منعة وسلطان، وجنود وأعوان، تمكّن من دنياه، ونال فيها ما تمنّاه، وبنى القصور والدساكر[2]، وجمع الأعلاق[3] والذخائر:

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت ... مبادرةً تهوى عليه الذخائرُ

---

(١) القتير: الشيب، أو أوله (القاموس المحيط).
(٢) الدساكر، هي أبنية كالقصور حولها بيوت، واحدتها دسكرة، (انظر القاموس).
(٣) الأعلاق جمع علق، وهو النفيس من كل شيء (انظر القاموس).

ولا دفعتْ عنه الحصونُ التي بنى وحفّ بها أنهاره والدَّساكر
ولا قارعتْ عنه المنيةُ حيلةً ولا طمعت في الذبّ عنه العساكر

أتاه من الله ما لا يردّ، ونزل به من قضائه ما لا يُصدّ، فتعالى الله الملك الجبار المتكبر القهّار، قاصم الجبارين ومبير المتكبرين:

مليك عزيز لا يُرَدّ قضاؤه حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمر قاهرُ
عنا كلّ ذي عزّ لعِزّة وجهه فكلّ عزيز للمهيمن صاغرُ
لقد خضعتْ واستسلمتْ وتضاءلتْ لعزّة ذي العرش الملوكُ الجبابرُ

فالبدار البدار، والحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتحلّت لك من زينتها، وأظهرت لك من بهجتها:

وفي دون ما عاينت من فَجَعاتها إلى رفضها داع، وبالزهد آمرُ
فجِدّ ولا تغفل فعيشك زائلٌ وأنت إلى دار الإقامة صائرُ
ولا تطلبِ الدنيا فإنّ طلابها وإنْ نلتَ منها غُبْطةً[1] لك ضائرُ

وهل يحرص عليها اللبيب، أو يسرّ بها أريب، وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها؟ أم كيف تنام عينا من يخشى البيات، وتسكن نفس من يتوقع الممات؟

ألا لا ولكنّا نغرّ نفوسنا وتشغلنا اللذات عمّا نحاذر
وكيف يلذّ العيش من هو موقن بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنّما نرى أن لا نشور أو إننا سدى ما لنا بعد الممات مصائر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها، ويتمتع به من بهجتها مع صنوف عجائبها، وكثرة تعبه في طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها؟

وما قد نرى في كل يوم وليلة يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا آفاتها وهمومها وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط بدنياه آمن ولا هو عن بطلانها النفس قاصر

كم قد غرّت الدنيا من مَخْلد إليها، وصرعت من مكبّ عليها، فلم تنعشه من غرته، ولم تقمه من صرعته، ولم تشفه من ألمه، ولم تبره من سقمه.

بلى أوردته بعد عزّ ومنعة موارد سوء ما لهنّ مصادر

---

(١) وهي البلغة من العيش.

فلما رأى أن لا نجاة وأنه هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
تندّمَ إذ لم تغن عنه ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر

بكى على ما سلف من خطاياه، وتحسّر على ما خلف من دنياه، حين لا ينفعه الإستعبار، ولا ينجيه الإعتذار، عند هول المنية، ونزول البلية.

أحاطت به أحزانه وهمومه وأبلس لما أعجزته المعاذر
فليس له من كربة الموت فارج وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خفّ عن عواده، وأسلمه أهله وأولاده، فارتفعت الرنّة بالعويل، وأيسوا من برء العليل، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدّوا عند خروج نفسه رجليه.

فكم موجع يبكي عليه ومفجع ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له اللّه مخلصاً يعدّد منه خير ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته وعمّا قليل كالذي صار صائر

فشق جيوبها نساؤه، ولطم خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجع لرزئه إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمّروا لإبرازه.

وظل أحب القوم كان لقربه يحث على تجهيزه ويبادر
وشمّر من قد أحضروه لغسله ووجه لما قام للقبر حافر
وكفّن في ثوبين واجتمعت له مشيّعة إخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فؤاده، وغشي من الجزع عليه، وخضبت الدموع خديه، وهو يندب أباه ويقول: يا ويلاه.

لعاينت من قبح المنية منظراً يهال لمرآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم إذا ما تناساه البنون الأصاغر
ورنّة نسوان عليه جوازع مدامعهم فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره، فلما استقر في اللحد وهي[1] عليه اللبن، وقد حثوا بأيديهم التراب، وأكثروا التلدد[2] عليه والإنتحاب، ووقفوا ساعة عليه، وآيسوا من النظر إليه.

---

(١) الوهي: الشق في الشيء، وَهَى: تخرق وانشقّ واسترخى رباطه (القاموس).

(٢) التلدد: تلدد تلفت يميناً وشمالا، وتحيّر متبلداً، وتلبث (القاموس).

فولّوا عليه مُغولين وكلهم لمثل الذي لاقى أخوه محاذرُ
كشاء رتاع آمنات بدا لها بمذنبة بادي الذراعين حاسرُ
فريعت ولم ترتع قليلا وأجفلت فلما نأى عنها الذي هو جازر

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها، أفبأفعال البهائم اقتدينا، أم على عادتها جرينا؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى والثرى، المدفوع إلى هول ما ترى.

ثوى مفرداً في لحده وتوزعت مواريثه أرحامه والأواصر
وأخنوا على أمواله يقسمونها بلا حامد منهم عليها وشاكر
فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائر إليها لا محالة؟ أم كيف تهنأ بحياتك، وهي مطيّتك إلى مماتك؟ أم كيف تسيغ طعامك، وأنت منتظر حمامك؟

ولم تتزود للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيكاً مسافر
فيا لهف نفسي كم أسوّف توبتي وعمريَ فان والردى ليَ ناظر
وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عادل الحكم قادر

فكم ترقع بآخرتك دنياك، وتركب في ذلك هواك؟ أراك ضعيف اليقين يا مؤثر الدنيا على الدين. أبهذا أمرك الرحمن، أم على هذا نزل القرآن؟

تخرّب ما يبقى وتعمرُ فانياً فلا ذاك موفورٌ ولا ذاك عامرُ
وهل لك إنْ وافاك حتفُك بغتةً ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر
أترضى بأن تفنى الحياةُ وتنقضي وديئُك منقوصٌ ومالُك وافرُ[1]

وقال الأصمعي: كنت أطوف حول الكعبة ليلة فإذا شاب طريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحيّ القيّوم، غلقّت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرّاسها وبابك مفتوحٌ للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين، ثمّ أنشأ يقول، شعر:

يا من يجيب دعاء المضطرّ في الظلم يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة وأنت وحدك يا قيّوم لم تنم
أدعوك ربّ دعاء قد أمرت به فارحم بكائي بحقّ البيت والحرم

(١) الصحيفة السجادية: ٥٠٦، والبحار: ٤٦/ ٨٧ ح ٧٦.

إن كـان عـفـوك لا يـرجـوه ذو سـرف فـمـن يـجـود عـلـى الـعـاصـيـن بـالـنّـعـم

فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام[١].

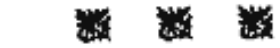

علم علي بن الحسين عليه السلام بالغيب

عن المدائني، قال: قارف الزهري ذنباً فاستوحش من ذلك، وهام على وجهه.

فقال له عَلي بن الحسين: يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كلّ شيء أعظم عليك من ذنبك.

فقال الزهري: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢]، فرجع إلى ماله وأهله[٣].

وعن يزيد بن عياض قال: أصاب الزهري دماً خطأ، فخرج وترك أهله وضرب فسطاطاً، وقال أيظلني سقف بيت، فمرّ به عَلي بن حسين فقال: يابن شهاب، قنوطك أشدّ من ذنبك، فاتّقِ الله، واستغفر، وابعثْ إلى أهله بالديّة، وارجعْ إلى أهلك، فكان الزهري يقول: عَلي بن حسين أعظم الناس عليّ منّة[٤].

وروى الثقة عليّ بن إبراهيم مسنداً إلى الزهري قال: كنت عند عليّ بن الحسين عليه السلام فجاءه رجل من أصحابه وقال: يابن رسول الله إنّي أصبحت وعليَّ أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها ولي عيال ثقال ليس لي ما أعود عليهم به، فبكى بكاءً شديداً.

فقلت: ما يبكيك؟

قال: وهل بعد البكاء إلّا للمحن الكبار، وأيّ محنة أعظم على حرّ مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن حاجة فلا يمكنه سدّها.

فتفرّقوا عن مجلسهم فقال بعض المخالفين وهو يطعن على عليّ بن الحسين: عجباً لهؤلاء يدّعون مرّة أنّ السماء والأرض وكلّ شيء يعطيهم الله ولا يردّهم عن شيء من طلباتهم ثمّ يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح حال خواصّ إخوانهم، فاتّصل ذلك بالرجل صاحب القصة فجاء إلى عليّ بن الحسين فقال: بلغني عن فلان كذا وكذا وكان ذلك عليَّ أشدّ من محنتي.

فقال عليه السلام: قد أذن الله في فرحك يا فلانة إحملي سحوري وفطوري فحملت قرصين فقال: خذهما ليس عندنا غيرهما والله يعطيك بهما خيراً واسعاً فأخذهما ودخل السوق لا يدري ما يصنع

---

(١) الصحيفة السجادية: ٥١٣، والبحار: ٤٦/ ٨٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٩٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤.

بهما، فمرّ بسمّاك قد بارت عليه سمكة وقد أراحت فقال له: سمكتك باثرة عليك وإحدى قرصتي باثرة علي فأعطني سمكتك الباثرة وخُذ قرصي فأعطاه السمكة وأخذ القرصة.

ثمّ مرَّ برجل معه ملح قليل فأعطاه القرصة الأخرى وأخذ منه ملحاً يصلح به السمكة فلمّا شق بطن السمكة وجد فيه لؤلؤتين فاخرتين فحمد الله ثمّ بعد ساعة قرع الباب قارع فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح يقول كلّ واحد له: يا عبد الله جهدنا أن نأكل نحن أو أحد من عيالنا من هذا القرص فلم تعمل فيه أسناننا وما نظنّك إلّا فقيراً وقد رددنا عليك هذا الخبز وطيّبنا لك ما أخذت منّا فأخذ القرصين فلمّا انصرفا قرع الباب قارع فإذا رسول عليّ بن الحسين فقال: يقول لك إنّ الله أتاك الفرج فاردد إلينا طعامنا فإنّه لا يأكله غيرنا.

وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت حاله.

فقال بعض المخالفين: ما أشدّ هذا التفاوت بينا عليّ بن الحسين لا يقدر أن يسدّ منه فاقة إذ أغناه هذا الغناء العظيم.

فقال عليه السلام: قالت قريش للنبيّ صلى الله عليه وآله: كيف يمضي إلى بيت المقدس ويشاهد فيه من آثار الأنبياء من مكّة ويرجع إليها في ليلة واحدة من لا يقدر أن يبلغ من مكّة إلى المدينة إلّا في إثني عشر يوماً وذلك حين هاجر منها.

ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: جهلوا أمر الله وأمر أوليائه إنّ المراتب الرفيعة لا تنال إلّا بالتسليم لله وترك الإقتراح عليه والرضا بما يدبّرهم به، إنّ أولياء الله صبروا على المكاره فجازاهم الله بأن أوجب لهم نجح جميع طلباتهم لكنّهم مع ذلك لا يريدون منه إلّا ما يريده لهم[1].

وفي كتابي الإختصاص والبصائر مسنداً إلى عبد الصمد بن علي قال: دخل رجل على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له: مَن أنت؟

قال: منجّم، قال: فأنت عرّاف ثمّ قال: هل أدلّك على رجل قد مرّ مذ دخلت علينا في أربع عشر عالماً كلّ عالم أكبر من الدُّنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك عن مكانه.

قال: مَن هو؟ قال: أنا وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك[2].

قال السيد الجزائري في الرياض: العرّاف الكاهن وهو إشارة إلى قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: المنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار، والكاهن هو الذي يستخدم بعض الجنّ أو الشياطين يأتيه ببعض أخبار السماوات فيضيف إليها أكاذيب ويخبر الناس بها كما كان في أعصار الجاهلية، وفي وقت ولادته صلى الله عليه وآله منع الشياطين من استراق السمع

(١) أمالي الصدوق: ٥٣٩، والبحار: ٤٦/ ٢٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٢١ ح ١٣، والبحار: ٤٦/ ٢٧ ح ١٢.

وحرست السماء بملك يُقال له إسماعيل معه سبعون ألف ملك يرمون الشياطين بالشهب يحرقون أجنحتهم فهم وإن منعوا من القرب إلى السماء إلّا أنّهم يطيرون في الهواء وربّما وقع إليهم بعض الأخبار الغريبة يلقونهم إلى أوليائهم ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

وأمّا دخوله عليه السلام في تلك العوالم فيمكن أن يكون على طريق الحقيقة بالأبدان المثالية أو على طريق لا نعلمه لكن يجب علينا الإذعان لما لا نتحقّقه ويمكن أن يكون على طريق المجاز ويراد به العلم والإطّلاع التامّ.

وقوله عليه السلام: قد مرّ ربّما كان فيه إشارة إليه وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى في تحقيق هذه العوالم من الأخبار الصحيحة[1].

وفي كتاب المناقب عن الباقر عليه السلام قال: خدم أبو خالد الكابلي عليّ بن الحسين عليهما السلام برهة من الزمان ثمّ شكى شدّة شوقه إلى والدته وسأله الإذن في الخروج إليها فقال عليه السلام: يا كنكر إنّه يقدم علينا رجل من أهل الشام له قدر وجاه ومال وابنة له قد أصابها عارض من الجنّ وهو يطلب معالجاً يعالجها ويبذل في ذلك ماله فإذا قدم فصر إليه وقل له أنا أُعالج ابنتك بعشرة آلاف درهم فإنّه يرضى بقولك، فلمّا كان من الغد قدم الشامي وطلب معالجاً لابنته.

فقال له أبو خالد: أنا أُعالجها بعشرة آلاف درهم فضمن أبوها له ذلك.

فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: إنّه سيغدر بك ثمّ قال: إنطلق فخذ بإذن الجارية اليُسرى وقل: يا خبيث يقول لك عليّ بن الحسين أخرج من هذه الجارية ولا تعد إليها ففعل، فقامت الجارية من جنونها فطالبه بالمال فدافعه فرجع إلى عليّ بن الحسين.

فقال: يا أبا خالد غدر بك ولكن سيعود إليها فإذا أتاك فقل إنّما عاد إليها لأنّك لم تفِ بما ضمنت فإن وضعت عشرة آلاف على يدي عليّ بن الحسين فإنّي أُعالجها، فوضع المال على يد عليّ بن الحسين وذهب أبو خالد إلى الجارية فأخذ بإذنها اليُسرى وقال: يا خبيث يقول لك عليّ بن الحسين: أخرج من هذه الجارية وإن عدت أحرقتك بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، وأفاقت الجارية ولم يعد إليها فأخذ المال حتّى قدم على والدته[2].

روي أنّ رجلاً أتى عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال: أنا منجّم قائف عرّاف فقال: هل أدلّك على رجل قد مرّ منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم؟

قال: مَن هو؟

قال: أمّا الرجل فلا أذكره لك ولكن إن شئت أخبرتك بما أكلت وادّخرت في بيتك.

---

(١) رياض الأبرار، مخطوطة.

(٢) البحار: ٤٦/ ٣٢.

قال: نبئني.

قال: أكلت هذا اليوم جبناً وفي بيتك عشرون ديناراً منها ثلاثة دنانير وازنة يعني صحيحة الوزن.

فقال له الرجل: أشهد أنّك الحجّة العظمى والمثل الأعلى وكلمة التقوى.

فقال له: وأنت صدّيق امتحن الله قلبك بالإيمان وأثبت[١].

و عن مَعْمَر قال: كان هشام بن إسْمَاعيل عُزل ووقف للناس بالمدينة، فمرّ به عَلي بن الحُسَين فأرسل إليه: إستعن بنا على من شئت.

فقال هشام: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٢]، وقد كان ناله أو بعض أهله بشيء يكرهه، إذ كان أميراً[٣].

معاجز وكرامات علي بن الحسين عليه السلام

في كتاب عيون المعجزات للمرتضى رحمه الله عن أبي خالد كنكر الكابلي أنّه قال: لقيني يحيى بن أُمّ الطويل رفع الله درجته وهو ابن داية زين العابدين عليه السلام فأخذ بيدي وصرت معه إليه فرأيته جالساً في بيت مفروش بالمعصفر مزيّن الحيطان عليه ثياب مصبّغة فلم أطل عنده الجلوس فلمّا أن نهضت قال: سر إليّ غداً إن شاء الله.

فخرجت من عنده وقلت ليحيى: أدخلتني على رجل يلبس الصبغات، وعزمت على أن لا أرجع إليه، ثمّ فكّرت في أنّ رجوعي غير ضائر فرجعت إليه في غد فوجدت الباب مفتوحاً فناداني من داخل الدار يا كنكر، وهذا إسم سمّتني به أُمّي لا يعلمه أحد فوجدته جالساً في بيت مطين على حصير من البردي وعليه قميص كرابيس وعنده يحيى فقال لي: يا أبا خالد إنّي قريب العهد بعروس وأنّ الذي رأيت بالأمس من رأي المرأة ولم أرد مخالفتها ثمّ قام وأخذ بيدي ويد يحيى ومضى بنا إلى بعض الغدران فوقفنا ننظر إليه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ومشى على الماء حتّى رأينا كعبه يلوح فوق الماء.

فقلت: الله أكبر الله أكبر أنت الكلمة الكبرى والحجّة العظمى صلوات الله عليك.

ثمّ قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليم: المدخل فينا من

---

(١) دلائل الإمامة: ٢١٠ ح ٢٣، والبحار: ٤٦ ـ ٤٢ ح ٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) تاريخ دمشق: ٤١/ ٣٩٤.

ليس منّا والمخرج منّا من هو منّا والقائل إنّ لهما في الإسلام نصيباً أعني هذين الصفتين[١].

وفي كتاب الاحتجاج عن ثابت البناني قال: كنت حاجّاً وجماعة عبّاد البصري مثل أيّوب السجستاني وحبيب الفارسي فلمّا دخلنا مكّة رأينا الماء قليلاً لقلّة الغيث ففزع إلينا الناس يسألونا أن نستسقي لهم فأتينا الكعبة وطفنا بها ثمّ سألنا الله خاضعين متذلّلين فمنعنا الإجابة فبينا نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل قد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالكعبة أشواطاً ثمّ أقبل علينا وقال: يا مالك بن دينار ويا فلان ويا فلان.

قلنا: لبّيك يا فتى.

فقال: ما فيكم أحد يجبه الرحمن؟

فقلنا: يا فتى علينا الدّعاء وعليه الإجابة.

فقال: ابعدوا عن الكعبة فأتى الكعبة وخرّ ساجداً فقال في سجوده: سيّدي بحبّك لي لأسقيتهم الغيث، فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب.

فقلت: يا فتى من أين علمت أنّه يحبّك؟

قال: لو لم يحببني لم يستزرني، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني فسألته بحبّه لي فأجابني ثمّ ولّى وأنشأ يقول، شعر:

من عرف الربّ فلم تغنه ... معرفة الربّ فذاك الشقيّ

ما ضرّ في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقي

ما يصنع العبد بغير التّقى ... والعزّ كلّ العزّ للمتّقي

فقلت: يا أهل مكّة مَن هذا الفتى؟

قالوا: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب[٢].

وفي كتاب الأنوار أنّه عليه السلام كان قائماً يصلّي فوقف ابنه على بئر في داره بعيدة القعر وسقط فيها فصرخت أُمّه وقالت: يابن رسول الله غرق ولدك محمّد وهو لا يلتفت ويسمع اضطراب ابنه في قعر البئر فلمّا طال عليها ذلك قالت: ما أقسى قلوبكم يا أهل بيت رسول الله.

فلمّا فرغ من الصلاة مدّ يده إلى البئر وكانت لا تنال إلّا بالرشا الطويل فأخرج إبنه محمّداً على يديه يناغي ويضحك لم يبتل له ثوب فقال: هاك يا ضعيفة اليقين لو علمت أنّي كنت بين يدي جبّار لو ملت بوجهي عنه لمال بوجهه عنّي[٣].

---

(١) عيون المعجزات: ٦٤، والبحار: ٤٦/ ١٠٣ ح ٩٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٨٢، والبحار: ٤٦/ ٥١.

(٣) ولائل الإمامة: ١٩٨ ح ١، والبحار: ٤٦/ ٣٥ ح ٢٩.

قال السيد الجزائري في الرياض: صرّح الفقهاء طيّب ثراهم بوجوب قطع الصلاة عند سقوط نفس محترمة في البئر ونحوه، والإمام عليه السلام هنا لم يقطع صلاته وهل يجوز لغيره أن يقتدي به في مثل هذه الحالة؟ قلنا: لا يجوز، وذلك أنّ عدم قطعه عليه السلام للصلاة إمّا لأنّه لم يشعر ولم يعلم بوقوعه في البئر، وإمّا لأنّ توكّله على الله سبحانه بلغ إلى حدّ حصل معه العلم القطعي بأنّ الله سبحانه سيحفظ ولده في البئر كما حفظ يوسف وهذا المقام لا يحصل لغيره، ولو اتّفق حصوله لأحد لم يجب عليه قطع الصلاة بل يجوز له[١].

وفي كتابي الاختصاص والبصائر مسنداً إلى عبد الصمد بن علي قال: دخل رجل على عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال له: مَن أنت؟

قال: منجّم، قال: فأنت عرّاف ثمّ قال: هل أدلّك على رجل قد مرّ مذ دخلت علينا في أربع عشر عالماً كلّ عالم أكبر من الدُّنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك عن مكانه.

قال: مَن هو؟ قال: أنا وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك[٢].

قال السيد الجزائري في الرياض: العرّاف الكاهن وهو إشارة إلى قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: المنجّم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار، والكاهن هو الذي يستخدم بعض الجنّ أو الشياطين يأتيه ببعض أخبار السماوات فيضيف إليها أكاذيب ويخبر الناس بها كما كان في أعصار الجاهلية، وفي وقت ولادته عليه السلام منع الشياطين من استراق السمع وحرست السماء بملك يُقال له إسماعيل معه سبعون ألف ملك يرمون الشياطين بالشهب يحرقون أجنحتهم فهم وإن منعوا من القرب إلى السماء إلّا أنّهم يطيرون في الهواء وربّما وقع إليهم بعض الأخبار الغريبة يلقونهم إلى أوليائهم ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[٣].

وأمّا دخوله عليه السلام في تلك العوالم فيمكن أن يكون على طريق الحقيقة بالأبدان المثالية أو على طريق لا نعلمه لكن يجب علينا الإذعان لما لا نتحقّقه ويمكن أن يكون على طريق المجاز ويراد به العلم والاطّلاع التامّ.

وقوله عليه السلام: قد مرّ ربّما كان فيه إشارة إليه وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى في تحقيق هذه العوالم من الأخبار الصحيحة.

وفي أمالي الشيخ طاب ثراه قال: خرج عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى مكّة حاجّاً حتّى انتهى إلى

---

(١) رياض الأبرار: ، مخطوطة.

(٢) بصائر الدرجات: ٤٢١ ح ١٣، والبحار: ٢٧/٤٦ ح ١٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

واد فإذا هو برجل يقطع الطريق فقال لعليّ بن الحسين: انزل أُريد أن أقتلك وآخذ مالك.

قال: أنا أُقاسمك ما معي وأحلّلكك.

فقال اللصّ: لا.

قال: فدع معي ما أتبلّغ به فأبى، قال: فأين ربّك؟

قال: نائم، فإذا أسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجله قال: زعمت أنّ ربّك عنك نائم؟[1].

وفي كتاب كمال الدّين مسنداً إلى محمّد بن علي الباقر عليه السلام: إنّ حبّابة الوالبية دعا لها عليّ بن الحسين عليه السلام فردّ الله عليها شبابها وأشار إليها بإصبعه فحاضت لوقتها ولها يومئذ مائة سنة وثلاثة عشر سنة[2].

وفي الخرائج: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: موت الفجأة تخفيف على المؤمن وأسف على الكافر وأنّ المؤمن ليعرف غاسله وحامله فإن كان له عند ربّه خير ناشد حملته أن يعجّلوا به وإن كان غير ذلك ناشدهم أن يقصّروا به.

فقال ضمرة بن سمرة: لو كان كما يقول وثب من السرير، وضحك وأضحك.

فقال عليه السلام: اللّهم إنّ ضمرة ضحك وأضحك لحديث رسول الله فخذه أخذة أسف فمات فجأة فأتى مولى لضمرة زين العابدين عليه السلام فقال: آجرك الله في ضمرة مات فجأة إنّي لأقسم لك إنّي سمعت صوته وأنا أعرفه كما كنت أعرفه في حياته في الدُّنيا وهو يقول: الويل لضمرة حللت بدار الجحيم وبها مبيتي والمقيل، فقال عليّ بن الحسين: الله أكبر هذا جزاء من ضحك وأضحك من حديث رسول الله[3].

قال السيد الجزائري في الرياض: أمّا إنّ موت الفجأة تخفيف على المؤمن فلأنّه راحة معجّلة ودليل على أنّ المؤمن لم يبق عليه من الذّنب ما يحتاج إلى تكفيره، كما ورد في أنّ الأمراض كفّارات للذنوب وأنّ ما يصيب المؤمن من المرض والوجع قبل حلول الموت فهو كفّارة له، وأمّا إنّه أسف على الكافر فلأنّ الأمراض تبعث إلى الرجوع إلى الحقّ والتوبة عن القبيح فلو لم يمت فجأة لربما دخل في الإسلام فهو يأسف ويندم بعد الموت على ما قصّر فيه. نعم، ورد الإستعاذة من موت الفجأة لفوت الأجر المترتّب على المرض ولعدم تدارك الوصية المأمور بها وفي تركها تضييع مال الوارث أو مال الناس ولتمتّع أهله بالنظر إليه أيّام المرض وأنّهم يرفعون نفوسهم عن حياته شيئاً

(١) أمالي الصدوق: ٦٧٣ ح ١٤٢١، والبحار: ٤٦/٤١ ح ٣٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٣٧، والبحار: ٢٥/١٧٨ ح ٢.

(٣) الصحيفة السجادية: ١٤٤، ومختصر بصائر الدرجات: ٩١.

بعد شيء إلى أن يسهل عليهم حكاية موته وموت الفجأة يهجم عليهم بقطع حياته وحلول الموت به.

وفي كتاب الخرائج: إنّ زين العابدين عليه السلام كان يخرج إلى ضيعة له فإذا هو بذئب معه ليس عليه شعر قد قطع على الصادر والوارد فدنا منه ووعوع فقال: إنصرف فإنّي أفعل إن شاء الله فانصرف الذئب فقيل: ما شأن الذئب؟ قال: أتاني وقال: زوجتي عسر عليها ولادتها فأغثني وأغثها بأن تدعو بتخليصها ولك الله أن لا أتعرّض أنا ولا شيء من نسلي لأحد من شيعتك، ففعلت.

وفيه أيضاً: أنّ أبا بصير قال: حدّثني الباقر عليه السلام أنّ عليّ بن الحسين قال: رأيت الشيطان في النوم فواثبني فرفعت يدي فكسرت أنفه فأصبحت وأنا على ثوبي كأثر دم[1].

وروي أيضاً أنّ موسى عليه السلام لطمه على وجهه فاعورّت عينه.

وروي أيضاً أنّ إدريس عليه السلام لمّا كان يخيّط في مسجد الكوفة وأتاه إبليس وسأله حديث البيضة فقال: أدن منّي فلمّا دنى منه الشيطان غرز الابرة في عينيه فقال رَبّي قادر على مثل هذا فاعورّت عينه فهو أعور على كلّ حال.

وفيه أيضاً أنّ يدي رجل وامرأة التصقتا على الحجر وهما في الطواف وجهد كلّ أحد على نزعهما فلم يقدر فقال الناس: إقطعوهما، فبينما هم كذلك إذ دخل زين العابدين عليه السلام ووضع يده عليهما فانحلّتا وافترقتا[2].

قال السيد الجزائري في الرياض: رأيت في مرّة من زياراتي لقبر مولاي أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنّ يدي رجل التصقت بالشبّاك الشريف وما انفصلت إلّا بعد مدّة وطول تضرّع وبكاء من ذلك الرجل ومن الزوّار حتّى نوى التوبة النصوح والظاهر أنّه كان عشّاراً[3].

وفيه أيضاً أنّ الحجّاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل عليّ بن الحسين فكتب إليه عبد الملك: أمّا بعد فجنّبني دماء بني هاشم واحقنها فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولغوا فيها لم يلبثوا أن أزال الله المُلك منهم، وبعث بالكتاب أيضاً سرّاً إليه، فكتب عليّ بن الحسين إلى عبد الملك في الساعة التي أنفذ فيها الكتاب إلى الحجّاج: وقفت على ما كتبت في دماء بني هاشم وقد شكر الله لك ذلك وثبّت لك ملكك وزاد في عمرك وبعث به مع غلام له بتاريخ الساعة التي أنفذ فيها عبد الملك كتابه إلى الحجّاج فلمّا قدم الغلام ونظر عبد الملك في تاريخ الكتاب فوجده موافقاً لتاريخ كتابه فلم يشكّ في صدق زين العابدين ففرح بذلك وبعث إليه بوقر دنانير وسأله أن يبسط إليه بجميع حوائجه.

---

(١) الخرائج والجرائح: ٢/ ٥٨٤ ح ٣، والبحار: ٤٦/ ٢٨ ح ١٧.

(٢) الخرائج والجرائح: ٢/ ٥٨٤ ح ٥، وبصائر الدرجات: ١٧ ح ١.

(٣) رياض الأبرار، مخطوط.

وكان في كتابه عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني في النوم فعرّفني ما كتبت به إليك وما شكر من ذلك[١].

وفي الخرائج روي عن الباقر عليه السلام كان عبد الملك يطوف بالبيت وعليّ بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟

فقيل له: عليّ بن الحسين.

فقال: ردّوه إلي فردّوه فقال: يا عليّ بن الحسين إنّي لستُ قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إليّ.

قال: إنّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه وأفسد أبي عليه بذلك آخرته فإن أحببت أن تكون كهو فكن.

فقال: كلّا ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا.

فجلس زين العابدين عليه السلام وبسط رداءه وقال: اللّهم أره حرمة أوليائك عندك، فإذا إزاره مملوّة درراً شعاعها يخطف الأبصار.

فقال له: من يكون هذا حرمته عند ربّه يحتاج إلى دنياك؟

ثمّ قال: اللّهم خذها فلا حاجة لي فيها[٢].

خدمة الملائكة لعلي بن الحسين عليه السلام

وعن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فاحتبست في الدار ساعة ثمّ دخلت البيت وهو يلقط شيئاً فناوله من وراء الستر.

فقلت: أيّ شيء هذا؟

قال: فضلة من زغب الملائكة وإنّهم ليزاحمونا على متكئنا[٣].

(١) الخرائج والجرائح: ١/٢٥٦ ح ٢، والبحار: ٤٦/١٢٠ ح ١١.

(٢) الصحيفة السجادية: ٦٠٤.

(٣) الكافي: ٤/٣٩٤ ح ٣، والبحار: ٢٦/٣٥٣ ح ٨.

علي بن الحسين عليه السلام يكلم حوت يونس

وفي كتاب الكشي عن أبي حمزة الثمالي إنّه دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال: يابن الحسين أنت الذي تقول إنّ يونس بن متي إنّما لقى من الحوت ما لقى لأنّه عرضت عليه ولاية جدّي فتوقّف عندها؟

قال: بلى ثكلتك أُمّك.

قال: فأرني ذلك إن كنت من الصادقين فأمر بشدّ عينيه بعصابة وشدّ عيني بعصابة ثمّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فإذا نحن على شاطئ بحر تضطرب أمواجه.

فقال ابن عمر: يا سيّدي دمّي في رقبتك الله الله في نفسي.

فقال: هيه وأريه إن كنت من الصادقين.

ثمّ قال: يا أيّتها الحوت، فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبّيك لبّيك يا وليّ الله.

فقال: مَن أنت؟

قال: أنا حوت يونس.

قال: أنبئنا بالخبر.

قال: يا سيّدي إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً إلى أن صار جدّك محمّد إلّا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلّص ومن توقّف عنها وتتعتع في حملها لقى ما لقي آدم من المعصية، وما لقي نوح من الغرق وما لقي إبراهيم من النار، وما لقى يوسف من الجبّ وما لقي أيّوب من البلاء وما لقى داود من الخطيئة إلى أن بعث الله يونس فأوحى إليه يايونس تولّى أمير المؤمنين عليّاً والأئمّة الراشدين من صلبه.

قال: كيف أتولّى مَن لم أره وأعرفه وذهب مغتاظاً.

فأوحى الله تعالى إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ينادي أن لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين قد قبلت ولاية عليّ بن أبي طالب والأئمّة الراشدين من ولده.

فلمّا أن آمن بولايتكم أمرني ربّي فقذفته على ساحل البحر.

فقال زين العابدين عليه السلام: إرجع أيّها الحوت إلى وكرك واستوى الماء[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٨١، والبحار: ١٤/ ٤٠٢ ح ١٥.

كلام علي بن الحسين عليه السلام للغزال

في كتاب الدلائل لعبد الله الحميري: كان عليّ بن الحسين عليه السلام في سفر يتغدّى فأقبل غزال في ناحية يتقمم.

فقال: أدن فكُلْ فأنت آمن فدنى وأكل فأخذ رجل حصاة رمى بها ظهره فنفر الغزال.

فقال عليه السلام: نقضت ذمّتي لا كلّمتك كلمة أبداً[1].

كلام علي بن الحسين عليه السلام للجن

في كتاب الدلائل للطبري قال: خرج عليّ بن الحسين عليه السلام إلى مكّة في جماعة معه فلمّا بلغ عسفان ضرب مواليه فسطاطه في موضع منها فقال لمواليه: كيف ضربتم هذا الموضع وهذا موضع قوم من الجنّ هم شيعتنا وذلك يضيق عليهم.

فقلنا: ما علمنا ذلك وعمدوا إلى قلع الفسطاط وإذا هاتف نسمع صوته ولا نرى شخصه يقول: يابن رسول الله لا تحوّل فسطاطك فإنّا نحتمل لك ذلك وهذا الطبق قد أهديناه إليك ونحبّ أن تنال منه لنسرّ بذلك فإذا جانب الفسطاط طبق عظيم وأطباق معه فيها عنب ورمّان وموز وفاكهة كثيرة فدعى عليه السلام من كان معه فأكل وأكلوا من تلك الفاكهة[2].

علم علي بن الحسين عليه السلام بلغة الحيوانات

وفيه أيضاً عن أبي بصير عن رجل قال: خرجت مع عليّ بن الحسين عليه السلام إلى مكّة فرأى غنماً وإذا نعجة تخلّفت عن الغنم وهي تثغو ثغاءً شديداً وتلتفت وإذا سخلة خلفها تثغو وتشتدّ في طلبها فقال عليه السلام: أتدري ما قالت النعجة؟

قلت: لا.

قال: تقول لها إلحقي بالغنم فإنّ اختها عام أوّل تخلّفت في هذا الموضع فأكلها الذئب[3].

وفي كتاب الإختصاص بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين مع أصحابه

---

(١) البحار: ٤٦/ ٤٣ ح ٤٢، وكشف الغمة: ٢/ ٣٢٠.

(٢) البحار: ٤٦/ ٤٥ ح ٤٥.

(٣) دلائل الإمامة: ٢٠٦ ح ١٧، والبحار: ٤٦/ ٢٤ ح ٦.

في طريق مكّة فمرّ ثعلب وهم يتغدّون فقال لهم: أعطوني موثقاً من الله لا تهيجون هذا الثعلب ودعوه حتّى يجيئني فحلفوا له، فقال: يا ثعلب تعال، فجاء حتّى أقعى بين يديه فطرح له عظماً فيه لحم فولّى به يأكله[١].

وفيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا عليّ بن الحسين مع أصحابه إذ أقبلت ظبية من الصحراء حتّى أقامت حذاؤه وصوّتت فقال بعضهم: ما تقول هذه الظبية؟ قال: تزعم أنّ فلاناً القرشي أخذ خشفها بالأمس وأنّها لم ترضعه من أمس، فبعث إليه عليّ بن الحسين عليه السلام: إبعث إليّ بالخشف، فلمّا رأته صوّتت وضربت بيديها ثمّ أرضعته فوهبه عليّ بن الحسين لها وكلّمها بنحو من كلامها وانطلقت والخشف معها.

فقالوا: يابن رسول الله ما الذي قالت: قال تقول: ردّ الله عليكم كلّ غائب وغفر لعليّ بن الحسين كما ردّ عليّ ولدي[٢].

❀ ❀ ❀

معرفة علي بن الحسين عليه السلام بلغة الطيور

وقال أبو حمزة الثمالي: كنت يوماً عند علي بن الحسين، فإذا عصافير يطرن حوله يصرخن.

فقال عليه السلام: يا أبا حمزة هل تدري ما تقول هذه العصافير؟.

فقلت: لا.

قال عليه السلام: فإنها تقدّس ربّها وتسأله قوت يومها[٣].

❀ ❀ ❀

إحياء علي بن الحسين عليه السلام لميت

قال العلامة المجلسي: رأيت في بعض مؤلفات أصحابنا: روي أن رجلاً مؤمنا من أكابر بلاد بلخ كان يحج البيت ويزور النبي في أكثر الاعوام، وكان يأتي علي بن الحسين عليه السلام ويزوره ويحمل إليه الهدايا والتحف ويأخذ مصالح دينه منه، ثم يرجع إلى بلاده فقالت له زوجته: أراك تهدي تحفا كثيرة ولا أراه يجازيك عنها بشي، فقال: إن الرجل الذي نهدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه لأنه خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده، وهو ابن رسول

(١) البحار: ٤٦/ ٢٥ ح ٧.

(٢) البحار: ٤٦/ ٢٦ ح ١١، وبصائر الدرجات: ٣٧٣.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٤٠، مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٤٥.

الله ﷻ وإمامنا، فلما سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته، ثم إن الرجل تهيأ للحج مرة أخرى في السنة القابلة، وقصد دار علي بن الحسين عليه السلام فاستأذن عليه، فأذن له فدخل فسلم عليه وقبل يديه، ووجد بين يديه طعاماً فقرّبه إليه وأمره بالأكل معه فأكل الرجل، ثم دعا بطست وإبريق فيه ماء، فقام الرجل، وأخذ الابريق وصب الماء على يدي الامام عليه السلام فقال عليه السلام: يا شيخ أنت ضيفنا فكيف تصب على يدي الماء؟

فقال: إني أحب ذلك.

فقال الامام عليه السلام: لما أحببت ذلك فوالله لأرينك ما تحب وترضى وتقر به عيناك.

فصب الرجل على يديه الماء حتى امتلأ ثلث الطست، فقال الامام عليه السلام: للرجل ما هذا؟

فقال: ماء.

قال الامام عليه السلام: بل هو ياقوت أحمر، فنظر الرجل، فإذا هو قد صار ياقوتا أحمر باذن الله تعالى.

ثم قال عليه السلام: يا رجل صب الماء فصب حتى امتلأ ثلثا الطست فقال عليه السلام: ما هذا؟

قال: هذا ماء.

قال عليه السلام: بل هذا زمرد أخضر فنظر الرجل فإذا هو زمرد أخضر.

ثم قال عليه السلام: صب الماء فصبه على يديه حتى امتلأ الطست فقال: ما هذا؟

فقال: هذا ماء، قال عليه السلام: بل هذا در أبيض، فنظر الرجل إليه، فإذا هو در أبيض، فامتلأ الطست من ثلاثة ألوان: در وياقوت وزمرد فتعجب الرجل وانكب على يديه عليه السلام يقبلهما.

فقال عليه السلام: يا شيخ لم يكن عندنا شيء نكافيك على هداياك إلينا، فخذ هذه الجواهر عوضاً عن هديتك، واعتذر لنا عند زوجتك لأنها عتبت علينا، فأطرق الرجل رأسه وقال: يا سيدي من أنبأك بكلام زوجتي؟ فلا أشك أنك من أهل بيت النبوة.

ثم إن الرجل ودع الإمام عليه السلام وأخذ الجواهر وسار بها إلى زوجته، وحدثها بالقصة فسجدت لله شكراً وأقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه إليه عليه السلام فلما تجهز بعلها للحج في السنة القابلة أخذها معه، فمرضت في الطريق وماتت قريباً من المدينة، فأتى الرجل الإمام عليه السلام باكياً وأخبره بموتها، فقام الإمام عليه السلام وصلى ركعتين ودعا الله سبحانه بدعوات، ثم التفت إلى الرجل، وقال له: ارجع إلى زوجتك فإن الله عزّ وجلّ قد أحياها بقدرته وحكمته وهو يحيي العظام وهي رميم.

فقام الرجل مسرعاً فلما دخل خيمته وجد زوجته جالسة على حال صحتها، فقال لها: كيف أحياك الله؟

قالت: والله لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي وهَمّ أن يصعد بها، فإذا أنا برجل صفته كذا وكذا ـ وجعلت تعد أوصافه عليه السلام ـ وبعلها يقول: نعم صدقت هذه صفة سيدي ومولاي علي بن الحسين عليه السلام.

قالت: فلما رآه ملك الموت مقبلاً انكب على قدميه يقبلهما ويقول: السلام عليك يا حجة الله في أرضه، السلام عليك يا زين العابدين، فرد عليه السلام وقال له: يا ملك الموت أعد روح هذه المرأة إلى جسدها، فإنها كانت قاصدة إلينا وإني قد سألت ربي أن يبقيها ثلاثين سنة أخرى ويحييها حياة طيبة لقدومها إلينا زائرة لنا، فقال الملك: سمعاً وطاعة لك يا ولي الله، ثم أعاد روحي إلى جسدي، وأنا أنظر إلى ملك الموت قد قبل يده عليه السلام وخرج عني، فأخذ الرجل بيد زوجته وأدخلها إليه عليه السلام وهو ما بين أصحابه، فانكبت على ركبتيه تقبلهما وهي تقول: هذا والله سيدي ومولاي، وهذا هو الذي أحياني الله ببركة دعائه.

قال: فلم تزل المرأة مع بعلها مجاورين عند الامام عليه السلام بقية أعمارهما إلى أن ماتا رحمة الله عليهما[1].

قدرة علي بن الحسين عليه السلام

وفي كتاب مشارق الأنوار أنّ رجلاً قال لعليّ بن الحسين: بماذا فضّلنا على أعدائنا وفيهم من هو أجمل منّا؟

فقال عليه السلام: تحبّ أن ترى فضلك عليهم؟

قال: نعم.

فمسح يده على وجهه فقال: أنظر فنظر واضطرب.

وقال: جعلت فداك ردّني إلى ما كنت فإنّي لم أرَ في المسجد إلّا دبّاً وقرداً وكلباً فمسح يده فعاد إلى حاله[2].

عبادة علي بن الحسين عليه السلام

في كتاب الاختصاص أنّ أبا إسحاق الهمداني كان من ثقاة عليّ بن الحسين عليه السلام صلّى

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٧/٦٤.
(٢) البحار: ٤٩/٤٦.

أربعين سنة صلاة الغداء بوضوء العتمة وكان يختم القرآن في كلّ ليلة وقبض وله تسعون سنة[١].

وعن أبُو نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه عَلي بن الحُسَين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يابن رَسُول الله النار، يا ابن رَسُول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قال: ألهاني عنها النار الأخرى[٢].

وعن عن عَبْد الله بن أبي سليمان قال: كان عَلي بن الحُسَين إذا مشى لا تجاوز يديه فخذيه، ولا يخطر بيده قال: وكان إذا قام إلى الصّلاة أخذته رعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي؟[٣].

وعن عَبْد الرَّحْمن بن جعفر الهاشمي قال: كان عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب إذا توضأ اصفرّ، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟

فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟[٤]

وعن سفيان بن عيينة قال: حجّ عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه، وانتفض ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: ما لك لا تلبّي؟

فقال: أخشى أن أقول لبيك، فيقول لي: لا لبيك، فقيل له: لا بدّ من هذا، قال: فلما لبّى غشي عليه وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجّه[٥].

مُصْعَب بن عَبْد الله قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ولقد أحرم عَلي بن الحُسَين، فلما أراد أن يقول: لبيك اللّهم لبيك قالها فأُغْمي عليه حتى سقط من راحلته، فهشم، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات، وكان يسمى بالمدينة زين العابدين لعبادته[٦].

عَن طاوس قال: إنّي لفي الحِجْر ليلةً إذ دخل الحِجْر عليّ بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب، فقلت: رجل صالح من أهل بيت النبوة، لأستمعن إلى دعائه الليلة، قال: فقام يصلّي إلى السحر، ثم سجد سجدة، فجعل يقول في سجوده: عبدك يا رب نزل بفنائك، مسكينك يا رب بفنائك، فقيرك يا رب بفنائك، قال طاوس: فحفظتهن، فما دعوتُ بهنّ في كَرْب إلّا فرّج عني[٧].

---

(١) الإختصاص: ٨٣، والبحار: ١١/ ٣٣.

(٢) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٤١، ومناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٦٣، وصفة الصفوة ٢/ ٩٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٦، والإرشاد ٢/ ١٤٣، العقد الفريد ٣/ ١١٤، حلية الأولياء ٣/ ١٣٣، أعلام الورى ١/ ٤٨٨، صفة الصفوة ٢/ ٩٣، مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ١٦١، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٦.

(٤) عوالي اللئالي: ١/ ٣٢٤، وتهذيب الكمال: ٢٠/ ٣٩٠.

(٥) تاريخ دمشق: ٤١/ ٣٨٠.

(٦) سير أعلام البلاء ٤/ ٣٩٢، وكتاب المجالسة للدينوري: ١٢٠.

(٧) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٣٨٠.

عن زيد بن أسلم قال: كان من دعاء عَلي بن الحسين: اللّهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني[١].

وعن الزهري قال: دخلت مع عليّ بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان فاستعظم ما رأى من آثار السجود بين عينيّ عليّ بن الحسين فقال: يا أبا محمّد لقد بان عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت من رسول الله ثمّ أطرى عليه فقال عليّ بن الحسين عليه السلام كلّما ذكرته ووصفته من فضل الله فأين شكره على ما أنعم؛ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتّى تورم قدماه ويظمأ في الصيام حتّى يعصب فوه فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟

فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً، الحمد لله على ما أولى والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري أن أقوم لله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادّون لا والله، أو يراني الله لا يشغلني عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرٌّ ولا علانية، ولولا أنّ لأهلي حقّاً عليّ ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أؤدّيها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثمّ لم أرددهما حتّى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين.

وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك وقال: شتّان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدُّنيا من أين جاءته ما له في الآخرة من خلاق، ثمّ أقبل يسأله عن حاجاته وعمّا قصد له فوصله بمال وشفّعه فيمن شفع به[٢].

وفي كتاب الأنوار أنّ إبليس تصوّر لعليّ بن الحسين عليه السلام وهو قائم يصلّي في صورة أفعى له عشرة رؤوس محدّدة الأنياب متقلّبة الأعين بحمرة فطلع عليه من جوف الأرض من موضع سجوده، ثمّ تطاول في محرابه فلم يفزعه ذلك ولم يكسر طرفه إليه، فانقضّ على رؤوس أصابعه يعضّها بأنيابه وينفخ عليها من نار جوفه وهو لا يكسر طرفه إليه ولا يختلجه شكّ ولا وهم في صلاته ولا في قراءته فلم يلبث إبليس حتّى انقضّ إليه شهاب محرق من السماء فلمّا أحسّ به صرخ وقام إلى جانب عليّ بن الحسين في صورته الأولى ثمّ قال: يا عليّ أنت سيّد العابدين كما سمّيت وأنا إبليس، والله لقد رأيت عبادة النبيّين من عهد آدم إليك فما رأيت مثلك ولا مثل عبادتك، ثمّ تركه وولّى واستمر في صلاته لا يشغله كلامه حتّى قضى صلاته على تمامها[٣].

وفي الأمالي مسنداً إلى الباقر عليه السلام أنّ فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب لمّا نظرت إلى ما يفعل

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٣٩٦.
(٢) البحار: ٤٦/٥٧.
(٣) دلائل الإمامة: ١٩٧، والبحار: ٤٦/٥٨ ح ١١.

ابن أخيها عليّ بن الحسين عليه السلام بنفسه من التعب في العبادة قالت لجابر الأنصاري: يا صاحب رسول الله إنّ لنا عليكم حقوقاً، من حقّنا عليكم إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً في العبادة أن تذكروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه وهذا عليّ بن الحسين بقيّة أبيه قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه اجتهاداً في العبادة.

فأتى جابر باب عليّ بن الحسين وباب أبي جعفر محمّد بن عليّ في غلمان بني هاشم فنظر إليه مقبلاً فقال: هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسجيته فمن أنت يا غلام؟

قال: أنا محمّد بن عليّ، فبكى جابر ثمّ قال: أنت والله الباقر عن العلم حقّاً، فدنى منه جابر وحلّ أزراره ووضع يده على صدره فقبّله وجعل عليه وجهه وخدّه وقال له: ائذن لي على أبيك.

فدخل وأخبره بما فعل معه فدخل عليه فوجده في محرابه قد أضنته العبادة، فنهض عليّ عليه السلام وسأله عن حاله سؤالاً حفيّاً ثمّ أجلسه بجنبه فقال جابر: يابن رسول الله أما علمت أنّ الله تعالى خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟

قال: ياصاحب رسول الله أما علمت أنّ الله تعالى غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر فلم يدع الإجتهاد وتعبّد حتّى انتفخ السّاق وورم القدم وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك الذنوب؟

قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، يا جابر لا أزال على منهاج أبوي حتّى ألقاهما؟

فقال جابر: ما أرى في أولاد الأنبياء مثل عليّ بن الحسين إلّا يوسف بن يعقوب، وذريّة عليّ بن الحسين أفضل من ذرّية يوسف، إنّ منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام، كانت له خمسمائة نخلة كان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين.

ولقد صلّى ذات يوم فسقط الرداء عن منكبيه فلم يسوه حتّى فرغ فسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال: ويحك أتدري بين يديّ مَن كنت؟ إنّ العبد لا يقبل من صلاته إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه.

فقال الرجل: هلكنا.

فقال: كلّا، إنّ الله عزّ وجلّ متمّم ذلك بالنوافل[2].

وفي الاحتجاج عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن فربما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته وأنّ الإمام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس فقيل له: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٣٧، والبحار: ٤٦/ ٦١ ح ١٨.

(٢) الخصال: ٥١٧، والبحار: ٤٦/ ٦٢ ح ١٩.

فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان يحمّل من خلفه ما يطيقون[١].

وقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد اصفرّ لونه من السهر ورمصت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود وورمت قدماه من القيام في الصلاة، قال: فبكيت رحمةً له فالتفت إليّ وقال: يا بُني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأعطيته فقرأ فيها شيئاً ثمّ تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة عليّ بن أبي طالب[٢].

وعن طاووس قال: دخلت الحجر في الليل فإذا عليّ بن الحسين عليهما السلام قد دخل فقام يصلّي ثمّ سجد فسمعته يقول في سجوده: عبيدك بفنائك فقيرك بفنائك سائلك بفنائك. قال طاووس: ما دعوت بهنّ في كرب إلّا فرّج الله عنّي[٣].

ومنها: إنّه ما كان يحب أن يعينه على طهوره أحد، وكان يستقي الماء لطهوره ويخمّره قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته، وكان يقضي ما فاته من صلاة نافلة النهار بالليل ويقول: (ليس هذا عليكم بواجب، ولكن أحب لمن عوّد منكم نفسه عادة من الخير أن يدوم عليها)[٤].

وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر[٥].

وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، وتهيج الريح فيسقط مغشياً عليه[٦].

وعن الزهري قال: قال عليّ بن الحسين: لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي وكان إذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يكرّرها حتّى كاد أنيموت كان يقول في مناجاته: يا سيّدي تعذّبني وحبّك في قلبي؟

أما وعزّتك لئن فعلت يموت.

ولتجمعنّ بيني وبين قوم طال ما عاديتهم فيك[٧].

(١) الكافي: ٢/ ٦١٥ ح ٤، ووسائل الشيعة: ٤/ ٨٥٩ ح ٦.
(٢) وسائل الشيعة: ١/ ٩٢ ح ١٨، وحلية الأبرار: ٢/ ١٧٨ ح ١٣.
(٣) كشف الغمة: ٢/ ٢٩٣.
(٤) صفة الصفوة: ٢/ ٩٥.
(٥) صفة الصفوة: ٢/ ٩٥.
(٦) تذكرة الخواص: ٣٢٦، الفصول المهمة: ٢٠١، مناقب آل أبي طالب: ٤/ ١٦٢ بنحوه، صفة الصفوة ٢/ ١٠٠، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٦.
(٧) الكافي: ٥٨٠ ح ١٠، والبحار: ٤٦/ ١٠٧ ح ١٠٠.

نقل علي بن الحسين عليه السلام الصدقات ليلاً

عن أبي حمزة الثَّمالي أنّ عَلي بن الحُسَين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في ظلمة الليل ويقول: إنّ الصَدقة في سوَاد الليل تُطفىء غضب الربّ[١].

وعن محمّد بن إسْحَاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات عَلي بن الحُسَين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل[٢].

وعن عَلي بن المديني قال: سمعت سفيان يقول: كان عَلي بن الحُسَين يجعل معه جراباً فيه خبز فيتصدّق به ويقول: إنّ الصدقة تطفىء غضب الرب عزّ وجلّ[٣].

وعن جرير عن عمرو بن ثابت قال: لما مات عَلي بن الحُسَين وجدوا بظهره أثراً فسألوا عنه فقالوا: هذا مما كان ينقل الجُرُب على ظهره إلى منازل الأرامل[٤].

وعن شَيبة بن نعامة قال: كان عَلي بن حسين يُبَخّل، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة[٥].

ابن عائشة عن أبيه عن عمه قال: قال أهل المدينة: ما فقدنا صَدقة السرّ حتى مات عَلي بن الحسين[٦].

ولما مات عليه السلام وغسّلوه جعلوا ينظرون إلى آثار في ظهره، فقالوا ما هذا؟

قيل: كان يحمل جرب الدقيق على ظهره ليلاً ويوصلها إلى فقراء المدينة سراً[٧].

وقال سفيان: أراد علي بن الحسين الخروج إلى الحج، فاتخذت له سكينة بنت الحسين أُخته زاداً أنفقت عليه ألف درهم، فلمّا كان بظهر الحرة سيّرت ذلك إليه، فلمّا نزل فرّقه على المساكين[٨].

وقال سعيد بن مرجانة: كنت يوماً عند علي بن الحسين فقلت: سمعت أبا هريرة يقول: قال

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٣.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١٣٦، ومناقب آل أبي طالب ٤/ ١٦٦، صفة الصفوة ٢/ ٩٦، ومختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٨.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٣٥، مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٦٥، صفة الصفوة ٢/ ٩٦، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٣.
(٥) تهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٣.
(٦) حلية الأولياء ٣/ ١٣٦، مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٦٦، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٣.
(٧) ربيع الأبرار ٢/ ١٤٩، حلية الأولياء ٣/ ١٣٦، صفة الصفوة ٢/ ٩٦.
(٨) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٦٧، صفة الصفوة ٢/ ٩٦.

رسول الله ﷺ: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكل إرب منه إرباً منه من[١]، حتى أنّه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج).

فقال علي عليه السلام: (أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟).

فقال سعيد: نعم.

فقال لغلام له ـ أفره غلمانه، وكان عبد الله بن جعفر قد أعطاه بهذا الغلام ألف دينار فلم يبعه ـ: (أنت حر لوجه الله تعالى)[٢].

وكان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره وفيه الصرر من الدنانير والدراهم وربما حمل على ظهره الطعام والحطب حتّى يأتي باباً باباً فيقرعه ثمّ يناول من يخرج إليه، وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلّا يعرفه، فلمّا توفّي فقدوا ذلك فعلموا أنّه كان عليّ بن الحسين.

ولمّا وضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء[٣].

قضاؤه عليه السلام حاجة الناس

منها: إنّه عليه السلام دخل على محمد بن أُسامة بن زيد في مرضه، فجعل محمد يبكي فقال له علي: ما شأنك؟.

قال: عليّ دين.

فقال له: كم هو؟.

قال: خمسة عشر ألف دينار.

فقال علي بن الحسين: هو عليّ فالتزمه عنه[٤].

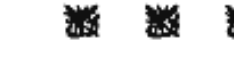

(١) في نسخة: حرّ.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٨٨ كتاب العتق، صحيح مسلم ٢/ ١١٤٨/ ٢٤ كتاب العتق، حلية الأولياء ٣/ ١٣٦، صفة الصفوة ٢/ ٩٧، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٩.

(٣) وسائل الشيعة: ٦/ ٢٧٧ ح ٨، والأنوار البهية: ١١٤.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ١٤١، ترجمة الإمام علي بن الحسين من تاريخ دمشق: ٥٣/ ٨٣، مناقب آل أبي طالب ٤/ ١٧٧، صفة الصفوة ٢/ ١٠١.

مداراة علي بن الحسين عليه السلام للناس

عن الزهري قال: والله ما علمت لعليّ بن الحسين صديقاً في السرّ ولا عدوّاً في العلانية لأنّي لم أرَ أحداً وإن كان يحبّه إلّا وهو لشدّة معرفته بفضله يحسده ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلّا وهو لشدّة مداراته له يداريه[1].

رحمته عليه السلام بعبيده

وعن محمّد بن عجلان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يقرب عبداً له ولا أمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده أذنب فلان أذنبت فلانة يوم كذا وكذا ولم يعاقبه، فيجتمع عليهم الأدب حتّى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثمّ أظهر الكتاب ثمّ قال: يا فلان فعلت كذا ولم أؤدّبك أتذكر ذلك؟

فيقول: بلى يابن رسول الله حتّى يأتي على آخرهم، ثمّ يقوم وسطهم ويقول لهم: إرفعوا أصواتكم وقولوا: يا عليّ بن الحسين إنّ ربّك قد أحصى عليك كلّما عملت كما أحصيت علينا كلّما عملنا، ولديه كتابٌ ينطق عليك بالحقّ لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً ممّا أتيت إلّا أحصاها وتجد كلّما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلّما عملنا حاضراً لديك، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو فاعف عنّا تجده عفوّاً وبك رحيماً ولك غفوراً، فاذكر يا عليّ بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربّك العدل فاعف واصفح يعف عنك المليك، وهو ينادي بذلك وينوح على نفسه ويلقّنهم إلى أن يقولوا: قد عفونا عنك يا سيّدنا وما أسأت فيقول لهم: قولوا: اللّهم اعف عن عليّ بن الحسين كما عفا عنّا واعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرقّ.

ثمّ يقول: إذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاءَ للعفو عنّي.

فإذا كان يوم الفطر أعطاهم ما يغنيهم عن الناس. وما من سنة إلّا كان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين عشرين رأساً إلى أقلّ وأكثر وكان يقول: إنّ لله تعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كُلّاً قد استوجب النار.

فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه وإنّي أحبّ أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدُّنيا رجاء أن يعتق رقبتي من النار.

وما استخدم خادماً فوق حول.

---

(١) علل الشرائع: ١/ ٢٣١ ح ٤، ووسائل الشيعة: ١٢/ ٢٠٣ ح ١٠.

كان إذا ملك عبداً أوّل السنة أو وسطها إذا كان ليلة الفطر أعتقهم واستبدل سواهم في الحول الثاني وهكذا حتّى لحق بالله تعالى.

ولقدن كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة يأتي بهم عرفات فيسدّ بهم تلك الفرج والخلال فإذا أفاض أعتقهم وأجاز لهم[١].

حزنه وبكاؤه على أبيه الحسين عليه السلام

في كتاب المناقب عن الصادق عليه السلام: بكى عليّ بن الحسين عليه السلام عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى حتّى قال له مولاه: جعلت فداك يابن رسول الله إنّي أخاف أن تكون من الهالكين.

قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش[٢].

وفي رواية أخرى: والله لقد شكى يعقوب إلى ربّه في أقلّ ما رأيت حتّى قال: يا أسفا على يوسف وإنّه فقد إبناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة من أهل بيتي يذبحون حولي.

وكان عليه السلام يميل إلى ولد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟

فقال: إنّي أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين فأرقّ لهم[٣].

ولقد بكى على أبيه عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى حتّى قال له مولى له: يابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟

فقال له: ويحك إنّ يعقوب النبيّ عليه السلام كان له إثنا عشر إبناً فغيّب الله عنه واحداً منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه وشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغمّ وكان ابنه حيّاً في الدُّنيا وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني[٤]؟

عن جعفر بن محمد، قال: سئل عَلي بن الحُسَين عليه السلام عن كثرة بكائه فقال: لا تلوموني فإن يعقوب عليه السلام فقد سبطاً من ولده فبكى حتى ابيضّت عيناه من الحزن، ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت

(١) وسائل الشيعة: ١٠/١٨ ح ٢٨، والبحار: ٤٦/١٠٥ ح ٩٣.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٠٣، والبحار: ٤٦/١٠٨.
(٣) البحار: ٤٦/١١٠ ح ٤.
(٤) الخصال: ٥١٩ ح ٤، وتفسير نور الثقلين: ٢/٤٥٢.

إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً[١]؟

نصرة الملائكة لعلي بن الحسين عليه السلام

في كتاب المناقب نقلاً عن الروضة قال: سأل ليث الخزاعي سعيد بن المسيب عن انتهاب المدينة قال: نعم شدّوا الخيل إلى أساطين مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وانتهبت المدينة ثلاثاً فكنت أنا وعليّ بن الحسين، ونأتي قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فيتكلّم بكلام لم أقف عليه فيحال ما بيننا وبين القوم ونصلّي وهم لا يروننا، وكان رجل عليه حلل خضر على فرس بيده حربة مع علي بن الحسين عليه السلام فكان إذا أومى الرجل إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله يشير ذلك الفارس بالحربة نحوه فيموت من غير أن يصيبه، فلمّا أن كفّوا عن النهب دخل عليّ بن الحسين عليه السلام على النساء فلم يترك قرطاً في أذن صبي ولا حلياً على امرأة ولا ثوباً إلّا أخرجه إلى الفارس فقال له الفارس: يابن رسول الله إنّي ملك من الملائكة من شيعتك وشيعة أبيك لمّا أن ظهر القوم بالمدينة إستأذنت ربّي في نصرتكم آل محمّد فأذِن لي، لأن أدّخرها يداً عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وعندكم أهل البيت إلى يوم القيامة[٢].

مواعظ الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام

قال ابن شعبة الحراني: كتابه عليه السلام إلى محمّد بن مسلم الزهري يعظه: كفانا الله وإيّاك من الفتن ورحمك من النار فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك فقد أثقلتك نعم الله بما أصحّ من بدنك وأطال من عمرك وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه وفقّهك فيه من دينه وعرّفك من سنّة نبيه محمّد صلى الله عليه وآله، فرض لك في كل نعمة أنعم بها عليك وفي كلّ حجّة احتجّ بها عليك الفرض فما قضى إلّا ابتلى شكرك في ذلك وابدى فيه فضله عليك فقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾[٣] فانظر أي رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها وعن حججه عليك كيف قضيتها، ولا تحسبنّ الله قابلا منك بالتعذير ولا راضياً منك بالتقصير هيهات هيهات ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿لتبيّننه للناس ولا تكتمونه﴾[٤].

---

(١) كتاب المجالسة للدينوري ح ٦٦٣، وتهذيب الكمال ١٣/ ٢٤٧.
(٢) معجم رجال الحديث: ٩/ ١٤٠ والمناقب ٤ ح ٢٦.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

واعلم أنّ أدنى ما كتمت واخف ما احتملت أن آنست وحشة الظالم وسهّلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعيت فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، أنّك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودنوت ممن لم يرد على أحد حقاً ولم تردّ باطلا حين أدناك وأحببت من حادّ الله، أو ليس بدعائه إيّاك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلّا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصّة والعامّة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمّروا لك فكيف ما خربوا عليك، فانظر لنفسك فإنه لاينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول وانظر كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً، فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه **﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾**[1].

إنّك لست في دار مقام، أنت في دار قد آذنت برحيل فما بقاء المرء بعد قرنائه، طوبى لمن كان في الدنيا على وجل ويابؤس لمن يموت وتبقى ذنوبه من بعده،إحذر فقد نبئت وبادر فقد أجلّت، إنّك تعامل من لايجهل وإنّ الذي يحفظ عليك لايغفل، تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد وداو ذنبك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسب أنّي أردت توبيخك وتعنيفك وتعييرك لكني أردت أن ينعش الله ما قد فات من رأيك ويردّ إليك ما عزب من دينك وذكرت قول الله تعالى في كتابه **﴿وذكّر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾**[2].

أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب، أنظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه أم هل تراهم ذكرت خيراً أهملوه وعلمت شيئاً جهلوه، بل حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامّة وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك إن أحللت احلّوا وإن حرّمت حرّموا وليس ذلك عندك ولكن أظهرهم عليك رغبتهم فيما لديك ذهاب علمائهم وغلبة الجهل عليك وعليهم وحب الرئاسة وطلب الدنيا منك ومنهم، أماترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة وما الناس فيه من البلاء والفتنة، قد ابتليتهم وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم مما رأوا فتاقت نفوسهم إلى أن يبلغوا من العلم ما بلغت أو يدركوا به مثل الذي أدركت، فوقعوا منك في بحر لايدرك عمقه وفي بلاء لايقدّر قدره فالله لنا ولك وهو المستعان.

أمّا بعد فأعرض عن كل ما أنت فيه حتى تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم ليس بينهم وبين الله حجاب ولا تفتنهم الدنيا ولا يفتنون بها، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ مع كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

فكيف يسلم الحدث في سنّه الجاهل في علمه المأفون في رأيه المدخول في عقله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون على من المعول وعند من المستعتب، نشكوا إلى الله بثّنا وما نرى فيك، ونحتسب عندالله مصيبتنا بك، فانظر كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً، وكيف قربك أو بعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً، ما لك لا تنتبه من نعستك وتستقيل من عثرتك فتقول والله ما قمت لله واحداً أحييت به له ديناً أو أمت له فيه باطلاً، فهذا شكرك من استحملك، ما أخوفني أن تكون كمن قال الله تعالى في كتابه عنهم ﴿أضاعوا الصلوة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا﴾[1] استحملك كتابه واستودعك علمه فأضعتهما فنحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام[2].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمّد بن عَلي، قال: قال لي أبي: يا بُني انظر خمسة لا تحادثهم ولا تصاحبهم، ولا تَرَ معهم في طريق، قلت: يا أبة، جعلت فداك فمن هؤلاء الخمسة؟

قال: إيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بائعك بأكلة، وأقل منها.

قلت: يا أبة وما أقلّ منها؟

قال: الطمع فيها ثم لا ينالها، قلت: يا أبة ومن الثاني؟

قال: إيّاك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، قلت، يا أبة ومن الثالث؟

قال: إيّاك ومصاحبة الكذاب، فإنه بمنزلة السَّراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب.

قلت، يا أبة ومن الرابع؟

قال: إيّاك ومصاحبة الأحمق فإنه يحضرك يريد أن ينفعك فيضرك.

قلت: يا أبة ومن الخامس؟

قال: إيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإني وَجَدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع: في الذين كفروا: ﴿فهل عَسَيْتُم إنْ تَوَلّيتم﴾[3] إلى آخر الآية، وفي الرعد﴿الذين ينقضون عهدَالله من بعد ميثاقه﴾[4] الآية، وفي البقرة: ﴿إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلا﴾[5] إلى آخر الآيتين[6].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال عَلي بن الحسين: فقد الأحبّة غربة.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.
(٢) تحف العقول: ٢٧٤.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦ ـ ٢٧.
(٦) صفة الصفوة: ٣/ ١٠١، وحلية الاولياء: ٣/ ١٨٤.

وكان يقول: اللّهمّ إنّي أعُود بك أن تُحَسّن في لوامع العيون علانيتي، وتقبّح في خفيات العيون سريرتي، اللّهمّ كما أسأتُ وأحسنتَ إليّ فإذا عدتُ فَعُدْ عليّ.

وكان يقول: إنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار[١].

عن عَبْد الله بن الحَسن العنبري، عن أبيه، عن عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب قال: إنّ للحمق دولة على العقل وللمنكر دولة على المعروف، وللشرّ دولة على الخير، وللجهل دولة على العلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخوف دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوتات الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللّارض السبخة دولة على الأرض العذبة، وما من شيء إلّا وله دولة حتى تنقضي دولته، فتعوّذوا بالله من تلك الدول، ومن الحَيّات في النقمات[٢].

وعن الكابلي قال: أتيت عليّ بن الحسين عليه السلام أسأله هل عندك سلاح رسول الله فلمّا بصر بي قال: يا أبا خالد أتريد أن أُريك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله فدعى بحُق كبير وسفط فأخرج لي خاتم رسول الله ودرعه وسيفه ذا الفقار وعمامته وقال: هذه السحاب وقضيبه السكب ونعليه ورداءه الذي كان يرتدي به يوم الجمعة وأخرج لي شيئاً كثيراً[٣].

وفي كتاب الإرشاد للزهري قال سعيد بن المسيب: كان الناس لا يخرجون من مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين عليه السلام فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلّى ركعتين سبّح في سجوده فلم يبق مدر ولا شجر إلّا سبّحوا معه ففزعت منه فرفع رأسه فقال: يا سعيد فزعت؟

قلت: نعم يابن رسول الله.

قال: هذا التسبيح الأعظم[٤].

وروي عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي قال كلّ واحد منهم: كنت أسبح في البادية فتنحّيت عن القافلة فإذا بصبي يمشي فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي فدنوت منه وسلّمت عليه فقلت: إلى أين تريد؟

فقال: أُريد بيت ربّي، فقلت: إنّك صغير ليس عليك فرض ولا سنّة.

فقال: يا شيخ ما رأيت من هو أصغر منّي مات؟

فقلت: أين الزاد والراحلة؟

---

(١) حلية الأولياء: ٣/ ١٣٤.
(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٤١٠.
(٣) البحار: ٤٦/ ٣٥ ح ٣١، والمناقب: ٣/ ٢٧٨.
(٤) الصحيفة السجادية: ٢٣، ومدينة المعاجز: ٤/ ٣٧٦.

قال: زادي تقواي وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي، فقلت: ما أرى شيئاً من الطعام معك.

فقال: هل يستحسن أن يدعوك إنسان إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام، الذي دعاني إلى بيته يطعمني ويسقيني.

فقلت: إرفع رجلك حتّى تدرك، فقال عليّ الجهاد وعليه الإبلاغ أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فبينا نحن كذلك إذ أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض فعانق الصبي وسلّم عليه فقلت للشاب: مَن هذا الصبي؟

فقال: هذا عليّ بن الحسين، وقلت للصبي: مَن هذا الشابّ؟

قال: هذا أخي الخضر يأتينا كلّ يوم يسلّم علينا، فقلت: أسألك بحقّ آبائك بما تجوز المفاوز بلا زاد؟

قال: بلى أجوز بزاد وزادي فيها أربعة أشياء: أرى الدُّنيا كلّها مملكة الله وأرى الخلق كلّهم عبيد الله وإماءه وأرى الأسباب والأرزاق بيد الله وأرى قضاء الله نافذاً في كلّ أرض الله.

فقلت: نِعم الزاد زادك يازين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدُّنيا[1].

وعن الزهري قال: دخلت مع عليّ بن الحسين عليه السلام على عبد الملك بن مروان فاستعظم ما رأى من آثار السجود بين عينيّ عليّ بن الحسين فقال: يا أبا محمّد لقد بان عليك الإجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت من رسول الله ثمّ أطرى عليه فقال عليّ بن الحسين عليه السلام كلّما ذكرته ووصفته من فضل الله فأين شكره على ما أنعم؛ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتّى تورم قدماه ويظمأ في الصيام حتّى يعصب فوه فقيل له: يارسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟

فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً، الحمد لله على ما أولى والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري أن أقوم لله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادّون لا والله، أو يراني الله لا يشغلني عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرٌّ ولا علانية، ولولا أنّ لأهلي حقّاً عليّ ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أؤدّيها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثمّ لم أرددهما حتّى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين.

وبكى عليه السلام وبكى عبد الملك وقال: شتّان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدُّنيا من أين جاءته ما له في الآخرة من خلاق، ثمّ أقبل يسأله عن حاجاته وعمّا قصد له فوصله بمال وشفّعه فيمن شفع به[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٨٠، والبحار: ٤٦/ ٣٨.

(٢) فتح الأبواب: ١٧١، والبحار: ٤٦/ ٥٧ ح ١٠.

وفي كتاب العلل قال: رأى الزهري علي بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي فقال له: يابن رسول الله ما هذا؟ قال: أُريد سفراً أعدّ له زاداً لحمله إلى موضع حريز.

فقال الزهري: هذا غلامي يحمله عنك فإنّي أرفعك عن حمله.

قال: لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري أسألك بحقّ الله لما مضيت وتركتني فانصرف عنه.

فلمّا كان بعد أيّام قال له: يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً؟

قال: بلى يا زهري ليس ما ظننت ولكنّه الموت وله أستعدّ إنّما الإستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الندى في الخير[١].

وقال عبد الله ابن المبارك: حججت إلى مكّة فبينما أنا سائر في عرض الحاج وإذا صبيّ سباعي أو ثماني وهو يسير في ناحية من الحاج بلا زاد ولا راحلة فسلّمت عليه وقلت له: مع من قطعت البرّ؟

قال: مع البار، فكبر في عيني فقلت: أين زادك وراحلتك؟

فقال: زادي تقواي وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي، فقلت: يا ولدي ممّن تكون؟

فقال: مطّلبي فقلت: أبن لي قال هاشمي، فقلت: أبن لي قال: علوي فاطمي فقلت: يا سيّدي هل قلت شيئاً من الشعر؟ فأنشدني شعراً:

لنحن على الحوض روّاده ... نذود ونسقي ورّاده

وما فاز من فاز إلاّ بنا ... وما خاب من حبّنا زاده

ومن سرّنا نال منّا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده

وما كان غاصبنا حقّنا ... فيوم القيامة ميعاده

ثمّ غاب عن عيني فلمّا أتيت الأبطح رأيته في حلقة مستديرة فسألت عنه فقالوا: زين العابدين ابن الحسين عليه السلام[٢].

وكان يقول: (اللهم إنّي أعوذ بك أن تحسن في لوامح العيون علانيتي، وتقبح سريرتي، اللهم كما أسأت فاحسنت إليّ، فإذا عدت فعد عليّ)[٣].

وكان من كلامه يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة،

---

(١) البحار: ٤٦/ ٦٦ ح ٢٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٩٥، والبحار: ٤٦/ ٩١.

(٣) العقد الفريد ٣/ ١٧٤، حلية الأولياء ٣/ ١٣٤، صفة الصفوة ٢/ ٩٤.

وعجبت كل العجب لمن شكّ في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء[١].

كان إذا أتاه السائل يقول: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة[٢].

صفة الإمام السجاد عليه السلام

منها: كان عليه السلام إذا مشى لا تجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده، وعليه السكينة والخشوع، وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة ويقول لمن يسأله: أُريد أن أقوم بين يدي ربي وأناجيه فلهذا تأخذني الرعدة[٣].

وعن محمّد بن هلال قال: رأيت عَلي بن الحُسَين يعتمّ بعمامة بيضاء، فيرخي عمامته من وراء ظهره[٤].

وصية علي بن الحسين عليه السلام بناقته

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا كان في اللّيلة التي وُعد فيها عليُّ بن الحسين عليه السلام قال لمحمّد عليه السلام: يا بنيَّ أبغني[٥] وَضوءاً قال: فقمت فجئته بوضوء، قال: لا أبغي هذا فإنَّ فيه شيئاً ميتاً، قال فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فأرة ميتة فجئته بوضوء غيره، فقال: يا بنيَّ هذه اللّيلة التي وعدتها، فأوصى بناقته أن يحظر لها حظارٌ[٦] وأن يقام لها علف، فجعلت فيه.

قال: فلم تلبث أن خرجت حتّى أتت القبر فضربت بجرانها ورغت وهملت عيناها، فأُتي محمّد بن عليّ فقيل له: إن النّاقة قد خرجت فأتاها فقال: صه[٧] الآن قومي بارك الله فيك، فلم تفعل.

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٩٥، تذكرة الخواص: ٣٢٦.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٩٥.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٩٣، طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٦.

(٤) تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٨١ ـ ١٠٠ ص ٤٣٢)، وانظر طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٨.

(٥) قال ابن الأثير: يقال: أبغني كذا بهمزة الوصل أي اطلب لي وبهمزة القطع أي أعني على الطلب فيجوز هنا الوصل والقطع والوضوء بالفتح ما يتوضؤ به.

(٦) الحظار بفتح الحاء المهملة وكسرها، والظاء المعجمة الحظيرة وهي الموضع الذي يحاط عليه لتأوى إليه الغنم والإبل ويقيها من الريح والحر والبرد.

(٧) في النهاية: صه كلمة زجر يقال عند الإسكات، ويكون للواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث بمعنى -

فقال: وإن كان ليخرج عليها إلى مكّة فيعلّق السوط على الرَّحل فما يقرعها حتّى يدخل المدينة.

قال: وكان عليُّ بن الحسين عليه السلام يخرج في اللّيلة الظلماء فيحمل الجراب فيه الصرر من الدنانير والدّراهم حتّى يأتي باباً باباً؛ فيقرعه ثمَّ ينيل من يخرج إليه فلمَّا مات عليُّ بن الحسين عليه السلام فقدوا ذاك، فعلموا أنَّ عليّاً عليه السلام كان يفعله[١].

النص على الإمام علي بن الحسين عليه السلام

وذلك من طرق:

* **الطريق الاول**: أنه كان افضل أهل زمانه علماً وعملا والإمامة للأفضل، وقد تسالم أهل التواريخ على أفضليته وأعلميته على معاصريه[٢].

فروي أنه أعبد أهل زمانه وأفضلهم وأنّه سيد الناس[٣].

وقال الجاحظ: وأمّا علي بن الحسين فالناس على اختلاف مذاهبهم مجتمعون على فضله ولا يشك أحد في تقديمه وإمامته[٤].

أخرج البيهقي قول أبو حازم: ما رأيت هاشماً أفقه من علي بن الحسين[٥].

وروي بلفظ قال ابن أبي حازم: سمعت أبي يقول: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين[٦].

= اسكت وهي من أسماء الأفعال وتنون ولا تنون فإذا نونت فهي للتنكير كأنك قلت اسكت سكوتاً، وإذا لم تنون فللتعرف أي اسكت السكوت المعروف منك.

(١) الكافي: ١/٤٦٨ ح ٤، وتفسير أبي حمزة الثمالي: ٨٧.

(٢) يراجع الصواعق المحرقة: ١٩٩ ط. مصر وط. بيروت ٣٠٢ الفصل ٣ من الخاتمة، ونهج الحق: ٢٥٧، والفصول المهمة: ١٩٠ ط.ب و٢٠١ ط. النجف وطهران، والإيضاح: ٢٠٧ ذكر متعة الحج، وأخبار الدول: ١٠٩، وروضة الواعظين: ١٩٦، وربيع الأبرار: ١/١٢٨، وترجمة علي بن الحسين من تاريخ دمشق: ٢٠ ـ ٢٧ ـ ٣٠ ـ ٣٤ ـ ٣٧.

(٣) المستدرك: ٣/١٠٨ ذكر مناقب الأمير، وصفة الصفوة: ٢/٥٥.

(٤) ينابيع المودة: ١/١٥٣ ط. استانبول ١٣٠١ هـ و١٨١ ط. النجف باب ٥٢.

(٥) الاعتقاد على مذهب السلف: ١٨٧ استخلاف عمر/ط. مصر ١٣٧٩.

(٦) تذكرة الخواص: ٢٩٧ باب ١٢ ذكر زين العابدين، والإرشاد: ٢/١٤١، وحلية الاولياء: ٣/١٤، ومناقب آل ابي طالب: ٤/١٥٩، والبحار: ٤٦/٧٣.

ونحوه عن المنصور[١]، والزهري وابن عيينة ويحي بن سعيد[٢].

وقال الشافعي: وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة يعوّل على أخبار الآحاد[٣].

وقال الزهري وابن حازم: ما رأيت أفقه منه[٤].

وقال ابن المسيب: ما رأيت أورع منه[٥].

وقال ابو اليقظان عامر بن حفص: إنّ قريشاً لم تكن ترغب في أمهات الأولاد حتى ولدن ثلاثاً هم خير أهل زمانهم: علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله[٦].

وكان يكشف له فيعلم[٧].

ومناظراته العلمية ورجوع عبد الملك والحجّاج إليه تكشف عن أعلميته[٨].

وقصيدة الفرزدق فيه مشهورة[٩].

ووصفه ابن عربي بصلاته عليه وقد أجاد: (. . على آدم أهل البيت المنزه عن كيت وكيت روح جسد الإمامة شمس فلك الشهامة، مضمون كتاب الإبداع، جلّ تعمية الإختراع، سر الله في الوجود إنسان عين الشهود؛ خازن كنوز الغيوب، كاشف سر العرفان علي بن الحسين عليه السلام)[١٠].

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/ ١٠١ خروج محمد بن عبد الله بن حسن ومقتله ط. دار التعارف بيروت.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري: ٦/ ٢٦٦ ح ٢٣٦٤ باب علي، ونور الأبصار: ١٥٤ ط. الهند و٢٨١ ط. قم مناقب علي بن الحسين، وصفة الصفوة: ٢/ ٥٦ ترجمته، وتذكر الخواص: ٢٩٧، والفصول المهمة: ١٩١، والإرشاد: ٢/ ١٤٤، وأنساب الأشراف: ٣/ ١٤٦ ح ٦ أمر الحسين و٢٠٧ ح ٤٩ مقتل الحسين ط. دار التعارف بيروت، ومشارق الأنوار: ١٢٠ الفصل السادس من الباب الثالث، وإسعاف الراغبين: ٢٣٧.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٥/ ٢٧٤ كتاب ٢٨.

(٤) نور الأبصار: ١٥٤ ط. الهند و٢٨١ ط. قم الفصل السابع، وصفة الصفوة: ٢/ ٥٦، وتذكرة الخواص: ٢٩٧.

(٥) صفة الصفوة: ٢/ ٥٦، وترجمة علي بن الحسين من تاريخ دمشق: ٢٦، وإسعاف الراغبين: ٢٣٧.

(٦) ربيع الأبرار: ٣/ ١٨ باب العبيد والاماء (٥٠).

(٧) جواهر العقدين: ٣٩٢ الباب الرابع عشر.

(٨) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ١٦١ ـ ١٥٩، والاحتجاج: ٢/ ٣٠٥، والبحار: ٤٦/ ٤٥، ومختصر تاريخ دمشق: ١٧/ ٢٤٢ ط. دار الفكر، والطبقات الكبرى: ٥/ ٢١٤ ط. صادر.

(٩) أخبار الدول: ١١٠ الباب ٢ الفصل ٤، والتبيين في أنساب القرشيين: ١٠٩ ذكر علي بن الحسين، وتذكرة الخواص: ٢٩٦ باب ١٢، وكفاية الطالب: ٤٤٨ في ذكر الأئمة، ونور الأبصار: ١٥٦ ط. الهند و٢٨٤ ط. قم مناقبه، وينابيع المودة: ٢/ ٣٥٩ ط. استانبول ١٣٠١ هـ و٤٣٢ ط. النجف باب ٦٣، والاختصاص: ١٩١، وصفة الصفوة: ٢/ ٥٥، ومناقب ابن المغازلي: ٢٤٣ ط. بيروت وط. طهران ٣٩٣ ح ٤٤٦، والإرشاد: ٢/ ١٥١، ومناقب آل ابي طالب: ٤/ ١٦٩، والصواعق: ١٩٩ ط. مصر وط. بيروت ٣٠٣، والفصول المهمة: ١٩١، وروضة الواعظين: ٢٠٠، وترجمته من تاريخ دمشق: ٨٩.

(١٠) وسيلة الخادم إلى المخدوم: ٢٩٥.

* **الطريق الثاني**: وجوب الإمامة عقلاً في كل زمان ومكان ولقوله تعالى: ﴿**انّما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾[١]، ويأتي أنّ الهادي من بني هاشم.

وفساد دعوى كل مدع الإمامة في عصره ﷺ لعدم توفر شروط الإمامة فيه، كعدم كونه من قريش من بني هاشم أو من آل محمد أو لعدم عصمته.

قال ابن شهر آشوب: الدليل على امامته ﷺ ما ثبت أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً، واذا ثبت أنّ الإمام لابد أنّ يكون معصوماً يقطع أنّ الإمام بعد الحسين إبنه علي؛ لأنّ كل من ادعيت إمامته بعده من بني أمية والخوارج اتفقوا على نفي القطع بعصمته[٢].

وتقدّم ثبوت عصمة الإمام زين العابدين، في آية التطهير.

على أنّه لم ينقل عنه أهل التاريخ والسير أي ذنب.

* **الطريق الثالث** : النص عليه من قبل أبيه ﷺ:

قال عبد الله بن عتبة: كنت عند الحسين بن علي ﷺ إذ دخل علي بن الحسين الأصغر فدعاه الحسين ﷺوضمّه اليه ضمّاً وقبّل ما بين عينيه، ثم قال: ﴿بأبي أنت ما أطيب ريحك وأحسن خلقك»؟

فتداخلني من ذلك، فقلت: بأبي أنت وأُمي يا ابن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فيك فإلى مَنْ؟

قال ﷺ: «علي ابني هذا هو الإمام أبو الأئمة».

قلت: يا مولاي هو صغير السن؟

قال ﷺ: «نعم إنّ إبنه محمد يؤتم به وهو ابن تسع سنين ثم يطرق. قال: ثم يبقر العلم بقراً»[٣].

وقال المسعودي: فلما قرب استشهاد أبي عبد الله ﷺ دعاه وأوصى اليه وأمره أن يتسلّم ما خلفه عند أم سلمة رحمها الله مع مواريث الأنبياء والسلاح والكتاب[٤].

ونحو ذلك من النصوص عليه صلوات الله عليه[٥].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٧.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/ ١٣١.
(٣) البحار: ٤٦/ ١٩، وكفاية الاثر: ٢٣٤.
(٤) إثبات الوصية: ١٤٥.
(٥) راجع الكافي: ١/ ٣٠٣.

بحث في الإمامة

قال حبيب الله الخوئي في منهاج البراعة: قال محمّد الشهرستاني الأشعري المتوفي ـ ٥٤٨ هـ في أوائل الملل والنحل: أوّل شبهة وقعت في الخليقة شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النّار على مادة آدم وهي الطين ـ إلى أن قال: فأوّل تنازع في مرضه (يعني رسول الله) فيما رواه محمّد بن إسماعيل البخاري بإسناده عن عبد الله بن عبّاس قال: لمّا اشتدّ بالنّبيّ مرضه الذي مات فيه قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي فقال: عمر إنّ رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط فقال النّبي: قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عبّاس: الرزية كلّ الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ـ إلى أن قال الشهرستاني: وأعظم خلاف بين الأمّة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سلّ على الإمامة في كلّ زمان[1].

لا يخفى أنّ المسلمين بل سائر الأمم أيضاً متفقون في افتقار النّاس إلى إمام للعلم الضروري، من أنّ حال النّاس عند وجود الرؤساء المطاعين، وانبساط أيديهم ونفوذ أوامرهم ونواهيهم وتمكّنهم من الحلّ والعقد والقبض والبسط والإحسان والإساءة وغيرها، مما ينتظر به أمور معاشهم ومصالح معادهم، لا يجوز أن يكون حالهم إذا لم يكونوا في الصلاح والفساد، وهذا مما جبل عليه النّاس واستقر في عقولهم وقلوبهم، ولا يصل إليه يد انكار ولا يكابر فيه أحد، ولذا ترى أنّ العقلاء من كلّ قوم يلتجئون إلى نصب الرؤساء دفعاً للمفاسد الناشئة على فرض عدمهم، وإنّما الكلام في الرؤساء وصفاتهم مما يدلّ عليه العقل الناصع، سواء كان في ذلك سمع أو لم يكن فالمسألة تحتاج إلى تجريد للعقل وتصفية للفكر وتدقيق للنظر، ومجانبة المراء وتقليد الآباء فإنّ التقليد الداء العيّاء، والحذر عن التعصب والخيلاء والإنقطاع عن الوساوس والهواجس العاميّة، وحقّ التأمّل في المسألة حتّى يتضح الحق حقّ الوضوح.

إنّ العقل حاكم بحسن البعثة لاشتمالها على فوائد كثيرة، وسنذكر طائفة منها من ذي قبل إن شاء الله، وبوجوبها على الله تعالى لاشتمالها على اللطف واللطف واجب. وبأن النّبي يجب أن يكون منصوصاً عليه من الله تعالى ومبعوثاً من عنده بالبيّنات، ومعصوماً من العصيان والسهو والنسيان ومنزّهاً عن كلّ ما ينفّر الطبع عنه، وأفضل من سائر النّاس في جميع الصفات الكماليّة من النفسانية والبدنيّة حتّى تحنّ القلوب إليه ويتمّ الحجة على النّاس.

ثمّ نعلم أنّ النّبوة ختمت بخاتم النّبيّين محمّد، وشريعته نسخت سائر الشرائع، ودينه هو الحقّ

(١) دلائل الإمامة: ١٦، وحياة الامام الرضا: ٣٢٢.

وحلاله حلال إلى قيام الساعة، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد بمعانيه وحقائقه وألفاظه، ولئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وإذا جرّنا العقل إلى هنا فنقول: أولاً لا بدّ للدين من حافظ في كل عصر.

وثانياً على ما علم قبل أنّ المستقرّ في العقول، إذا كان للنّاس إمام مرشد مطاع في كل عصر يخافون سطوته ينتصف للمظلوم من الظالم ويردع الظالم عن ظلمه، ويحفظ الدين ويمنع الناس عن التهاوش والتحارب، وما تتسارع إليه الطباع من المراء والنزاع، ويحرّضهم على التناصف والتعادل والقواعد العقلية والوظائف الدينية، ويدرأ المفاسد الموجبة لاختلال النظام في أمورهم عنهم ويحفظ المصالح ويلمّ شعث الإجتماع ويدعوهم إلى وحدة الكلمة ويقوم بحماية الحوزة ورعاية البيضة، وانتظام أمور المعاش والمعاد ويكون لهم في كل واقعة دينية ودنيويّة حصن حصين وحافظ أمين، ويتوعّدهم على المعاصي ويحملهم على الطاعات ويعدهم عليها، ويصدع بالحق إذا تشاجر الناس في حكم من أحكام الله، لكانوا إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، حتى قيل: إنّ ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن، وما يلتئم بالسنان لا ينتظم بالبرهان، وبالجملة في وجوده استجلاب منافع لا تحصى واستدفاع مضار لا تخفى.

وبعد ذلك فنقول: إنّ العقل يدلّ على أنّ الله تعالى مريد للطاعة وكاره للمعصية، وأنّ الله ليس بظلام للعبيد، وعلمنا مع وجود ذلك الرئيس الإمام المطاع أنه كان النّاس إلى فعل الطاعة أقرب وعن فعل المعصية أبعد، ولنسمّ ما يقرّب العبد إلى الطاعة ويبعّده عن المعصية من غير إلجاء باللطف، وهل هو واجب عقلاً على الله أم لا؟ إن قلنا لا يجب عليه تعالى مع أنّ إيقاع الطاعة وارتفاع المعصية يتوقفان على اللطف كما علمت، ومع أنه تعالى يريد الأولى ويكره الثانية، ويعلم أنّ المكلف لا يطيعه إلّا باللّطف، فكان ناقضاً لغرضه ونقض الغرض قبيح عقلاً، والعقلاء يذمّون من أراد من غيره فعلاً، وهو يعلم أنّ ذلك الغير لا يفعل مطلوبه إلا مع إعلامه أو إرساله إليه، وأمثال ذلك، ممّا يتوقف حصول المطلوب عليه ولا يعمل ما يعلم بتوقف المطلوب عليه، فلا محيص إلا القول بوجوبه عليه تعالى عقلاً.

ولذلك إنّ العقل يحكم بأنّ البعثة لطف، فواجبة على الله تعالى على أنّ كل ما يعلمه الله تعالى من خير وصلاح في نظام العالم وانتظام أمور بني آدم يجب منه تعالى صدوره، لأن علمه بوجوه الخير والنظام سبب للإيجاب، فيجب نصب الإمام من الله سبحانه في كلّ زمان.

فلو قلنا أنّ النّبوة رئاسة إلهيّة في أمور الدّين والدّنيا، وكذلك لمن يقوم مقامه نيابة عنه بعده، رئاسة عامة إلهيّة فيهما، لما قلنا شططاً فكل ما دلّ على وجوب النّبوة ونصب النبي وتعيينه على الله فهو دال كذلك على القائم مقامه بعده، إلّا في تلقي الوحي الإلهي، ولنسمّ القائم مقام النبيّ بالإمام،

وإن كان النبي إماماً أيضاً بذلك المعنى الذي أشير إليه، وسيأتي البحث في تحقيق معنى الإمامة والنّبوّة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الآية إن شاء الله تعالى[1].

وإن شئنا ثنينا عنان البيان إلى التفصيل والتبيين، فإنّ من تيسّر له الإستبصار في هذا الأمر الخطير فقد فاز فوزاً عظيماً وإلا فقد خسر خسراناً مبيناً فنقول: إنّ العقل لما دلّ على أنّ وجود الإمام لطف للنّاس في ارتفاع القبيح وفعل الواجب وحفظ الدين، وحمل الرعيّة على ما فيه مصالحهم وردعهم عمّا فيه مفاسدهم، فهل يجوّزه العقل أن يكون عالماً ببعض الأحكام دون بعض، وإن كان في النّاس من هو أعلم وأفضل منه في الصفات الكماليّة، وهل يأمر الله بالطاعة المطلقة لمن يجوز عليه الخطأ ويصدر عنه الذنوب، ويسهو وينسى، ويرتكب ما ينفّر الطبع عنه، ومن يكون نقص في خلقته وعيوب في بدنه ينزجر وينفّر النفس عن مصاحبته ومجالسته ومكالمته ومن يكون غير منصوص عليه منه تعالى أو من نبيّه؟

فهذه أُمور في المقام يليق أن يبحث فيها من حيث اقتضاء العقل وحكمه، فإنّ العقل هو المتّبع في أمثال تلك الأُمور.

فنقول: بعدما استقرت الشريعة وثبتت العبادة بالأحكام، وأنّ الإمام إمام في جميع الأُمور وهو الحاكم الحاسم لموادّ النزاع، ومتولي الحكم في سائر الدّين، والقائم مقام النّبيّ وفرعه وخليفته، وحجّة في الشرع فلا بدّ من أن يكون موصوفاً بصفات النّبيّ وشبيها له في الصفات الكمالية وعالماً بجميع الأحكام، حتّى يصّح كونه خليفةً له ويحسم به النزاع في حكم من الأحكام، وفي سائر الأُمور وإلّا فيقبح عند العقلاء خلافة من ليس بصفات المستخلف، لأنّ غرضه لا يتمّ به، وذلك كما أنّ ملكاً من الملوك إن استوزر من ليس بعارف بأمر السياسة، التي بها تنتظم أمور مملكته وجيوشه ورعاياه وغيرها ذمّه العقلاء بل عدّوه من السفهاء، بل كما أنّ أحدنا لو يفوض صنعة إلى رجل لا يعرفها استحق اللوم والإزراء من العقلاء، فكذا في المقام مع أنّ المقام أهمّ بمراتب منهما كما لا يخفى على البصير العاقل وهذا ممّا مجرد العقل كاف في إيجابه.

وأيضاً أنّ أحد ما احتيج فيه إلى الإمام، كونه مبيناً للشرع وكاشفاً عن ملتبس الدين وغامضه، فلا بدّ من أن يكون في ضروب العلم كاملاً غير مفتقر إلى غيره، فولاة أمر الله خزنة علمه وعيبة وحيه، وإلا يتطرّق التغيير والتبديل في دين الله، ولذا صرّح الشيخ الرئيس في آخر الشفاء في الفصل في الخليفة والإمام: أنّ الإمام مستقل بالسياسة وأنّه أصيل العقل، حاصل عنده الأخلاق الشريفة من الشجاعة والعفة وحسن التدبير، وأنّه عارف بالشريعة حتّى لا أحد أعرف منه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

ثمّ إنّ الإمامة رئاسة عامّة فلو لم يكن الإمام متّصفاً بجميع الكمالات والفضائل وأكمل وأفضل من كلّ واحد من أهل زمانه، وكان في الرعيّة من هو أفضل منه للزم تقديم المفضول على الأفضل، وهل يرتضي العقل بذلك؟ أرأيت أنّ العقلاء لا يذّمون من رجّح المفضول على الفاضل؟

وهل تقدّم أنت مبتدءاً في فنّ على من مارسه وتبحّر فيه؟ وهل يجوّز عقلك ويرضي بأنّ الله الحكيم يقدّم المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل المكمّل؟

جرّد نفسك عن العصبيّة والمراء وتقليد الأُمهات والآباء، فانظر بنور البصيرة والحجى في كلامه تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

ولما كان المطلوب من إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الحجج تعليم النّاس الحكمة، وتزكيتهم من الأرجاس وإقبالهم إلى عالم القدس، فأيّ مصلحة يقتضيها التكليف في تقديم المفضول على الأفضل، أليس هذا العمل نفسه بقبيح، وهل القبيح إلّا ما فيه مفسدة؟

أرأيت هل قدّم رسول الله وغيره من الأنبياء والكاملين وأولي النهي والملوك والأُمراء مفضولاً على فاضل في واقعة قطّ، ولو فعل واحد ذلك أما يلومه العقلاء؟

هل تجد خبراً ورواية أنّ رسول الله قدّم على أمير المؤمنين غيره، وهل قدّم على سلمان سلام الله عليه عثمان بن مظعون مثلاً، ونعلم أنّ رسول الله لمّا نعيت إليه نفسه أمّر أسامة على أبي بكر وعمر وحثّ على خروج الكلّ من المدينة ولعن المتخلف عن جيش أسامة، فكان أسامة في أمر الحرب وسياسة الجند وتدبير العسكر أفضل منهما وإلّا لما قدّمه عليهما، ولو كان بالفرض عليّ معهم هل يقدّم رسول الله أسامة على عليّ؟ ما أرى مسلماً بصيراً في عليّ وأسامة أن يرضى بذلك بل يعدّه قبيحاً جداً، فإنّه لا يشك ذو بصيرة ودراية في أنّ أمير المؤمنين عليّاً كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس، ونسبته إليه كنسبة النور إلى الظلمات ونسبة الحياة إلى الممات، فتشهد الفطرة السليمة على قبح تقديم المفضول على الفاضل.

ثمّ لو كان الإمام عاصياً عن أمر الله تعالى ومذنباً سواء كانت الذنوب صغيرة أو كبيرة فنقول أوّلاً: أنّه لما كانت العلة المحوجة إلى الإمام هي ردّ الظالم عن ظلمه والإنتصاف للمظلوم منه، وحمل الرعيّة على ما فيه مصالحهم وردعهم عما فيه مفاسدهم ونظم الشمل وجمع الكلمة، فلو كان مخطئاً مذنباً لاحتاج إلى آخر يردعه عن ظلمه، فإنّ الذنب ظلم وننقل الكلام إلى ذلك الآخر فإن كان معصوماً من الذنوب وإلّا لزم عدم تناهي الأئمة.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

وأيضاً إنّ الله تعالى لعن الظالم ونهى عن الظلم، وحذّر عن الركون إلى الظلمة بقوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1].

وكذا أمر بالطاعة المطلقة للإمام، فلو كان الإمام مذنباً لكان ظالماً فيلزم التناقض في قوله تعالى عن ذلك.

وأيضاً إنّ الإمام لما كان قدوة في الدّين والدُّنيا مفترض الطاعة من الله، ولو ارتكب المعصية تضاد التكاليف على الأمّة، فإن اتبعته الأمّة في المعصية فعصوا الله وإن خالفوه فيها فعاصية أيضاً.

وأيضاً لو صدرت المعصية عنه هل يجب الإنكار عليه أم لا؟ فعلى الأوّل يلزم أن يكون مأموراً ومنهياً عنه مع أنّه إمام آمر وناه، فليزم إذاً سقوط محله من القلوب فلا تنقاده النفوس في أمره ونهيه فتنتفي الفائدة المطلوبة من نصبه، وعلى الثاني يلزم القول بعدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أنّهما واجبان عقلاً وسمعاً وأجمع الكلّ بوجوبهما، ومعلوم بالضرورة أنّ فعل القبيح وترك الواجب لا يصدر إلا ممن لا يكون معصوماً، فإنّ العصمة هي القوّة القدسيّة النوريّة العلمية اللائحة من صبح أزل العناية الموجبة للإعتدال الخلقي والخلقي والمزاجي المتعلّقة بمثالب العصيان في الدارين، الحاصلة بشدّة الإتصال وكمال الارتباط بمبدأ العالم وعالم الأرواح فمن بلغ إلى تلك الغاية ورزق تلك القوّة لا يحوم حول العصيان، ولا يتطرّق إلى حريم وجوده السهو والنسيان، فإنّ تلك القوّة رادعة إياه عن العصيان، وذلك العلم الحضوري والإنكشاف التام يمنعه عن السهو والنسيان، فلو لم يكن الإمام ذا عصمة ليصدر منه القبيح قولاً وفعلاً، فإذن لا بد أن يكون معصوماً[2].

كلام هشام بن الحكم في عصمة الإمام عليه السلام

روى الشيخ الجليل محمّد بن علي بن بابويه المشتهر بالصدوق في باب الأربعة من كتابه المسمّى بالخصال عن محمّد بن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في صحبتي له شيئاً، أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟

فقال: نعم.

فقلت: فما صفة العصمة فيه وبأي شيء يعرف؟ فقال: إنّ جميع الذنوب أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منفية عنه. ولا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدُّنيا وهي تحت خاتمه لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٢) منهاج البراعة: ١٦/ ٣٢.

ولا يجوز أن يكون حسوداً لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه؟

ولا يجوز أن يغضب لشي من أُمور الدُّنيا إلّا أن يكون غضبه لله عزّ وجلّ، فإنّ الله عزّ وجلّ قد فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رأفة في دينه حتّى يقيم حدود الله عزّ وجلّ.

ولا يجوز أن يحبّ أُمور الدُّنيا لأن الله حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدُّنيا، وهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدُّنيا، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيّباً لطعام مرّ، وثوباً ليّناً لثوب حشن ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟ إنتهى كلامه رفع الله مقامه ولله درّه[1].

أقول: ولا يخفى أنّ هذا الدليل جار في عصمة النّبي أيضاً بل بطريق أولى.

ثمّ إنّ الشيخ الرئيس كأنّما أخذ من هذا ما قال في النمط التاسع من الإشارات في مقامات العارفين حيث قال في آخره: العارف هشّ بشّ بسام يبجّل الصغير من تواضعه، كما يبجّل الكبير وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النّبيه، وكيف لا يهشّ وهو فرحان بالحقّ وبكلّ شيء، فإنّه يرى فيه الحقّ وكيف لا يستوي والجميع عنده سواسية، أهل الرحمة قد شغلوا بالباطل ـ إلى أن قال: العارف شجاع وكيف لا وهو بمعزل عن ثقبة الموت، وجواد وكيف لا وهو بمعزل عن محبة الباطل، وصفّاح وكيف لا ونفسه أكبر من أن تخرجها زلّة بشر، ونسّاء للأحقاد وكيف لا وذكره مشغول بالحقّ ـ إلى آخر ما قال.

ثمّ إذا ثبت أنّ الإمام حجّة في الشرع وبقاء الدين والشريعة موقوف على وجوده وجب عقلاً، لا ينفي عنه ما يقدح في ذلك وينفّر عنه منه السهو والنسيان، وإلّا فإذا حكم في واقعة وبيّن حكم الله لا تطمئن به القلوب لإمكان السهو والنسيان فيه، فإذا كان حافظاً للشرع ولم يكن معصوماً منهما لما آمن في الشرع من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل. ولم يحصل الوثوق بقوله وفعله وذلك ينافي الغرض من التكليف، وكذلك إذا لم يكن منزّهاً من سائر ما تنفر الطباع عنها، لا تميل النفوس إليها ولا تشتاق إلى حضرته لنيل السعادة ودرك الحقائق، فلا يتم حجّة الله على خلقه بل الفطرة السليمة والرويّة المستقيمة والنفوس الكريمة تأبى عن طاعة من ارتكب ما تنفر عنه، من أنواع المعاصي والفواحش والكبائر ولو في سالف عمره وتاب بعد ذلك.

وأيضاً لا خلاف بين المسلمين إنّ الإمام هو المقتدى به في جميع الشريعة، وإنّما الخلاف في كيفيته فإذا كان هو المقتدى به في جميع الشريعة وواجب علينا الإقتداء به، فلو لم يكن مأموناً منه فعل القبيح لم نأمن في جميع أفعاله ولا أقل في بعضها ممّا يأمرنا به، ويدعونا إليه في الحدود

(١) الخصال: ٢١٥ ح ٣٦.

والديات والقصاص وسائر أحكام العبادات والمعاملات أن يكون قبيحاً، ومن هو مأمون منه فعل القبيح هو المعصوم لا غير فيجب أن يكون الإمام معصوماً.

ثمّ إذا علم معنى العصمة فلا بد من أن يكون الإمام منصوباً من عند الله أو من رسول الله أو من إمام قبله لأنّ العصمة أمر خفي باطني، تمييزه خارج عن طوق البشر ولا إطلاع لأحدهم عليها ولا يعلمها إلّا الله تعالى، على أنّه لا خلاف ولا نزاع بين الأمة في أنّ الإمامة دافعة للضرر وأنّها واجبة، وإنّما النزاع في تفويض ذلك إلى الخلق، لما في ذلك من الإختلاف الواقع في تعيين الأئمة، فيؤدّي إلى الضرر المطلوب زواله ولذا قال الشيخ الرئيس في آخر إلهيات الشفاء في الفصل الخامس من المقالة العاشرة في الخليفة والإمام: والاستخلاف بالنص أصوب فإن ذلك لا يؤدّي إلى التشعب والتشاغب والإختلاف.

مسلك عقلي آخر في أمر الإمامة أيضاً، ولمّا كانت هذه المسألة من أهم المسائل واكتفى بعض الناس فيها بالإقناعيات والخطابيات بل بالوهميات التي لا اعتداد بها في نصب الإمام، وأطفأوا نور العقل وعطّلوه عن الحكم والقضاء ومالوا عن الجادة الوسطى، وجانبوا الأدلّة القطعية العلمية والأُصول اليقينية البرهانية، ألهمت أن أسلك طريقة أُخرى عقلية في تقريرها وتحريرها عسى أن يذكّر من تيسّر لليسرى فنقول: وبالله التوفيق وبيده أزمّة التحقيق:

العقول حاكمة بأنّ أحوال العالم كلّها إنما قامت على العدالة، وبأن الأنبياء بعثوا ليقوم النّاس بالقسط، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وبه تنتظم جميع أمور النّاس، وبه تصير المدينة مدينة فاضلة وبالعدالة المطلقة يعطى كلّ ذي حق حقّه، وبه تحصل الكمالات العلميّة والعمليّة المستلزمة لنيل السعادة الأبدية، والقرب إلى عالم القدس والإيصال إلى المعبود الحق، وهو سبب الفوز والنجاة في الدُّنيا والآخرة، ولولا العدل لاختلّ نظام العالم ونظم اجتماع بني آدم، وتعطّل الحدود والحقوق واستولى الهرج والمرج وفسد أمر المعاش والمعاد، ولزم غيرها من المفاسد التي لا تعدّ ولا تحصى، فالناس يحتاجون في كلّ زمان إلى إمام خيّر مطاع، حافظ للدين عن التغيير والتبديل والزيادة والنقصان ويكون هادي الأمة إلى ما فيه الفلاح والنجاح ورادعهم عن العدول عن الصراط المستقيم والإنحراف عن النهج القويم وعن الميل إلى الأهواء المردية والآراء المغوية، وسائقهم إلى طريق الإستقامة التي لا ميل فيها، إلى جانبي الإفراط والتفريط فإنّ اليمين والشمال مضلّة والوسطى هي الجادّة، ومعطي كلّ ذي حقّ حقه ومقيم الحدود، ومؤدي الحقوق والعدل في كلّ شيء هو وضع ذلك الشي في موضعه، أي إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه بحسب استعداده واستحقاقه، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه يحتاج إلى العلم بحقائقهم وقدر استحقاقهم، واستعدادهم والإطلاع على الكلّيات والجزئيات وإحاطتها على ما هي عليه وهي غير متناهية، فهي غير معلومة إلا لله تعالى ولخلفائه الذين اصطفاهم، فالإمام الذي بيده أزمّة العدل والحكم والكتاب يجب أن يكون خليفته في الأرض وخليفته منصوب من عنده ومعصوم من العيوب مطلقاً.

وكذا مستكن في القلوب ومتقرر في الحكمة المتعالية أنّ النفس بالطبع منجذبة إلى محبة مشاهدة النور الأكمل والعلم الأتمّ، وكلما كان الكمال أعلى والنور أسنى والعلم أتمّ والنفس أطهر كانت النفوس إليه أطوع وميلها إليه أشدّ وأكثر، ولمّا كانت العصمة هي العدالة المطلقة الرادعة عن الإنحراف والظلم، وكان الغرض الأقصى من الخلافة هو تكميل النفوس بانقيادها للإمام، فيجب أن يكون الإمام معصوماً حتّى يتحقق الغرض المطلوب منه وغير المعصوم ناقص بالضرورة عن كمال الإعتدال في القوى الثلاث أي الحكمة والشجاعة والعفّة المستلزمة للعدالة المطلقة، فإذا كان ناقصاً عنه يضلّ عن صراط الله المستقيم ولو في حكم جزئي، والناقص المشتمل على الإنحراف عن الصراط المستقيم لا يليق أن يكون واسطة الخلق إلى الحقّ وقائماً بهدايتهم، وبالجملة انّ الإمام منصب إلهي يتوقف على كمال عقله النظري والعملي والسلامة عن العيوب والعصمة عن الذنوب، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة، وإلى ما حققناه وحرّرناه أشار طائفة من المتألّهين من الحكماء في أسفارهم بأنّ الأرض لا تخلو من حجة إلهيّة قط.

قال الشيخ الرئيس في آخر الفصل الخامس من المقالة العاشرة من إلهيات الشفاء في الخليفة والإمام ووجوب طاعتهما، بعد البحث عن الفضائل: ورؤوس هذه الفضائل عفّة وحكمة وشجاعة، ومجموعها العدالة، وهي خارجة عن الفضيلة النظرية، ومن اجتمعت له معها الحكمة النظريّة فقد سعد، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبويّة كاد أن يصير ربّاً إنسانياً، وكاد أن يحل عبادته بعد الله تعالى وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه.

بيان: إنّما عبّر الإمام بقوله (ربّا إنسانياً) لأنّ حجة الله على خلقه لمّا كان بشراً واسطة بين الله وعباده، لا بدّ من أن يكون مؤيداً من عند الحكيم العليم بالحكمة العملية والنظريّة، غير مشارك للناس على مشاركته لهم في الخلق بكرامات إلهيّة وأُمور قدسيّه وصفات ملكوتية، فعبّر الشيخ عن الجهتين أعني الجهة البشريّة والجهة الألوهيّة بقوله: ربّاً إنسانياً.

قال الشيخ شهاب الدين السهروردي: لا يخلو العالم من الخليفة الذي سمّاه أرباب المكاشفة، وأرباب المشاهدة القطب، فله الرئاسة وإن كان في غاية الخمول، وإن كانت السياسة بيده كان الزمان نورانيا، وإذا خلي الزمان عن تدبير مدّبر إلهي كانت الظلمات غالبة.

وقال في شرح النصوص: لا يزال العالم محفوظاً ما دام فيه هذا الإنسان الكامل أنّ الخليفة ظاهرة بصورة مستخلفه في خزائنه، والله يحفظ صورة خلقه في العالم فإنّه طلسم الحفظ، من حيث مظهريّته لأسمائه وواسطة تدبيره بظهور تأثيرات أسمائه فيها.

وفي كلام أمير المؤمنين لكميل بن زياد: اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته، وكم ذا وأين أولئك، أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتّى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في

قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه[١].

انتهى كلام حبيب الله الخوئي[٢].

احتجاج الإمام الرضا على المخالفين في الإمامة

روى الشيخ الجليل الصّدوق رضوان الله عليه في المجلس السابع والتسعين من أماليه، وكذا الشيخ الجليل الطبرسي في الاحتجاج وثقة الإسلام الكليني في الكافي (الوافي ص ١١٥ م٢) رواية جامعة كافية في أمر الإمامة عن الرّضا عليّ بن موسى ثامن الأئمة الهداة المهديين تهدي بغاة الرشد للتي هي أقوم جعلناها خاتمة بحثنا ليختم بالخير ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وفي الأمالي حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن المتوكّل قال: حدّثنا محمّد بن يعقوب قال: حدّثنا أبو محمّد القاسم بن العلي عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا في أيّام عليّ بن موسى الرّضا بمرو فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم جمعة في يدي مقدّمنا فأدار النّاس أمر الإمامة، وذكروا كثرة اختلاف النّاس فدخلت على سيّدي ومولاي الرّضا فأعلمته ما خاض النّاس فيه فتبسّم ثمّ قال:

«يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه حتّى أكمل له الدّين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلّ شيء بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج النّاس إليه كملاً، فقال عزّ وجلّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٣].

وأنزل فيه في حجّة الوداع وهي آخر عمره ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[٤].

وأمر الإمامة من تمام الدّين ولم يمض حتّى بيّن لأمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيله، وتركهم على قصد الحقّ وأقام لهم عليّاً علماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا بيّنه، فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر، فهل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟

---

(١) الحدائق الناظرة: ٩٠/ ٢٢٠، ونهج البلاغة: ٤/ ٣٧.

(٢) منهاج البراعة: ١٦/ ٣٠ ـ ٤٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها برأيهم أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله بها إبراهيم الخليل بعد النّبوة، والخلّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه الله بها فأشاد بها ذكره فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١].

قال الخليل سروراً بها (ومن ذرّيتي) قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة.

ثمّ أكرمه الله أن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٣].

فلم يزل في ذريته يرثها بعض عن بعض، قرناً فقرناً حتّى ورثها النّبيّ فقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

فكانت له خاصّة فقلّدها النّبي علياً بأمر ربّه عزّ وجلّ على رسم ما فرض الله، فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[٥].

وهي في ولد عليّ خاصّة إلى يوم القيامة إذ لا نبيّ بعد محمّد فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ وخلافة الرّسول، ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين. إنّ الإمامة زمام الدّين ونظام المسلمين وصلاح الدّنيا وعزّ المؤمنين. إنّ الإمامة اسّ الإسلام النامي وفرعه النامي.

بالإمام تمام الصّلاة والزّكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفي والصّدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة للعالم، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير والسراج الظاهر والنّور السّاطع، والنجم الهادي في غياهب الدّجى والبلد القفار ولجج البحار.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢ ـ ٧٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٥) سورة الروم، الآية: ٥٦.

الإمام الماء العذب على الظماء والدّال على الهدى والمنجي من الرّدى.

الإمام النّار على اليفاع الحار لمن اصطلى، والدّليل على الملك من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة، والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة.

الإمام الأمين الرفيق والوالد الرّقيق، والأخ الشفيق ومفزع العباد في الداهية.

الإمام أمين الله في أرضه وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده والدّاعي إلى الله والذابّ عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذنوب المبرّأ من العيوب، مخصوص بالعلم موسوم بالحلم نظام الدّين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم ولا يوجد به بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه، من غير طلب منزلة ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ بمعرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟

هيهات هيهات ضلّت العقول وتاهت الحلوم، وحارت الألباب وحسرت العيون وتصاغرت العظماء وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء، وجهلت الألباب وكلّت الشعراء، وعجزت الأُدباء وعيّت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله فأقرّت بالعجز والتقصير. وكيف يوصف أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه لا كيف وأين وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين، فأين الإختيار من هذا وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا؟

أظنّوا أنّ ذلك يوجد في غير آل الرّسول؟، كذّبتهم والله أنفسهم ومنّتهم الأباطيل، وارتقوا مرتقى صعباً دحضاً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلّا بعداً، قاتلهم الله أنّى يؤفكون؟ لقد راموا صعباً وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزيّن لهم الشيطان أعمالهم وصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[2].

وقال عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * أَمْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * أَمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2].

وقالوا سمعنا وعصينا، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب في البيت من قريش والذروة من هاشم، والعترة من الرسول والرضا من الله، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف نامي العلم، كامل الحلم مضطلع بالإمامة عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله ناصح لعباد الله حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمة يوفقهم الله عزّ وجلّ، ويؤتيهم من مخزون علمه وحلمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم[3] فوق كلّ أهل زمانهم في قوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4].

وقوله جل وعز: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5].

وقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[6].

وقال عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[7]

وقال عزّ وجلّ في الأئمة من أهل بيته وعترته وذرّيته: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[8].

وأنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأُمور عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً فلم يعِ بعده بجواب ولا يحيّر فيه عن الصّواب، وهو معصوم مؤيد موفق مسدّد،

---

(١) سورة القلم، الآية: ٣٦ ـ ٤١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢١ ـ ٢٣.
(٣) في نسخة علمهم.
(٤) في نسخة علمهم، سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٧) سورة النساء، الآية: ٤.
(٨) سورة النساء، الآية: ٥.

قد أمن الخطايا والزلل والعثار، وخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّموه، تعدّوا وبيت الله الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون وفي كتاب الله الهدى والشفاء فنبذوه، واتبعوا أهواءهم فذمهم الله ومقّتهم وأتعسهم فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وقال: ﴿فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٢].

وقال عزّ وجلّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٣].

انتهى الحديث الشريف[٤].

عدم تأثير السحر والشعبذة وأمثالهما على الإمام

قال حبيب الله الخوئي في شرح النهج: قد علم مما قدّمنا في الحجج الإلهية أنّ العقل لا يجوّز تأثير السحر فيهم، وغاية ما يستفاد من الأخبار المذكورة في جوامع الفريقين، أنّ بعض الناس كلبيد بن أعصم اليهودي مثلاً إنّما سحر رسول الله وأمّا أنّ سحره أثر فيه أثراً فممنوع، فإنّ الأصل المتّبع في تلك الأمور هو العقل، فما وافقه وإلّا يعرض عنه. وما ورد من تأثير السحر فيهم كما في نقل: أن رسول الله مرض من سحر لبيد بن أعصم، وفي آخر: كان النّبيّ يرى أنّه يجامع وليس بجامع وكان يريد الباب ولا يبصره حتّى يلمسه بيده، من زيادات النقلة والرواة، فإن دأب النّاس في أمثال هذه الواقعة على زيادة ما يستغرب ويتعجّب منه.

قال الطبرسي في المجمع: وهذا (يعني تأثير السّحر فيه) لا يجوز لأنّ من وُصف بأنّه مسحور، فكأنه قد خبل عقله، وقد أبى الله سبحانه ذلك في قوله ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُورًا﴾[٥] ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾[٦].

ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه، وأطلع الله نبيّه على ما فعلوه من التمويه حتّى استخرج (يعني استخرج سحر لبيد من بئر ذروان) وكان ذلك

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠. (٢) سورة محمد، الآية: ٨.
(٣) سورة غافر، الآية: ٣٥.
(٤) البحار: ١٨/ ٧١، وتفسير مجمع البيان: ١٠/ ٤٩٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٧. (٦) سورة الإسراء، الآية: ٤٨.

دلالة على صدقه، وكيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه، وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدّة عداوتهم لهم.

ومن تدبر وتأمّل فيما حرّرنا من وجود الإمام وأوصافه عقلاً، درى أنّه يجب أن يكون عالماً بالسياسة وبجميع أحكام الشريعة، وكلّ ما يحتاج إليه الناس في تكميل نفوسهم ونظام أُمورهم، وأفضل من كلّ واحد من رعيّة عصره.

وأنّ وجوده لطف فيجب أن يكون منصوصاً عليه ومنصوصاً من عند الله تعالى ومعصوماً عن الذنوب ومنزّهاً عن العيوب، وعن كلّ ما يتنفّر عنه الطبع السليم.

الإمام وصفاته

قال حبيب الله الخوئي: اعلم إنّما حداني على الإتيان بتلك الأخبار والبحث فيها، ما رأيت فيها من احتجاجات أنيقة، مشتملة على براهين كلية عقلية في إثبات المطلوب، لا من حيث أنّها أخبار أردنا إيرادها في المقام والتمسّك بها تعبداً، كما أنّ الآيتين وافيتان للرشاد والسَداد، لوتدبّرنا فيهما بالعقل والاجتهاد، والمرجوّ أن ينظر فيها القارئ الكريم الطالب للرشاد حق النظر وتدبّر فيها حق التدبّر، لعله يوفّق بالوصول إلى الدين الحق، فإنّ الدين الحقّ واحد، قال عزّ من قائل: **﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾**(١) **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾**(٢).

ثمّ ليعلم أنّ الآيات والأخبار في الدلالة على ذلك أكثر منها ولكنّا اكتفينا بها روماً للإختصار.

قال عز وجلّ **﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدّت للكافرين﴾**(٣).

الإمام هو المقتدى به كما يقال إمام الصلاة لأنّه يقتدى به، ويأتم به، وكذلك يقال للخشبة التي يعمل عليها الاسكاف إمام، من حيث يحذر عليها، وللشاقول الذي في يد البناء إمام من حيث إنّه يبنى عليه ويقدر به، ولا كلام في أن الإمام الذي نصبه الله تعالى لعباده مقتدى به في جميع الشريعة وبه يهتدون، والإمام هادي النّاس بأمر الله تعالى وكفى في ذلك شاهداً قوله تعالى في كتابه الكريم: **﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾**(٤) **﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾**(٥).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الإنعام، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢، ٧٣.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1] حيث قرن الإمامة بالهداية التي هي بأمر الله تعالى، أي الإمام يهدي الناس إلى سواء السبيل بأمره تعالى وسنوضح ذلك مزيد إيضاح.

ثمّ أنّه ذكر غير واحد من المفسرين كالنيسابوري وصاحب المنار وغيرهما، أنّ المراد بالإمامة الرسالة والنّبوة، وقال الأوّل: الأكثرون على أن الإمام ههنا النّبي لأنّه جعله إماماً لكلّ النّاس، فلو لم يكن مستقلّا بشرع كان تابعاً لرسول ويبطل العموم، ولأنّ إطلاق الإمام يدلّ على أنّه إمام في كلّ شيء، والذي يكون كذلك لا بدّ أن يكون نبيّاً، ولأنّ الله تعالى سمّاه بهذا الاسم في معرض الإمتنان فينبغي أن يحمل على أجلّ مراتب الإمام كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2].

لا على من هو أدون ممن يستحق الإقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وإمام الصلاة، ولقد أنجز الله تعالى هذا الوعد فعظّمه في عيون أهل الأديان كلّها، وقد اقتدى به من بعده من الأنبياء في أُصول مللهم. وكفى به فضلاً أنّ جميع أُمة محمّد يقولون في صلاتهم: اللّهم صل على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم. (انتهى).

أقول: الصواب أنّ إبراهيم فاز بالإمامة بعد ما كان نبيّاً، والإمامة في الآية غير النّبوة، وذلك لوجهين: الأوّل: أنّ جاعل عمل في قوله تعالى (إماماً) أعني أن إماماً مفعول ثان لقوله (جاعلك) وإسم الفاعل إنّما يعمل عمل الفعل وينصب مفعوله، ولا يضاف إليه، إذا كان بمعنى الحال أو الإستقبال، وأمّا إذا كان بمعنى الماضي فلا يعمل عمل الفعل، كذلك ولا يقال زيد ضارب عمراً أمس، نعم إذا كان صلة لأل فيعمل مطلقاً كما حقق في محلّه.

حكي أنّه اجتمع الكسائي وأبو يوسف القاضي عند الرشيد فقال الكسائي: أبا يوسف لو قتل غلامك فقال رجل أنا قاتل غلامك بالإضافة، وقال آخر أنا قاتل غلامك بالتنوين، فأيهما كنت تأخذ به؟

فقال القاضي كنت أخذتهما جميعاً.

فقال الكسائي: أخطأت إنّما يؤخذ بالقتل الذي جرّ دون النصب، والوجه فيه أن اسم الفاعل المضاف بمعنى الماضي، فيكون إقراراً، وغير المضاف يحتمل الحال والإستقبال أيضاً فلا يكون إقراراً. وما نحن فيه من قبيل الثاني كما لا يخفى.

وبالجملة إذا كان اسم الفاعل يعمل عمل فعله إذا لم يكن بمعنى الماضي، فالآية تدل على أنّه تعالى جعل إبراهيم إماماً إمّا في الحال أو الإستقبال، وعلى أي حال كانت النّبوة حاصلة له قبل الإمامة فلا يكون المراد أو الإستقبال وعلى أي حال كانت النّبوة حاصلة له قبل الإمامة، فلا يكون المراد بالإمامة في الآية النبوة.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

وفي الكافي عن الصادق وفي (الوافي ص ١٧ م ٢) قال: إنّ الله تبارك وتعالى إتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبيّاً وإنّ الله اتخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلما جمع له الأشياء قال إنّي جاعلك للناس إماماً، فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ومن ذريتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين، قال لا يكون السفيه إمام التقي. انتهى[١].

فرتّب هذه الخصال بعضها على بعض لاشتمال كلّ لاحق منها على سابقه مع زيادة، حتى انتهى إلى الإمامة المشتملة على جميعها فهي أشرف المقامات وأفضلها.

وفيه أيضاً قال أبو عبد الله: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبيّ منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبيّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبيّ يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس قال الله تعالى ليونس: وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون وقال: يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام، والذي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أُولي العزم، وقد كان إبراهيم نبيّاً وليس بإمام، حتّى قال الله: إنّي جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريّتي فقال الله: لا ينال عهدي الظالمين، من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً[٢].

الوجه الثاني أنّ الآية تدلّ على أنّ الله تعالى لمّا ابتلاه واختبره بأنواع البلاء جعله إماماً، ومن أبين البلاء له ذبح ولده إسماعيل كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ﴾ إلى أن قال ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾[٣].

ووهبه الله إسماعيل في كبره كما قال في السورة المسماة باسمه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٤].

فكان نبيّاً قبل أن كان إماماً.

وكذلك نقول: إنّ مما ابتلاه الله تعالى به قضيّة ابتلائه بالأصنام وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ إلى أن قال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[٥].

---

(١) الكافي: ١/ ١٧٥ ح ٢، والبحار: ١٢/ ١٢ ح ٣٦.
(٢) الكافي: ١/ ١٧٥ ح ١، والبحار: ١١/ ٥٥ ح ٥٤.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠١ ـ ١٠٦.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.
(٥) سورة مريم، الآية: ٤١ ـ ٤٩.

فنصّ الله تعالى بأنّه كان حين يخاطب أباه صدّيقاً نبيّا وقال في الآية الأولى ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

فلم يكن حين ابتلائه بالأصنام إماماً بل كان نبيّاً، ورزق الإمامة بعد ذلك.

فإذا ساقنا الدليل إلى أنّ الإمامة في الآية غير النّبوة، فنقول كما في المجمع: أنّ المستفاد من لفظ الإمام أمران: أحدهما أنّه المقتدى به في أفعاله وأقواله، والثاني أنّه الذي يقوم بتدبير الأُمّة وسياستها، والقيام بأُمورها وتأديب جناتها وتولية ولاتها وإقامة الحدود على مستحقيها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها، فعلى الوجه الأوّل لا يكون نبيّ من الأنبياء إلّا وهو إمام، وعلى الوجه الثاني لا يجب في كلّ نبيّ أن يكون إماماً، إذ يجوز أن يكون مأموراً بتأديب الجناة، ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين.

ثمّ إنّ معنى الإمامة في الآية ليس مجرد مفهوم اللفظ منها، بل هي الموهبة الإلهية يهب لمن يشاء من عباده الصابرين الموقنين كما قال عز من قائل ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

وإنّما أطلق الصبر ولم يذكر متعلقه بأنّهم صبروا فبماذا؟ ليعمّ صبرهم في أنواع البلاء. فالإمامة هي الولاية من الله تعالى لهداية النّاس بأمر الله تعالى، التي توجب لصاحبها التصرّف في العالم العنصري وتدبيره بإصلاح فساده، وإظهار الكمالات فيه لاختصاص صاحبها بعناية إلهية، توجب له قوة في نفسه لا يمنعها الإشتغال بالبدن عن الإتصال بالعالم العلوي واكتساب العلم الغيبي منه، فبذلك التحقيق وبما بيّناه في أبحاثنا الماضية يظهر جواب ما استدلّ النيسابوري وغيره على أنّ المراد بالإمام هو النّبيّ.

ثمّ إنّ الآية تدلّ على أنّ الإمام الهادي للناس بأمره تعالى يجب أن يكون منصوصاً من عند الله تعالى، حيث قال تعالى: إنّي جاعلك للناس إماماً كما لا يخفى على من له أدنى دراية في أساليب الكلام.

والعجب من النيسابوري حيث قال في تفسيره: ثم القائلون بأنّ الإمام لا يصير إماماً إلّا بالنصّ، تمسّكوا بهذه الآية وأمثالها من نحو: إنّي جاعل في الأرض خليفة ـ يا داود إنّا جعلناك خليفة، ومنع بأنّ الإمام يراد به ههنا النّبي سلّمنا أنّ المراد به مطلق الإمام، لكن الآية تدلّ على أنّ النصّ طريق الإمامة وذلك لا نزاع فيه إنّما النزاع في أنّه لا طريق للإمام سوى النصّ ولا دلالة في الآية على ذلك، انتهى. وبما حققناه وبيّناه في المقام يظهر لك أنّ كلامه هذا في غاية السقوط. نعم أنّه أنصف في المقام وقال:

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

وفي الآية دليل على أنّه كان معصوماً عن جميع الذنوب، لأنّه لو صدرت عنه معصية لوجب علينا الإقتداء به، وذلك يؤدّي إلى كون الفعل الواحد ممنوعاً منه مندوباً إليه وذلك محال.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١].

عطف على الكاف من جاعلك وإن شئت قلت: ومن ذرّيتي تتعلق بمحذوف تدل عليه كلمة جاعلك ومن للتبعيض، أي أجعل بعض ذريتي إماماً، كما يقال سأكرمك فتقول وزيداً، وإنّما طلب الإمام لبعض ذرّيته لعلمه بأنّ كلّهم لا يليق بها، لأنّ ناساً غير محصورين لا يخلو فيهم من ظالم غالباً قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾[٢].

وأفاد بعض المفسرين أنّه قد جرى إبراهيم على سنّة الفطرة في دعائه هذا، فإنّ الإنسان لمّا يعلم من أنّ بقاء ولده بقاء له، يحبّ أن تكون ذرّيته على أحسن حال يكون هو عليها، ليكون له حظ من البقاء جسداً وروحاً. ومن دعاء إبراهيم الذي حكاه الله عنه في السورة المسماة باسمه ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[٣].

وقد راعى الأدب في طلبه فلم يطلب الإمامة لجميع ذرّيته بل لبعضها لأنه الممكن، وفي هذا مراعاة لسنن الفطرة أيضاً، وذلك من شروط الدعاء وآدابه فمن خالف في دعائه سنن الله في خليقته أو في شريعته، فهو غير جدير بالإجابة بل هو سيئ الأدب مع الله تعالى لأنه يدعوه لأن يبطل لأجله سنّته التي لا تتبدّل ولا تتحوّل أو ينسخ شريعته بعد ختم النّبوة وإتمام الدين.

والعهد في الآية الإمامة التي أعطاها الله تعالى إبراهيم وإنّما سمّيت تلك الرئاسة الإلهية عهد الله لاشتمالها على كلّ عهد، عهد به الله تعالى إلى بني آدم كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾[٤].

ومن عظمها وشرافتها في عين إبراهيم سأل الإمامة لبعض ذرّيته، فأجابه الله تعالى بأنّ الإمامة عهده ولا يناله الظالمون، يُقال: نال خيراً ينال نيلاً أي أصاب وبلغ منه. وبين الله تعالى أنّ عهده ذو مقام منيع ودرجة رفيعة لا يصل إليه يد الظالم القاصرة.

وأيضاً دلّت الآية على أنّ بعض ذريته الظالم، لا ينال عهد الله، لأنّ الظالم ليس بأهل لأن يقتدى به، فلم ينف الله تعالى الإمامة عن ذرّيته مطلقاً وإلا لكان يقول: لا ينال عهدي ذرّيتك مثلاً بل ذكر المانع من النيل إلى ذلك المنصب الإلهي مطلقاً وهو الظلم، وذلك كما ترى أنّ الله جعل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٩ ـ ١١٣.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

الإمامة في بعض أولاده وأحفاده كإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وأيّوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ثمّ أفضلهم وأشرفهم محمّد والله تعالى أثنى عليهم في الكتاب بثناء مستطاب.

فالآية تدلّ على أنّ الإمامة التي جعلها لإبراهيم لا ينالها من كان ظالماً من ذرّيته فعلم من الآية أمران: أحدهما أنّ الإمامة لا تكون إلّا في ذرّيته.

والثاني أنّه لا ينالها من عند الله من هو موصوف بالظلم منهم. فعلم أنّ كلّ ظالم من ذرّية إبراهيم لا يصلح أن ينال الإمامة والولاية من قبل الله ولا يكون ممّن رضي الله بإمامته وولايته، وإلا لزم الكذب في خبره هذا فكلّ ظالم تولّى أمور المسلمين باستيلائه وقهره وكثرة أعوانه وأنصاره لا يكون إماماً من الله ولا ممن رضي الله بإمامته وإلا لكان قد جعله إماماً، وكذا لا تكون مجعولاً من رسله ولا من خواص أوليائه لنصّ الآية الدالّ على أنّ الله تعالى لا يجعل الإمامة ولا ينالها منه من كان ظالماً.

ثمّ إنّ أصحابنا الإمامية استدلّوا بهذه الآية على أنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً عن القبائح، لأنّ الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامة ظالم، فمن ليس بمعصوم فهو ظالم إمّا لنفسه وإمّا لغيره، ومن لم يتصّف بالعصمة لا يتّصف بالاستقامة والاعتدال المتّصفين بهما أهل الولاية عن الله فيتحقق الميل عن الوسط والخروج عن الصراط المستقيم، فيكون من أحد الجانبين إمّا من المغضوب عليهم أو الضّالين.

فإن قيل: إنّما نفى أن يناله ظالم في حال ظلمه فإذا تاب لا يسمى ظالماً فيصح أن يناله. فالجواب أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفي أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيّدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلّها فلا ينالها الظالم وإن تاب فيما بعد (قاله في المجمع).

وبالجملة إنّ عموم ظاهر الآية يقتضي أنّ الظالم في حال من الأحوال لا ينال الإمامة، ومن تاب بعد كفر أو فسق وإن كان بعد التوبة لا يوصف بأنّه ظالم، فقد كان ممن تناوله الإسم ودخل تحت الآية، وإذا حملناها على أنّ المراد بها من دام على ظلمه واستمر عليه كان هذا تخصيصاً بغير دليل.

أقول: فالآية تدلّ على إبطال إمامة غير عليّ لأنهم كانوا مشركين قبل الإسلام وعبدوا الأصنام بالإتفاق وكلّ مشرك ظالم، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

فكلّ ظالم لا ينال عهد الإمامة. ولذا قال الصادق عليه السلام: من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً[١].

ونعم ما نظم الحسين بن عليّ الكاشفي حيث قال في قصيدة فارسية له:

ذريتي سؤال خليل خدا بخوان وز لا ينال عهد جوابش بكن أدا گرددتر اعيان كه امامت نه لائق است آنرا كه بوده بيشتر عمر در خطا.

وقال الزمخشري في الكشاف في بيان قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢] أي من كان ظالماً من ذرّيتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنّما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم، وقالوا: في هذا دليل على أنّ الفاسق لا يصلح للإمامة، وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره، ولا يقدّم للصلاة.

وكان أبو حنيفة يفتي سرّاً بوجوب نصرة زيد بن عليّ رضوان الله عليهما وحمل المال إليه والخروج معه على اللّص المتغلّب المتسمّى بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه، وقالت له امرأة: أشرت على إبني بالخروج مع إبراهيم ومحمّد ابني عبد الله بن الحسن حتّى قتل فقال: ليتني مكان ابنك، وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت[٣].

وعن ابن عيينة وعن ابن عباس لا يكون الظالم إماماً قط وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة، والإمام إنّما هو لكف الظَّلَمَة، فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم. انتهى[٤].

إن قلت: إنّ يونس صلوات الله عليه نال عهد الله الذي هو الإمامة مع أن الله تعالى حكى عنه أنّه قال: ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥].

أقول: إنّ الظلم فيه محمول على ترك الأولى، كما في حق آدم صلوات الله عليه حيث قال: ربّنا ظلمنا أنفسنا، وبالجملة ما ورد في القرآن والأخبار ممّا يوهم صدور الذنب عن الأنبياء وخلفائهم، الحق محمول على ترك الأولى جمعاً، بين ما دلّ العقل عليه وبين صحة النقل لأنّ المتّبع في أصول العقائد هو العقل وهو الأصل فيها، وكلّ ما ثبت بدليل قاطع فلا يجوز الرجوع عنه، على أنّ لتلك الآيات والأخبار التي ذكرت وجوه ومحامل أتى بها العلماء في مواضعه وعليك في ذلك بكتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى علم الهدى فإنه شفاء العليل.

---

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٥٥ ح ٥٤، والتفسير الصافي: ١/ ١٨٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) كتاب الأربعين: ٥٤.
(٤) كتاب الأربعين: ٥٤، وكنز العمال: ١٢/ ٥٧١.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

ومن أحسن ما قيل في المقام: أنّ تلك الظواهر دالّة على عظم شأنهم وعلو مرتبتهم، إذ معاتبة الحكيم لهم على تلك الأفعال التي هي في الحقيقة لا توجب العصيان والمخالفة، دليل على أنّهم في محلّ يقتضي تلك المعاتبة تنزيهاً لهم وتفخيماً لأمرهم وتعظيماً لشأنهم عن ملابسة ما لا يليق بمراتبهم، إذ هم دائماً في مرتبة الحضور الموجبة لعدم التفاتهم إلى غير الحقّ، وكان وقوع ذلك منهم في بعض الحالات أو مع شيء من الإشتغالات البدنية والإنجذاب في بعض الأحيان إلى الأمور الطبيعية والماديّة موجباً لتلك المعاتبة.

وبالجملة أنّ الحجج الإلهيّة لمّا كانوا في نهاية القرب من الله تعالى وكمال الإتصال بجنابه وتمام الحضور إلى حضرته، وكانوا أيضاً مع تلك المرتبة الشامخة في العوائق والعلائق البدنيّة اللازمة للبشرية، رين مع الرعية للإرشاد والتبليغ، قد يعرض لهم في تلك الأطوار والشؤونات البشريّة أمور يعدّونها سيئات، وإن لم تكن في الحقيقة بقبائح وسيئات فيتضرعون إلى الله تعالى بقولهم ربّنا ظلمنا أنفسنا، أو سبحانك إنّي كنت من الظالمين. فإنّ المخلصين على خطر عظيم.

وبذلك ظهر سرّ الحديث المروي عن رسول الله: حسنات الأبرار سيّئات المقربين[1].

ثمّ اعلم أنّ إبراهيم لما طلب الإمامة لبعض ذريته، فكان يكفي في جوابه أن يقال: نعم، مثلاً، لكنّه لمّا لم يكن نصاً في أنّ الظالم لا ينال الإمامة، لأنه كان يشمل حينئذ الظالم وغيره، وكذا لو قال ينال عهدي المؤمنين مثلاً، لما كان أيضاً نصّاً في خروج الظالم، غاية ما يقال حينئذ خروجه بالمفهوم فنصّ بالظالم لخروجه عن نيل عهد الله تعالى، أعني الإمامة، بقوله لا ينال عهدي الظالمين. كما نصّ أيضاً بأنّ أمر الظالم ليس برشيد، ومن اتبعه فجزاءه جهنم، في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ *يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[2].

ثمّ إنّ الله تعالى ذكر في كتابه العزيز كثيراً من صفات من جعله إماماً للنّاس بقوله:

١ ـ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فرتبة الإمامة ودرجة الولاية أعلى وأرفع من أن ينالها الظالم، وبهذه الآية بيّن أيضاً أنّ الإمام منصوب من عنده كما دريت.

٢ ـ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3].

---

(١) زبدة البيان: ٧٨، والبحار: ٢٥/٢٠٥.
(٢) سورة هود، الآية: ٩٦ ـ ٩٩.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٠ ـ ١٢٢.

فمن صفات الإمام أن يكون ممن اجتباه الله، فهو نصّ في أنّ الإمام يجب أنْ يكون منصوباً من الله تعالى، وأن يكون مهدياً بهدى الله تعالى إلى صراط مستقيم، وأن لا يكون من المشركين. فافهم وتدبّر حق التدبر.

٣ ـ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[١].

٤ ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[٢]

٥ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٣].

فالإمام يهدي بأمره تعالى ويوحي إليه فعل الخيرات.

٦ ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٤].

٧ ـ ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٥]

فمن اتّصف بهذه الأوصاف الملكوتية وأيّد بهذه التأييدات السماوية فهو إمام، فطوبى لمن عقل الدين عقل رعاية ودراية.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[٦].

والآية تدلّ على أمور: الأول أنّ إطاعة الرسول فيما أمر به ونهى عنه واجبة، كما أنّ إطاعة الله تعالى واجبة، فليس لأحد أن يقول: حسبنا كتاب الله فلا حاجة لنا إلى الأخبار المرويّة عن الرسول والعمل بها، وذلك لأنّ هذا القول نفسه ردّ الكتاب، ولو كان كتاب الله وحده كافياً لما أفرد بطاعة الرسول بقوله عزّ من قائل: (أطيعوا الرسول) بعد قوله: (أطيعوا الله). ونظير الآية قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٩].

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢، ٧٣.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣٠، ١٣١.
(٦) سورة النساء، الآية: ٥٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٨) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٩) سورة النجم، الآية: ٣ ـ ٤.

فقد أخطأ من قال: حسبنا كتاب الله، وأعرض عن قول رسول الله.

الأمر الثاني: أنّ الله تعالى أوجب على النّاس إطاعة أولي الأمر كما أوجب إطاعته وإطاعة رسوله، فالحري بالطالب النهج القويم أن يرى بعين العلم والمعرفة رأيه في معنى أولي الأمر، ومراده عزّ وجل منهم فنقول: قد فسّر بعضهم أولي الأمر بالأمراء، وبعض آخر ومنهم الفخر الرازي في تفسيره بالعلماء، ولا يخفى أنّ المعنى الثاني عدول عن الصواب جدّاً، فإنّ أولي الأمر، هم مالكوا الأمر ومالك الأمر من بيده الحلّ والعقد والأمر والنهي والتدبير والسياسة، وما فيه تنظيم أُمور الناس، دينيّة كان أو دنيويّة، فكيف يجوز تفسير أولي الأمر بالعلماء، سيّما في كلام الله الذي هو في غاية الفصاحة ونهاية البلاغة ومعجزة النّبوة الباقية وهل هذا إلّا الخروج عن مجرى الفصاحة والورود في مورد السخافة.

أمّا مراده عزّ وجلّ من أولي الأمر فنقول: إنا نعلم بتّاً أنّ كثيراً من الخلفاء والأُمراء، كمعاوية ويزيد والوليد والحجّاج وآل أُميّة وبني مروان والخلفاء العبّاسيّين وأمثالهم قديماً وحديثاً لعبوا بالدّين، واتخذوا كتاب الله سخرياً وفعلوا من الفواحش والمنكرات وفنون الظلم والمنهيّات من سفك الدماء وأخذ أموال الرعية ظلماً وشرب الخمر ونحوها، ما يتعذر عدّها وتشمئز النفوس المطمئنة السليمة عن استماعها وتستقبح ذكرها، ولو نذكر معشاراً من ظلمهم وسائر فواحشهم ومقابحهم مما نقل في كتب القوم ومصنفاتهم لبلغ مبلغاً عظيماً، وهذا هو الوليد بن يزيد نذكر فعلاً من أفعاله يكون أنموذجاً لسائر آثاره، وإن بلغ في الفسق والفجور إلى حد لا يناله يد إنكار ولا يرتاب فيه أحد، ولعمري أني أستحي من نقل هذه القضيّة الصادرة منه ولكني أقول: أنّ من جانب المراء واللداد وتقليد الآباء والأجداد وأعرض عن الأغراض النفسانية والعصبيّة، ونظر بعين العلم والبصيرة وتفكّر ساعة في معاني الآيات والأخبار وتأمل في غرض البعثة، وتكليف العباد وأراد أن يسلك مسلك السداد والرشاد هل يرضى بإمارة من يرتكب من المعاصي والفواحش ما يستحي بذكره الإنسان، وهلا يقضي عقله بأنّه لو كان الوليد وأشياعه مالكي أزمّة الأُمور، والقائمين مقام الرسول، لما كان إرسال الرسل وإنزال الكتب إلّا اللهو والعبث واللعب.

قال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (ص ١٧٤ ج ٩ طبع ساسي) في ترجمة عمّار ذى كناز بإسناد عن العمري أنّه قال: إستقدمني الوليد بن يزيد بعد هشام بن عبد الملك ثمّ قال لي: هل عندك شيء من شعر عمّار ذي كناز؟ فقلت: نعم، أنا أحفظ قصيدة له ولكن لكثرة عبثي به قد حفظتها فانشدته قصيدته التي يقول فيها:

حبذا أنت يا سلامة الفين حبذا

إلى آخر القصيدة.

وأنا أعرضت عن الإتيان بها لشناعتها وقباحتها، وأجلّ صحيفتي المكرّمة عن أن تملأ بتلك

القصائد المنسية عن ذكر الله وهي شرح كتاب علوي عجز الدهر أن يأتي بمثله.

وبالجملة قال العمري بعد ذكر القصيدة: فضحك الوليد حتّى سقط على قفاه وصفّق بيديه ورجليه وأمر بالشراب فأحضر، وأمرني بالإنشاد فجعلت أنشده هذه الأبيات وأكررها عليه، وهو يشرب ويصفّق حتّى سكر وأمر لي بحلّتين وثلاثين ألف درهم فقبضتها، ثمّ قال: ما فعل عمّار؟

فقلت: حي كميت قد غشي بصره وضعف جسمه لا حراك به، فأمر له بعشرة آلاف درهم فقلت له: ألا أخبر أمير المؤمنين بشي يفعله لا ضرر عليه فيه وهو أحبّ إلى عمّار من الدنيا بحذافيرها لو سبقت إليه؟

فقال: وما ذاك؟

قلت: إنّه لا يزال ينصرف من الحانات وهو سكران فترفعه الشرط فيضرب الحد، فقد قطع بالسياط ولا يدع الشراب ولا يكف عنه، فتكتب بأن لا يعرض له فكتب إلى عامله بالعراق أن لا يرفع إليه أحد من الحرس عماراً في سكره ولا غيره إلّا ضرب الرافع له حدّين وأطلق عمّاراً. إلى آخر ما قال:

وفي المجلس التاسع من أمالي الشريف المرتضى: أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان كان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد، غير محتشم في اطراح الدين أحداً، ولا مراقب فيه بشراً، وقد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف ونشر يوماً المصحف وكان خطّه كأنّه إصبع وجعل يرميه بالسهام وهو يقول:

تذكرني الحساب ولست أدري ... أحقاً ما تقول من الحساب

فقل للّه يمنعني طعامي ... وقل للّه يمنعني شرابي

وفتح المصحف يوماً فرأى فيه ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[1]. فاتخذ المصحف غرضاً ورماه بالنبل حتّى مزّقه وهو يقول:

أتوعد كلّ جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد

فإن لاقيت ربّك يوم حشر ... فقل يا ربّ مزّقني الوليد[2]

وهذا هو الحجّاج هدم الكعبة وقتل من المؤمنين والمتّقين وأولياء الله وعباده ممّا لا يحصى، وفعل في إمارته ما فعل من أنواع الظلم بلغت إلى حدّ التواتر، ويضرب بها المثل السائر فلو كان مراده عزّ وجلّ من أولي الأمر مطلق من تولى أمر المسلمين، للزم التناقض في حكمه تعالى، وذلك لأنّه تعالى جعل مثلاً الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس، فلو أمر النّاس بإطاعة الحجاج في أفعاله

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٥.

(٢) أمالي المرتضى: ١/ ٩٠، وبحار الأنوار: ٣٨/ ١٩٣.

فأمرهم بهدم الكعبة فيجب عليهم هدم الكعبة، مع أنّ الله حرّم عليهم هتك حرمتها، وهل هذا إلا التناقض وكذا في أفعال الوليد، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

ونعلم قطعاً أنّ الله تعالى عادل في حكمه وفعله وقوله، وليس بظلّام للعبيد فتعالى عن أن يوجب إطاعة الأمراء الظلمة، وهو تعالى يقول ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[1] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[2] ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3].

وغيرها من الآيات بهذا المضمون. فالعقل الناصح يحكم بأنّ مراده تعالى من الآية ليس مطلق أولي الأمر، ولا تشمل الظالمين منهم قضاءً لحق البرهان العقلي، جلّ جناب الرب أن يوجب على النّاس اتّباع هؤلاء الظلمة وأتباعهم وما أحلى قول الشاعر:

إذا كان الغراب دليل قوم فمأواهم محلّ الهالكينا

ثمّ نقول: أنّ غير المعصوم ظالم، والظالم لا يصلح لأن يكون من أولي الأمر، فإنّ الظالم واضع للشي في غير موضعه، وغير المعصوم كذلك فلا يؤمن في الشرع من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل فلا بدّ من أن يكون أُولوا الأمر معصومين.

ثمّ نقول: العصمة ملكة تمنع عن الفجور مع القدرة عليها، وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، وتتأكد بتتابع الوحي بالأوامر والنواهي، فعلى الله تعالى أن يعرّف أولى الأمر، لأنّه خارج عن طوق البشر ووسعهم، فإنّ العصمة أمر باطني لا يعلمها إلّا الله، على أنّا نقول كما أنّ الملوك مثلاً إذا امروا الناس بإطاعة الأمراء والقضاة، فمعلوم بالضرورة ومستقر في النفوس أنّ مرادهم بذلك وجوب إطاعة الأمراء والقضاة الذين نصبهم وعيّنهم على النّاس لا غير، وكذا في المقام نقول أن الله لا يأمر بإطاعة كل من صار أو جُعِلَ أمير المسلمين ولو ظلماً وزوراً، بل بإطاعة الأمراء الذين عيّنهم الله تعالى ونصّبهم لذلك.

الأمر الثالث: أنّ الزّمان لا يخلو من إمام معصوم منصوب من عند الله تبارك وتعالى، لأنّه عزّ وجل أوجب إطاعة أُولي الأمر، ونعلم بالضرورة أنّ أمره تعالى في ذلك ليس مقصوراً في زمن النبيّ لأنّ حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة وهو خاتم النّبيّين، فكما أنّ إطاعة الله ورسوله لا يختص بزمانه بل هما واجبتان إلى قيام الساعة، فكذا إطاعة أولي الأمر المقرونة بإطاعتهما، وحيث أنّ الأمر بإطاعة المعدوم قبيح، ففي كلّ عصر لا بد من صاحب أمر، حتّى يصلح الأمر بإطاعته، وهذا لا يصدق إلّا على الأئمّة من آل محمّد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق بالبرهان الذي قدّمنا.

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٢) سورة الجن، الآية: ٢٣.
(٣) سورة هود، الآية: ١٨.

وفي المجمع: بعدما نقل القولين في معنى أولي الأمر أحدهما الأمراء والآخر العلماء، قال: وأمّا أصحابنا فإنّهم رووا عن الباقر والصّادق عليهما السلام أنّ أولي الأمر هم الأئمة من آل محمّد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق، كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته، وعلم أنّ باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالإنقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنّه محال أن يطاع المختلفون، كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. وممّا يدلّ على ذلك أيضاً أنّ الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله، كما قرن طاعة رسوله بطاعته، إلا وأولوا الأمر فوق الخلق جميعاً، كما أنّ الرّسول فوق أولي الأمر وفوق سائر الخلق، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمّد الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم، واتفقت الأمّة على علوّ رتبتهم وعدالتهم.

ثمّ نقول: لمّا علم أنّ أئمة الهدى من آل محمّد قائمون مقام الرّسول وحجج في الشرع، فكما في زمن الرّسول أنّ تنازع النّاس في شيء من أمور الدين يجب عليهم الرّد إلى الله والرّسول، وكذلك بعد وفاته يجب عليهم الردّ إلى المعصومين القائمين مقامه والذين هم الخلفاء في أمّته، والحافظون لشريعته بأمره، فالردّ إليهم مثل الردّ إلى الرسول، وأكّد سبحانه ذلك وعظّمه بقوله عز من قائل ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

أي الردّ إلى الله والرّسول والقائمين مقام الرسول خير لكم وأحسن من تأويلكم.

وإن قلت: كما أنّ الأمراء المنصوبين من الرسول في زمنه كمعاذ بن جبل أرسله والياً إلى اليمن، وغيره من الولاة الذين كانت إطاعتهم واجبة على الناس بأمر رسول الله، لم يكونوا معصومين من الذنوب والخطأ والسهو والنسيان وغيرها، كذلك الحكم في أولي الأمر بعده فما أوجب عصمة أولي الأمر الذين بعده؟

أقول: هذا قياس مع الفارق جدّا وبينهما بون بعيد وأمد مديد، وذلك لأنّ في عهد رسول الله لو تنازع الناس في شيء من أمور الدّين وأقبل أمر مشتبه للحكّام والقضاء والولاة المنصوبين منه في أحكام الله، لكان رسول الله يكشف عنه ويزيل الشبهة ويقضي بالفصل ويصدع بالحق، كما أمرهم الله بردّ التنازع إلى الله والرسول في الآية، وأمّا بعد وفاته لو لم يكن صاحب الأمر القائم مقامه في كل عصر معصوماً ومنصوباً من الله ورسوله، لو أقبل تنازع في الدّين فمن يزيل الشبهة ويبيد الغائلة؟ وكذا الكلام في الأمراء والحكّام من قبل الإمام فإنّ الإمام عالم بجميع الأحكام، فبوجوده يرتفع التشاجر ويقلع التنازع.

وعن جابر بن عبد الله قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتكم؟ فقال: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أوّلهم علي بن أبي طالب ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عدّ تسعة من ولد الحسين[١].

الحديث الأول: روى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ رضوان الله عليه في باب أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، من الكافي بإسناده عن جعفر بن محمّد عن كرام قال: قال أبو عبد الله: لو كان النّاس رجلين لكان أحدهما الإمام، وقال: إنّ آخر من يموت الإمام، لئلا يحتجّ أحد على الله تعالى أنه تركه بغير حجّة لله عليه[٢].

أقول: أتى أيضاً بعدّة روايات أخر عنه تقرب من الحديث المذكور مفاداً كقوله: لو لم يبق في الأرض إلا إثنان لكان أحدهما الحجّة[٣].

وقوله: لو لم يكن في الأرض إلا إثنان لكان الإمام أحدهما[٤].

وغيرهما والغرض منها أنّ العناية الإلهية كما اقتضت وجود هذا العالم، وخلقة بني آدم فهو يقتضي صلاحه، والصّلاح إنّما يتم ويدوم بوجود إنسان ربّاني مؤيّد بروح القدس ومسدّد بنور الله ومعصوم من كلّ ما يقدح في الغرض من وجوده، يقوم بحجج الله ويؤدّيها إلى أهلها عند الإحتياج إليها ويعرّفهم الطريق إلى الله ومعالم الدّين، وبه يتصل فيض الباري على الخلق، إذ هو الواسطة بين الله وعباده ولو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما ذلك الإمام يجب على الآخر الإقتداء به في استكمال نفسه والإهتداء إلى جناب ربّه حتّى يتمّ الحجّة عليه ولا يحتج على الله أنه تركه بغير حجّة لله عليه، إنّ الله تعالى أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل، وقال عز من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٦].

فتأبى العناية الإلهيّة الأزلية عن أن يترك عباده بلا هاد ومرشد فإنّ الله ليس بظلام للعبيد.

ثمّ قال: إن آخر من يموت الإمام، وذلك لما علم أنّ الله تعالى أجل عن أن يظلم أحداً، فلو بقي في الأرض رجل واحد بلا حجّة إلهيّة لزم الظلم في حقّه، فالحكمة الكاملة الإلهيّة ورحمته

(١) بحار الأنوار: ٢٣/ ١٨٩ ح ١٦، وتفسير الصافي: ١/ ٤٦٤.
(٢) الإمامة والتبصرة: ٣٠ ح ١٦، والكافي: ١/ ١٨٠ ح ٣.
(٣) كتاب الغيبة: ٣١، وبحار الأنوار: ٢٣/ ٢٢ ح ٢٤.
(٤) الكافي: ١/ ١٨٠ ح ٥، وبصائر الدرجات: ٥٠٧.
(٥) سورة طه، الآية: ١٣٤.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

الواسعة تقتضي بقاء وجود الحجّة بعد الخلق حتى لا يبقى واحد بلا إمام، والإمام آخر من يموت، كما اقتضت وجود الحجّة قبل إيجاد الخلق، ولذا خلق الخليفة أوّلاً ثمّ خلق الخليقة كما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، فأرجع البصر كرّتين أيّها الطالب للرشاد والباغي للسّداد في هذا الحديث الذي كأنّه عقل تمثّل بالألفاظ وأقم واستقم.

الحديث الثاني: في الكافي أيضاً بإسناده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام كي ما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم[٢].

أقول: وكذا جاءت روايات أخر فيه أيضاً تقرب منه مضموناً، منها ما روى عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله قال: ما زالت الأرض إلا ولله فيها الحجّة يعرّف الحلال والحرام، ويدعو النّاس إلى سبيل الله[٣].

ومنها عن أبي بصير عن أحدهما قال: إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل[٤].

والغرض أنّ الإمام يجب أن يكون عالماً بجميع الأحكام الإلهيّة وعارفاً بالحلال والحرام، بحيث لا يشذ عنه حكم جزئي منها، فإنّه لو لم يكن متّصفاً بهذه الصفة لم يقدر أن يردّ شيئاً إن زاده المؤمنون أو أتمّه إن نقصوه، فيلزم التغيير والتبديل ولازيادة ولا نقصان في دين الله، فلا يكمل نظام النوع الإنساني به بل يلزم الهرج والمرج المهلكان، فالإمام مستجمع للغاية القصوى من الصدق والأمانة وبالغاً في العلوم الربانية والمعارف الإلهية وتمهيد المصالح الدينيّة والدّنيوية مرتبة النهاية، على أنّ العقل حاكم بقبح استكفاء الأمر وتوليته من لا يعلمه، وتعالى الله عن ذلك، فالإمام لكونه حافظاً للدين ومقتدىً للناس في جميع الأحكام الظاهرية والباطنية والكلّية والجزئية والدّنيويّة والأُخرويّة والعباديّة وغيرها، يجب أن يكون عالماً بجميعها كما هو الحكم الصريح للعقل السليم، وليس لأحد أن يقول: إنّه إمام فيما يعلم دون ما يعلم، لظهور قبح هذا القول وشناعته والمفاسد التالية عليه، ممّا يدركها من كان له أدنى بصيرة في معنى الإمام وغرض وجوده في الأنام، فإذا علم بحكم العقل أنّ الإمام يجب أن يكون مقتدىً به في جميع الشريعة وجب أن يكون معصوماً، لأنه لو لم يكن معصوماً لم نأمن في بعض أفعاله أن يكون قبيحاً، والفرض أنّ الإقتداء به واجب علينا والله

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) شرح أصول الكافي: ٥/ ١٢٣، والكافي: ١/ ١٦٨.
(٣) كتاب الغيبة: ١٣٨ ح ٤، وبحار الأنوار: ٢٣/ ٥٦.
(٤) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٥ ح ٣٣، وميزان الحكمة: ١/ ١١٧ ح ١٣٨.

تعالى الحكيم لا يوجب علينا الإقتداء بما هو قبيح، على أنّ الإمام إذا كان داعي النّاس إلى سبيل الله والمبين الحلال والحرام وحافظ الدّين عن الزيادة والنقصان يستلزم العلم بإعطاء كلّ ذي حق حقه بحسب استحقاقه وهو كما حققناه قبل، يستلزم الإطلاع على الكليات والجزئيات مما يحتاج إليها النّاس وهي غير متناهية، فهي غير معلومة إلا لله تعالى ولخلفائه المعصومين من عنده.

الحديث الثالث قال الشريف المرتضى علم الهدى في المجلس الثاني عشر من أماليه: روي أنّ هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها، وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو: أليس قد جعل الله لك عينين؟ قال: بلى. قال: ولم؟

قال: لأنظر بهما في ملكوت السماوات والأرض فأعتبره. قال: وجعل لك فماً؟

قال: نعم، قال: ولم؟

قال: لأذوق الطعام وأجيب الداعي. ثمّ عدّد عليه الحواس كلّها، ثمّ قال: وجعل لك قلباً؟ قال: نعم، قال: ولم؟

قال: لتؤدي إليه الحواس ما أدركته فيميّز بينها.

قال: فأنت لم يرض لك ربّك تعالى إذ خلق لك خمس حواس حتّى جعل لها إماماً ترجع إليه، أترضى لهذا الخلق الذين جشأ بهم العالم ألا يجعل لهم إماماً يرجعون إليه؟ فقال له عمرو: إرتفع حتى ننظر في مسألتك، وعرفه ثمّ دار هشام في حلق البصرة فما أمسى حتّى اختلفوا[1].

أقول: ورواه الكليني قدس سرّه مفصلاً في الكافي بإسناده عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله جماعة من أصحابه، منهم حمران بن أعين ومحمّد بن النعمان وهشام بن سالم والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شابّ فقال أبو عبد الله: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟

قال هشام: يا ابن رسول الله إنّي أجلّك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشي فافعلوا قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة عظيمة وفيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والنّاس يسألونه فاستفرجت النّاس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي ثمّ قلت: أيّها العالم إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

---

(١) أمالي المرتضى: ١/ ١٢٣.

فقلت له: ألك عين؟

فقال: يا بُنيّ أي شيء هذا من السؤال وشي تراه كيف تسأل عنه؟

فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يا بنيّ سل وإن كانت مسألتك حمقاء.

قلت: أجبني فيها؟ قال لي: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟

قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة.

قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم. قلت: فلك أُذن؟ قال: نعم، قلت فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت: ألك قلب؟ قال نعم: قلت: فما تصنع به؟ قال: أُميز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلت: أوليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّتة أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فتستيقن اليقين وتبطل الشكّ، قال هشام: فقلت له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟

قال: نعم، قلت: لا بد من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقن ما شكّت فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك؟ قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً ثمّ التفت إليّ فقال: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، فقال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟

قال: قلت: من أهل الكوفة.

قال: فإذن أنت هو ثمّ ضمني إليه وأقعدني في مجلسه، وزال عن مجلسه وما نطق حتّى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله وقال: يا هشام من علّمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى[1].

قال حبيب الله الخوئي في شرح النهج: الغرض من احتجاج هشام بن الحكم على عمرو بن عبيد وجوب اللطف من الله تعالى، فإنّه كما اقتضى لطفه خلق القلب إماماً لقوى الجوارح والأعضاء ترجع إليه وليست في غنىً عنه، فكذلك اقتضى جعل إمام النّاس يرجعون إليه في كلّ ما يحتاجون إليه.

ووصف المسألة بالحمقاء تجوّز كقولهم نهاره صائم والتصغير للتحقير.

---

(١) الكافي: ١/ ١٧٠ ح ٣، والبحار: ٢٣/ ٨.

ثمّ إنّ المراد بالقلب في الآيات والأخبار هو اللطيفة الربّانيّة القدسيّة، يعبّر بالقوّة العقليّة وبالعقل وبالروح وبالنفس الناطقة أيضاً، وفي الفارسيّة بروان.

وقد ذكر الشيخ ـ كما في الفصل الآخر من الباب الخامس من السفر الرّابع من الأسفار ـ في بعض رسائله بلغة الفرس بهذه العبارة: روح بخارى راجان گويند ونفس ناطقه را روان، لا الجسم اللحمي الصنوبري الذي في الحيوانات العجم أيضاً.

وإنّما قال: (هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى) لأنّ الحكم العقلي لا يتغيّر بمضي الدهور ولا يتبدّل بتبدّل الزمان ولا يختلف باختلاف الأمم، فهذا الحكم الكلي العقلي الإلهي مكتوب في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى ومستكن في عقول النّاس والخلق، جبّلوا عليه أزلاً وأبداً.

ثمّ إنّ ما تدركه هذه القوى صور صرفة وتصوّرات محضة، لا توصل إلى معرفة الغائبات فلا بدّ للتصديق واليقين والإيصال إلى معرفة الغائبات، من أن تكون قوّة أخرى حاكمة عليها، وتلك القوّة الحاكمة هي العقل، وتلك القوى من شؤونه في الحقيقة تنشأ منه، بل هي تفاصيل ذاته وشروح هويته، وهو أصلها ومتنها، ولولاه لفسدت القوى وانهدم البدن، وكذا: لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

وقول هشام: شيء أخذته منك، كان هشام من أصحاب الصادق والكاظم واقتبس من مشكاة وجودهما علوماً جمّة وألّف كتباً كثيرة قيمة، وكان ثقة في الروايات حسن التحقيق بهذا الأمر، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة وهذّب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام وكان في مبدأ أمره من الجهميّة ثمّ لقي الصّادق فاستبصر بهديه ولحق به.

وقد أشار إلى هذا الاحتجاج أبو عبد الله في ذيل احتجاجه على أبي شاكر الديصاني في حدوث العالم، ونقله الشيخ المفيد في الإرشاد قال: روي أنّ أبا شاكر الديصاني وقف ذات يوم في مجلس أبي عبد الله فقال له: إنّك لأحد النجوم الزواهر وكان آباؤك بدوراً بواهر، وأمهاتك عقيلات عباهر وعنصرك من أكرم العناصر، وإذا ذكر العلماء فعليك تثني الخناصر، خبرنا أيّها البحر الزاخر ما الدليل على حدوث العالم ـ إلى أن قال: فقال أبو شاكر: دلّلت يا أبا عبد الله فأوضحت وقلت فأحسنت وذكرت فأوجزت، وقد علمت أنّا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بآذاننا أو ذقناه بأفواهنا أو شممناه بأنوفنا أو لمسناه ببشرتنا، فقال أبو عبد الله: ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الإستنباط إلّا بدليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح[1].

الحديث الرابع في الكافي بإسناد إلى هشام بن الحكم عن أبي عبد الله أنّه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الأنبياء والرسل؟

(١) الإرشاد، المفيد: ٢/٢٠٢، وبحار الأنوار: ٣/٣٩ ح ١٣.

قال: أنا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبّت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبّرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين في الحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمة، ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم، يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته[1].

أقول: الغرض من هذا الحديث العقلي البرهاني المشتمل على مسائل عظيمة وفوائد مهمّة أنّ الأرض ما دامت باقية لا تخلو من حجّة يهدي النّاس إلى سبيل الرّشاد والسّداد، ويستنقذ عباد الله من الجهالة وحيرة الضلالة، مبتنياً على مقدمات عقلية وليس الغرض من الإتيان بهذه الأحاديث كما أشرنا إليه آنفاً التمسك بها تعبداً، حتى يلزم الدور، بل لمّا رأينا من أنها احتجاجات على أساس عقلي برهاني أردنا ذكره لإنجاز المقصود والإيصال إلى المطلوب، وبالفرض لو لم تكن أمثال هذا الحديث صادرة عنهم لكان استدلالات تامّة واحتجاجات وافية في المقصود، وهذه الأحاديث وأمثالها معاضدات للعقل في حكمه وإرشادات له في قضائه، ونحن بعون الله نأتي في بيان الحديث بطائفة من المطالب المختارة الحكيمة العقلية ليزداد الطالب بصيرة إلى الفلاح وهداية إلى النجاة والنجاح.

قوله: إنّا لمّا أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً. فيه إشارة إلى معرفة الله تعالى بالعقل والنظر والبرهان، لا بتقليد الآباء والأمّهات والعلماء والأساتيذ وغيرهم.

قوله: متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق. فإنّ ما سواه تعالى مخلوقه ومعلوله ممكن في ذاته، ومحتاج في وجوده وبقائه إلى جنابه، فإنّ الممكن في اتّصافه بالوجود يحتاج إلى جاعل مرجح يخرجه من العدم ويجعله متّصفاً بالوجود، فإن كلّ عرضي معلّل ولمّا كانت العلة المحوجة إليه تعالى هو الإمكان، وإنّ الإمكان لا يزول عن الممكن الموجود أيضاً، فمفتقر إلى علّته في بقائه وجود العلّة فوق وجود المعلول في وجوده وجميع صفاته، ومتعال عن التّجسّم والتعلّق بالمواد والأجسام، وعن كلّ حد وصمة يتطرق في معلولاته.

قوله: وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، فإنّ إتقان صنعه في مخلوقه على قدر لائق لكل شيء، والنظام الأكمل الأتمّ المشهور في الكون المحيّر للعقول، والأمور الغريبة الحاصلة في خلق

(١) شرح أصول الكافي: ٥/ ٧٦ ح ١، وميزان الحكمة: ٤/ ٣٠٠٥.

السماوات والأرض والعجائب المودعة في بنية الإنسان والحيوان والنبات، تدلّ على كمال حكمة بارئه، فإنّ الحكمة هو العدل والحق والصواب، والحكيم هو العالم الذي يضع الأشياء مواضعها. . . .

ثم إنّ الصانع الحكيم لا يترك النّاس سدى ولا يهملهم فلا بدّ من أن يكون له سفراء في خلقه.

قوله: لم يجز أن يشاهده خلقه اه: فإنّ ما تدركه الأبصار ويباشره الإنسان بالحواس الجسم والجسمانيات أو المتجسّم والمتجسّد، والمتمثّل من المجرّدات وما يقرب منها كالأجنّة وهو عز وجل متعال عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: ثبت أنّ له سفراء في خلقه ـ إلى آخره. دليل على وجوب بعثة الأنبياء، وهذا الطريق هو الذي أتى به الحكماء في أسفارهم، في وجوب إرسال الرسل على الله تعالى بل هو أمتن وأدق وأكمل منه.

واعلم أنه ذهب أرباب الملل وأكثر الفلاسفة إلى حسن بعثة الأنبياء خلافاً للبراهمة من الهند، ومن يحذو حذوهم فإنّهم منعوا من حسنها، وقالوا: إنّ ما يجي به الرّسول إن خالف العقل فهو مردود وإن وافق ففي العقل غنية عنه فلا وجه لحسنها.

وهذا القول باطل، لأنّ العقل لا يدرك جميع ما يصلح له وينفعه ويضره، على البسط والتفصيل، بل كثيراً منها على الإجمال والإبهام أيضاً، على أنّ الفوائد التي ذكرها المتكلّمون والحكماء في حسن بعثة الأنبياء تردّ ما ذهب إليه البراهمة. قال المحقق الطوسي في تجريد الإعتقاد:

البعثة حسنة لاشتمالها على فوائد كمعاضدة العقل فيما يدلّ عليه، واستفادة الحكم فيما لا يدلّ، وإزاحة الخوف واستفادة الحسن والقبح والمنافع والمضار، وحفظ النوع الإنساني وتكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة، وتعليمهم الصنائع الخفيّة والأخلاق والسّياسات والأخبار بالعقاب والثّواب فيحصل اللّطف للمكلّف.

ثمّ على تقدير حسنها هل هي واجبة في الحكمة، قال العدلية أعني الإماميّة والمعتزلة: نعم، ومنعت الأشاعرة من وجوبها بناء على أصلها الفاسد.

ثمّ تقرير الطريق الذي أتى به الحكماء على الإجمال، هو أن نقول كلما كان صلاح النوع مطلوباً لله تعالى كانت الشريعة واجبة، وكلما كانت الشريعة واجبة، كانت البعثة واجبة فكلما كان صلاح النوع مطلوباً فالبعثة واجبة، وعلى التفصيل ما ذكره زينون الكبير تلميذ أرسطاطاليس في رسالته في المبدأ والمعاد، وما ذكره الشيخ في المقالة العاشرة من إلهيات الشفاء من الفصل الثّاني

إلى الخامس، وفي الإشارة الأولى من النمط التاسع من الإرشادات والتنبيهات، وغيرهم من الحكماء الشامخين في مؤلفاتهم الحكمية، ونأتي بما في الإشارات وشرحه للعلّامة الطوسي فإنهما وافيان في المقصود مع جزالة اللّفظ ورزانة النظم قال الشّيخ:

لمّا لم يكن الإنسان بحيث يستقلّ وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بني جنسه، وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما، يفرغ كلّ واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير، وكان ممّا يتعسر إن أمكن، وجب أن يكون بين النّاس معاملة وعدل، يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة، لاختصاصه بآيات تدلّ على أنّها من عند ربّه، ووجب أن يكون للمحسن والمسي جزاء من عند القدير الخبير فوجب معرفة المجازي والشارع، ومع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكورة للمعبود، وكرّرت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير حتّى استمرت الدعوة إلى العدل المقيم لحياة النوع، ثمّ لمستعمليها بعد النفع العظيم في الدّنيا الأجر الجزيل في الأخر، ثمّ زيد للعارفين من مستعمليها المنفعة التي خصّوا بها فيما هم مولّون وجوههم شطره، فانظر إلى الحكمة ثمّ إلى الرّحمة والنعمة تلحظ جناباً تبهرك عجائبه ثمّ أقم واستقم.

وقال المحقق الطوسي في شرحه: أثبتُ النبوّة والشريعة وما يتعلّق بهما على طريقة الحكماء وذلك مبني على قواعد.

وتقريرها أن نقول: الإنسان لا يستقل وحده بأمور معاشه، لأنّه يحتاج إلى غذاء ومسكن وسلاح لنفسه ولمن يعوله من أولاده الصغار وغيرهم، وكلّها صناعيّة لا يمكن أن يرتّبها صانع واحد، إلا في مدّة لا يمكن أن يعيش تلك المدة فاقداً إياها، أو يتعسر إن أمكن، لكنّها تتيسّر لجماعة يتعاونون ويتشاركون في تحصيلها، يفزع كل واحد منهم لصاحبه عن ذلك فيتم بمعارضة وهي أن يعمل كلّ واحد مثل ما يعمله الآخر، ومعاوضة وهي أن يعطي كلّ واحد صاحبه من عمله بازاء ما يأخذه منه من عمله، فإذن الإنسان بالطبع محتاج في تعيشه إلى الإجتماع مؤد إلى صلاح حاله، وهو المراد من قولهم الإنسان مدنيٌ بالطبع، والتمدن في اصطلاحهم هو هذا الإجتماع فهذه قاعدة.

ثمّ نقول: واجتماع النّاس على التعاون لا ينتظم إلا إذا كان بينهم معاملة وعدل، لأنّ كلّ واحد يشتهي ما يحتاج إليه ويغضب على من يزاحمه في ذلك، وتدعوه شهوته وغضبه إلى الجور على غيره، فيقع من ذلك الهرج ويختلّ أمر الإجتماع، أما إذا كان معاملة وعدل متفق عليهما لم يكن كذلك، فإذن لا بد منهما، والمعاملة والعدل لا يتناولان الجزئيات الغير المحصورة إلا إذا كانت لها قوانين كلّية وهي الشرع، فإذن لا بدّ من شريعة، والشريعة في اللّغة مورد الشاربة، وإنّما سمّي المعنى المذكور بها لاستواء الجماعة في الإنتفاع منه وهذه قاعدة ثانية.

ثمّ نقول: والشرع لا بدّ له من واضع يقنّن تلك القوانين ويقرّرها على الوجه الذي ينبغي وهو الشّارع، ثمّ إنّ النّاس لو تنازعوا في وضع الشرع لوقع الهرج المحذور منه، فإذن يجب أن يمتاز

الشارع منهم باستحقاق الطاعة ليطيعه الباقون في قبول الشريعة. واستحقاق الطاعة إنّما يتقرر بآيات تدلّ على كون تلك الشريعة من عند ربّه، وتلك الآيات هي معجزاته وهي إمّا قولية وإمّا فعلية، والخواصّ للقوليّة أطوع، والعوام للفعلية أطوع. ولا تتم الفعلية مجرّدة عن القوليّة لأنّ النبوّة والإعجاز لا يحصلان من غير دعوة إلى خير، فإذن لا بدّ من شارع هو نبيّ معجزة وهذه قاعدة ثالثة.

ثمّ إنّ العوام وضعفاء العقول يستحقرون اختلال عدل النّافع، في أمور معاشهم بحسب النّوع عند استيلاء الشوق عليهم إلى ما يحتاجون إليه بحسب الشخص، فيقدمون على مخالفة الشرع، وإذا كان للمطيع والعاصي ثواب وعقاب أُخرويان يحملهم الرجاء والخوف على الطاعة وترك المعصية، فالشريعة لا تنتظم بدون ذلك انتظامها به، فإذن وجب أن يكون للمحسن وللمسي جزاء من عند الإله القدير على مجازاتهم، الخبير بما يبدونه أو يخفونه من أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم، ووجب أن يكون معرفة المُجازي والشارع واجبة على الممتثلين للشريعة في الشريعة، والمعرفة العامّية قلما تكون يقينيّة، فلا تكون ثابتة فوجب أن يكون معها سبب حافظ لها وهو التذكار المقرون بالتكرار، والمشتمل عليهما إنما تكون عبادة مذكّرة للمعبود، مكررة في أوقات متتالية كالصلوات وما يجري مجراها، فإذن يجب أن يكون النبي داعياً إلى التصديق بوجود خالق مدبّر خبير، وإلى الإيمان بشارع مبعوث من قبله صادق، وإلى الإعتراف بوعد ووعيد أُخرويين، وإلى القيام بعبادات يذكر فيها الخالق بنعوت جلاله، وإلى الإنقياد لقوانين شرعيّة يحتاج إليها النّاس في معاملاتهم، حتّى تستمرّ بذلك الدّعوة إلى العدل المقيم لحياة النّوع وهذه قاعدة رابعة.

ثمّ إنّ جميع ذلك مقدّر في العناية الأولى لاحتياج الخلق إليه، فهو موجود في جميع الأوقات والأزمنة، وهو المطلوب وهو نفع لا يتصور نفع أعمّ منه. وقد أُضيف لممثلي الشرع إلى هذا النفع العظيم الدنياوي الأجر الجزيل الأخروي حسب ما وعده، وأُضيف للعارفين منهم إلى النفع العاجل والأجر الآجل الكمال الحقيقي المذكور، فانظر إلى الحكمة وهي تبقية النظام على هذا الوجه، ثمّ إلى الرّحمة وهو إيفاء الأجر الجزيل بعد النفع العظيم، وإلى النعمة وهي الإبتهاج الحقيقي المضاف إليهما، تلحظ جناب مفيض هذه الخيرات جناياً تبهرك عجائبه، أي تغلبك وتدهشك. ثمّ أقم أي أقم الشرع، واستقم أي في التوجه إلى ذلك الجناب المقدس.

وإذا علم ذلك فلنرجع إلى بيان سائر فقرات الحديث، قوله: يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده. قال الجوهري في الصّحاح: عبّرت عن فلان إذا تكلمت عنه.

والمراد أنّ الأصل الأوّل فيما يسنّه هذا السانّ المعدّل الإلهي هو إيقاظ فطرة النّاس من نوم الغفلة عن مُبدئ العالم عزّ وجلّ، وإنارة عقولهم من أنوار المعرفة به تعالى، وإثارة نفوسهم إلى الوصول ببابه والحضور إلى جنابه، فإنّ الإيمان بالله أصل شجرة الدّين، وأساس بنيان السّنة والشريعة، وسائر الأصول والفروع متفرع عليه، فمن عرف الله حقّ معرفته عرف أنّ له صفات علياً

وأسماء حسنى لائقة بذاته، وأنّه تعالى واجب الوجود لا يشارك شيئاً من الأشياء في ماهيته، وقيوم بري عن جميع أنحاء التعلق بالغير وأنّه تعالى لم يخلق العالم وآدم عبثاً، فإنّ العبث قبيح لا يتعاطاه المبدأ الحكيم، والمبدأ الحكيم تعالى عن أن يترك النّاس حيارى، ولا يهديهم سبيل الخير والهدى وما يوجب لهم عنده الزلفى، فلا بدّ من وجوب التكليف في الحكمة وإلّا فكان مغرياً بالقبيح، تعالى عن ذلك لأنّه خلق في العبد الشهوة والميل إلى القبائح والنفرة والتأبي عن الحسن، فلو لم يقرر عبده عقله ولم يكلّفه بوجوب الواجب وقبح القبيح ويعده ويتوعده، لكان مغرياً له بالقبيح والإغراء بالقبيح قبيح، والتكليف لا يتم إلّا بالإعلام، وهو لا يتم إلا بإرسال الرّسل المؤدبين بآدابه المؤيدين من عنده، بأمور قدسيّة وكرامات إلهية ومعجزات وخوارق عادات.

وبالجملة من هدي عقله إلى جناب الرّب، هدي إلى ما يتفرّع عليه، فقد أفلح وسعد وفاز، ولذا ترى من سنّة الأنبياء أنّ أوّل ما لقّنوا عباد الله كلمة لا إله إلّا الله، والمروي عن خاتمهم قولوا: لا إله إلّا الله تفلحوا.

نعم لا يجب على اللسان تلقين جميع النّاس معرفته تعالى على الوجه الذي لا يفهمه إلّا الأوحدي من النّاس، الحكيم المتألّه المرتاض في الفنون والعلوم، فإنّ معاشر الأنبياء بعثوا ليكلّموا النّاس على قدر عقولهم، ولا ريب أنّ الإدراكات والنيل إلى المعارف والعلوم يتفاوت بحسب مراتب النّاس في صفاء نفوسهم وصقالتها. قال الشيخ في إلهيات الشفاء:

ويكون الأصل الأوّل فيما يسنّه تعريفه إيّاهم أنّ لهم صانعاً واحداً قادراً وأنّه عالم بالسرّ والعلانية، وأنّه من حقّه أن يطاع أمره، فإنّه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق، وأنه قد أعدّ لمن أطاعه المعاد المسعد ولمن عصاه المعاد المشقي، حتّى يتلقّى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الإله والملائكة بالسمع والطاعة، ولا ينبغي له أن يشغلهم بشي من معرفة الله فوق معرفة أنّه واحد حق لا شبيه له.

فأمّا أن يعدّي بهم إلى أن يكلفهم أن يصدّقوا بوجوده وهو غير مشار إليه في مكان، ولا منقسم بالقول ولا خارج العالم ولا داخله ولا شيء من هذا الجنس، فقد عظم عليهم الشغل وشوّش فيما بين أيديهم الدّين وأوقعهم فيما لا تخلّص عنه، إلّا لمن كان المعان الموفق الذي يشذ وجوده ويندر كونه، فإنّه لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها إلّا بكدّ، وإنّما يمكن القليل منهم أن يتصوروا حقيقة هذا التوحيد والتنزيه، فلا يلبثوا أن يكذّبوا بمثل هذا الموجود ويقعوا في تنازع، وينصرفوا إلى المباحثات والمقايسات بمثل التي تصدّهم عن أعمالهم المدنية، وربما أوقعهم في آراء مخالفة لصلاح المدنية ومنافية لواجب الحق، وكثرت فيهم الشكوك والشبه وصعب الأمر على السانّ في ضبطهم، فما كل بميسّر له في الحكمة الإلهيّة، ولا السانّ يصلح له أن يظهر أنّ عنده حقيقة يكتمها عن العامّة، بل يجب أن لا يرخّص في تعرض شيء من ذلك. بل يجب أن يعرّفهم جلال الله

تعالى وعظمته برموز وأمثلة من الأشياء التي هي عندهم جليلة وعظيمة، ويلقى إليهم مع هذا القدر، أعني أنّه لا نظير له ولا شريك له ولا شبيه.

وكذلك يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد، على وجه يتصورون كيفيته، وتسكن إليه نفوسهم، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالاً ممّا يفهمونه ويتصورونه. وأمّا الحق في ذلك فلم يلح لهم منه إلا أمراً مجملاً، وهو أنّ ذلك شيء لا عين رأته ولا أذن سمعته، وأنّ هناك من اللّذة ما هو ملك عظيم ومن الألم ما هو عذاب مقيم.

وكذا قال زينون الكبير تلميذ أرسطاطاليس في رسالته في المبدأ والمعاد: النبيّ يضع السنن والشرائع ويأخذ الأمّة بالترغيب والترهيب، يعرّفهم أنّ لهم إلهاً مجازياً لهم على أفعالهم يثيب على الخير ويعاقب على الشر، ولا يكلّفهم بعلم ما لا يحتملونه، فإنّ هذه الرتبة هي رتبة العلم أعلى من أن يصل إليها كلّ أحد. ثمّ قال: قال معلمي أرسطاطاليس حكاية عن معلمه أفلاطون: إنّ شاهق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كلّ طائر، وسرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كلّ سائر.

قال حبيب الله الخوئي: وكأنّ الشيخ الرّئيس قد لاحظ عبارة زينون فيما قاله في آخر النمط التاسع من الإشارات: جلّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكل وارد أو يطّلع عليه إلّا واحداً بعد واحد.

قوله: ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم ذلك لما مرّ آنفاً من أنّ الإنسان مدنيّ بالطبع محتاج في تعيشه وبقائه إلى اجتماع، فلا بد لهم من سانّ معدّل يدبّر أمورهم ويعلّمهم طريق المعيشة في الدّنيا والنجاة من العذاب في العقبى، ولولا هذا السانّ لوقع الهرج واختل أمر الإجتماع ولزم مفاسد كثيرة أُخرى. ذكر بعضها من قبل.

ونعم ما قال الشيخ في الشفاء: فالحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقي نوع الناس، ويتحصّل وجوده أشدّ من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين، وتقعير الأخمص من القدمين وأشياء أُخرى من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء، بل أكثر ما لها أنّها تنفع في البقاء، ووجود الإنسان الصالح لأن يسنّ ويعدّل ممكن، فلا يجوز أن تكون العناية الأُولى تقتضي تلك المنافع، ولا تقتضي هذه التي هي أسّها، ولا أن يكون المبدأ الأوّل والملائكة بعده يعلم ذلك ولا يعلم هذا، ولا أن يكون ما يعلمه في نظام الخير الممكن وجوده الضروري حصوله، لتمهيد نظام الخير ولا يوجد بل كيف يجوز أن يوجد، وما هو متعلق بوجوده مبني على وجوده موجود فواجب إذن أن يوجد نبيّ.

ثمّ إنّ في قوله: يدلونهم على مصالحهم، إشارة إلى ما ذهب إليه العدلية من أنّ الأحكام الإلهية متفرعة على مصالح ومفاسد لا كما مال إليه الأشعري.

قوله: فثبّت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ. هذه نتيجة ما قدّم من المقدّمات البرهانية العقلية المستحكمة المباني: الأولى أنّ لنا صانعاً، والثانية أنّه متعال عن أوصاف مخلوقه. فلم يجز أن يشاهده خلقه ويباشروه فلا بدّ من وسائط، الثالثة أنّه حكيم عالم بوجوه الخير والمنفعة في النّظام وسبيل المصلحة للخلائق في المعيشة والقوام والبقاء والدوام، والحكيم لا يخلّ بالواجب، الرابعة أنّ الإنسان مدني بالطبع فلا بدّ له من سانّ معدل.

قوله: هم الأنبياء وصفوته من خلقه إلى قوله: ثمّ ثبت. بيّن في هذه الفقرات أمرين: الأوّل أنّ النبيّ لا بدّ أن يكون بشراً حيث قال: على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب. الثّاني أنه مع البشريّة يجب أن يكون متميزاً من سائر النّاس بأوصاف قدسية خلقاً وخلقاً حيث قال: غير مشاركين للنّاس في شيء من أحوالهم.

أمّا الأوّل أعني كونه من جنس البشر فلوجوه: الأوّل أنس النّاس به فإنّ الجنس إلى الجنس يميل.

والوجه الثاني: النّاس في حالتهم العادية لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته التي خلق عليها، لأنه روحاني الذات والقوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك، بل الجن ما لم يتجسما ويتمثلا بالأجسام الكثيفة والأمثال المرئية وإن كانا يريانا، كما قال تعالى في الشيطان: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ بل أبصارنا لا تقوى على رؤية بعض الأجسام من عالمنا هذا أيضاً كالهواء، والعناصر البسيطة التي يتألف منها الهواء فكيف تقدر على رؤية ما هو ألطف من الهواء كالجنّ، وما هو ألطف من الجن كالملك وما هو ألطف منه.

ثمّ لو فرض أن يتمثل الملك أو يتجسد أو يتجسّم بحيث عاينه النّاس لكان في صورة البشر أيضاً للوجهين المتقدّمين قال عزّ من قائل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[1].

ولذلك كان جبرئيل يأتي النّبي في صورة دحية الكلبي. والملائكة الذين دخلوا على إبراهيم في صورة الضيفان حتى قدّم إليه عجلاً جسداً، وكذلك الذين أتوا لوطاً، وكذلك لمّا تسوّر المحراب على داود الملكان، كانا في صورة رجلين يختصمان إليه، وجبرئيل تمثل لمريم بشراً سويّاً، نعم يمكن للأنبياء أن يروا بقوتهم القدسيّة الملائكة وأشباههم على صورتهم الأصلية، كما جاءت عدّة روايات أنّ خاتمهم رأى جبرئيل على صورته الأصليّة مرّتين وسيأتي الكلام في ذلك في خواص الأنبياء.

والوجه الثالث: النبي لو كان ملكاً وإن تجسم بشراً لم تتم الحجة على النّاس، ولا تسلم له

(١) سورة الانعام، الآية: ٩.

العقول ولاتنقاد النفوس، لأنه إن ظهرت أية معجزة منه لقالوا: لو كان لنا مثل ما كان لك من القدرة والقوة والعلم، وغيرها من الصفات القاهرة على صفات البشر لفعلنا مثل فعلك، فتقوى الشبهات من هذه الجهة، وبذلك علم ضعف ما تخيّل ضعفاء العقول من النّاس، أنّ الأنبياء إذا كانوا من طائفة الملائكة من حيث إنّ علومهم أكثر وقدرتهم أشدّ ومهابتهم أعظم، وامتيازهم عن الخلق أكمل والشبهات والشكوك في نبوّتهم ورسالتهم أقل، والحكيم إذا أراد تحصيل مهم فكلّ شيء كان أشدّ إفضاءً إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى.

وهذه الوجوه الثلاثة ما أجاب بها رسول الله مشركي قريش، لمّا جادلوه واحتجوا عليه بقولهم: لو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده، ولو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا، كما هو المروي في الاحتجاج للطبرسي رضوان الله عليه والبحار وكثير من كتب الحديث: إنّ رسول الله كان قاعداً ذات يوم بمكّة بفناء الكعبة، إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم الوليد بن المغيرة المخزومي وأبو البختري بن هشام وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي أميّة المخزومي، وكان معهم جمع ممّن يليهم كثير ورسول الله في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدي إليهم عن الله أمره ونهيه، فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمّد وعظم خطبه فتعالوا نبدأ بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وإبطال ما جاء به، ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعلّه ينزع عمّا هو فيه من غيّه وباطله وتمرّده وطغيانه، فإن انتهى وإلّا عاملناه بالسيف الباتر.

قال أبو جهل: فمن الذي يلي كلامه ومجادلته؟ قال عبد الله بن أبي أميّة المخزومي: أنا إلى ذلك، أفما ترضاني له قرنا حسيباً ومجادلاً كفيّاً؟

قال أبو جهل: بلى. فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله بن أبي أميّة المخزومي فقال:

يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالا هائلاً، زعمت أنّك رسول الله ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين، أن يكون رسوله مثلك بشراً مثلنا، تأكل ممّا نأكل وتمشي في الأسواق كما نمشي ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ قال المخزومي: ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده، بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبيّاً لكان إنّما يبعث إلينا ملكاً، لا بشراً مثلنا، ما أنت يا محمّد إلّا مسحوراً ولست نبيّاً ـ وساق الحديث إلى أن قال[1]:

ثمّ قال رسول الله: وأمّا قولك: (ولو كنت نبيّاً لكان معك ملك يصدّقك ونشاهده، بل لو أراد أن يبعث إلينا نبياً لكان إنّما يبعث لنا ملكاً لا بشراً مثلنا) والملك لا تشاهده حواسكم، لأنه من جنس هذا الهواء لاعيان منه ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا

(١) البحار: ٩/ ٢٧٠، والاحتجاج: ١/ ٢٧.

بشر، لأنه إنّما كان يظهر لكم بصورة البشر الذي قد ألفتموه، لتفهموا عنه مقالته وتعرفوا خطابه ومراده، فكيف كنتم تعلمون صدق الملك وأنّ ما يقوله حق؟ بل إنّما بعث الله بشراً وأظهر على يده المعجزات، التي ليست في طبائع البشر الذين قد علمتم ضمائر قلوبهم، فتعلمون بعجزكم عما جاء به أنّه معجزة، وأنّ ذلك شهادة من الله بالصدق له، ولو ظهر لكم ملك وظهر على يده ما تعجز عنه البشر، لم يكن في ذلك ما يدلكم أنّ ذلك لكم، ليس في طبائع سائر أجناس الملائكة حتّى يصير ذلك معجزاً، ألا ترون أنّ الطيور التي تطير ليس ذلك منها بمعجزة، لأن لها أجناساً تقع منها مثل طيرانها ولو أنّ آدميّاً طار كطيرانها كان ذلك معجزاً، فالله عزّ وجلّ سهّل عليكم الأمر وجعله بحيث يقوم عليكم حجّته وأنتم تقترحون عمل الصّعب الذي لا حجّة فيه.

ثمّ قال رسول الله: وأمّا قولك: (ما أنت إلّا رجل مسحور) فكيف أكون كذلك وقد تعلمون أنّني في صحة التميز والعقل فوقكم، فهل جرّبتم عليّ منذ نشأت إلى أن استكملت أربعين سنة خزية أو زلّة أو كذبة أو خيانة أو خطأً من القول أو سفهاً من الرأي، أتظنّون أنّ رجلاً يعتصم طول هذه المدّة بحول نفسه وقوّتها أو بحول الله وقوّته ـ إلى آخر الحديث بطوله[1].

أمّا الأمر الثّاني أعني أنّ النبيّ مع البشريّة، يجب أن يكون متميزاً عن سائر النّاس، بأوصاف قدسيّة، فأشار إليها بقوله: أنّ الأنبياء صفوته من خلقه أوّلاً، وأنّهم حكماء مؤدّبين في الحكمة ثانياً، ومبعوثين بها ثالثاً، وغير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم رابعاً، مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمة خامساً. وهذه أمور لا بدّ للنّاظر من البحث عنها والنيل إلى حقيقة مغزاها.

واعلم أنّ الأنبياء لكونهم سفراء له تعالى إلى خلقه، وأمناؤه على وحيه وخلفاؤه لا بدّ من أن يكونوا متّصفين بالأوصاف القدسيّة الإلهيّة، ومتخلّقين بالأخلاق الرّبوبيّة، فإنّ الخليفة لا بدّ وأن يكون موصوفاً بصفات المستخلف، حتّى يتحقّق له إسم الخلافة، والعناية الأزليّة تأبى بعث من لم يكن كذلك، لبعده عن الإتّصاف بصفات الحق والإتّصال بحضرة القدس. وقد قال الحكماء ومنهم الشيّخ في الشّفاء، أنّ النّفس النّاطقة كمالها الخاصّ بها أن يصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صور الكلّ والنّظام المعقول في الكلّ، والخير الفائض في الكل، وأفضل النّاس من استكملت نفسه عقلاً بالفعل محصلاً وللأخلاق التي تكون فضائل عمليّة، وأفضل هؤلاء هو المستعدّ لمرتبة النبوّة، وهو الذي في قواه النّفسانيّة خصائل ثلاث: أن يعلم جميع المعلومات أو أكثرها من عند الله، وأن تطيعه مادة الكائنات بإذن الله، وأن يسمع كلام الله ويرى ملائكة الله.

أمّا العلم بجميع المعلومات والإطّلاع على الأمور الغائبة من غير كسب وفكر، فيحصل من

(١) الاحتجاج: ١/ ٣٠، والبحار: ٩/ ٢٧٣.

صفاء جوهر النفس وشدّة صقالتها ونورانيتها الموصل لها إلى المبادئ العالية وشدّة الإتّصال بها.

وأمّا إطاعة مادّة الكائنات فبسبب شدّة انسلاخهم عن النواسيت الإنسانيّة، تدوم عليهم الإشراقات العلويّة بسبب الإستضاءة بضوء القدس والإلف بسنا المجد فتطيعهم المادة العنصريّة القابلة للصور المفارقة فيتأثر المواد عن أنفسهم كما يتأثر أبدانهم عنها، فلهذا يكون دعاؤهم مسموعاً في العالم الأعلى والقضاء السابق، ويتمكن في أنفسهم نور خلّاق به يقدرون على بعض الأشياء التي يعجز عنها غيرهم. قال الله تعالى في عيسى بن مريم: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1].

وأما الخصلة الثالثة فلأنّ الأنبياء لهم نفوس مقدسّة، قلّت شواغلها عن الحواس الظاهرة، فتخلّصت بذلك عن المادّة الجسمانيّة، فلم يكن بينها وبين الأنوار حجب ولا شواغل لأنّها من لوازم المادّة، فإذا تخلّصت النّفس عن تعلقاتها كانت مشاهدة للأنوار والمفارقات البريئة عن الشوائب الماديّة واللّواحق الغريبة، ولذا يكونوا مشاهدين للملائكة على صورهم بقوتهم القدسية، سامعين لكلامهم، قابلين لكلام الله تعالى بطريق الوحي، ومعلوم أنّ المادّة التي تقبل هذه الخصائل والكمالات تقع في قليل من الأمزجة، ولذا قال: إنّ الأنبياء وصفوته من خلقه، فمزاجهم أعدل الأمزجة الإنسانية، ونفسهم الفائضة من الأوّل تعالى ألطف وأشدّ وأقوى وأوسع وجوداً من غيرها، فهم غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم، وقوله: في شيء من أحوالهم، تتعلّق بقوله غير مشاركين للنّاس.

واعلم أنّ الله جعل المزاج الإنساني أعدل الأمزجة، لتستوكره نفسه الناطقة التي هي أشرف النّفوس، ولا بدّ أن يكون وكرها لائقاً لها، وقال المعلّم الثّاني أبو نصر الفارابي في المختصر الموسوم بعيون المسائل كما نقله عنه المحقّق الطوسي في آخر النّمط الثاني من شرحه على الإشارات: حكمة الباري تعالى في الغاية، لأنّه خلق الأصول (يعني بها العناصر) وأظهر منها الأمزجة المختلفة، وخصّ كل مزاج بنوع من الأنواع، وجعل كلّ مزاج كان أبعد عن الإعتدال سبب كلّ نوع، كان أبعد عن الكمال، وجعل النّوع الأقرب من الإعتدال مزاج البشر حتّى يصلح لقبول النّفس النّاطقة انتهى.

وكما أنّ النفس الناطقة مميّزة عن سائر النفوس بآثار وأفعال تختصّ بها، ولا بد أن يكون مزاجها المتعلق بها أعدل من غيره كذلك الأنبياء الذين هم غير مشاركين للنّاس، على مشاركتهم لهم

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم وأفعالهم، لا بدّ من أن يكون مزاجهم أعدل الأمزجة الإنسانيّة اللائق بنفوسهم القدسية.

ولمّا كان الأنبياء بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[١].

فلا بدّ من أن يكونوا متفاوتين في اعتدال المزاج وصفاء النّفس النّاطقة القدسية وسعتها الوجوديّة، وكذا الكلام في خاتمهم الذي هو أكمل موجود في النّوع الإنساني وأوتي جوامع الكلم التي هي أمّهات الحقائق الإلهيّة والكونيّة، ولذا كان الرّوح المحمّدي أوّل دليل على ربّه، لأنّ الربّ لا يظهر إلّا بمربوبه ومظهره وكمالات الذات بأجمعها إنّما تظهر بوجوده الأكمل. والمروي عنه: والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما حلّ له إلّا أن يتبعني.

قوله: حكماء مؤدّبين في الحكمة، أي أدّبهم الله تعالى في الحكمة، يقال: أدّبه إذا هذّبه وراض أخلاقه، وأدّبه في أمر إذا علّمه وراضه حتّى تأدّب فيه، وفي الجامع الصّغير في أحاديث البشير النذير نقلاً عن ابن عدي في الكامل عن ابن مسعود أنّه قال: أدبني ربّي فأحسن تأديبي. ومن حيث أنّهم حكماء مؤدّبين في الحكمة والحكمة هو العدل والوسط في كلّ أمر، فهم على الجادة الوسطى، التي ليست النّجاة إلّا بالإستقامة فيها، فمن اقتدى بهم واقتفى آثارهم فقد هدي إلى الصّراط المستقيم، فإنّ الحجج الإلهيّة في الحقيقة موازين للنّاس ونبيّ كلّ أمّة هو ميزان تلك الأمّة لأنّ ميزان كلّ شيء بحسبه هو المعيار الذي يعرف به قدره، وحدّه وصحته وسقمه وزيادته ونقصانه واستواؤه، فقد يكون ذلك الشي من الأجسام، فميزانه ما وضع من جنسه من الأحجار وغيرها، كالمّد والمنّ والمكاييل والزرع وغيرها لتعيين وزن ذلك الشي وتقديره، وقد يكون ذلك الشي من الكلمات فيوزن صحتها واعتلالها بميزانه الذي هو الفاء والعين واللام، كما بيّن في علم الصرف. وعلم المنطق يكون ميزاناً لتمييز النتيجة الصحيحة من السقيمة، وعلم العروض ميزاناً للأشعار، وميزان النّاس ما يوزن به قدر كل امرء وقيمته على حسب أعماله، وأخلاقه وعقائده وصفاته، وحيث أنّ الأنبياء بعثوا على الحق ولا يميلون عن العدل مقدار قطمير، ولا يصدر منهم سهو ولا نسيان، فهم معيار الحق وميزان الصّدق وفيصل الأمور، فمن تأسّى بهم وحذا حذوهم فقد فاز فوزاً عظيماً وإلّا فقد خسر خسراناً مبيناً.

وبما ذكرنا على ما في الكافي عن الإمام الصادق من أنّه سئل عن قول الله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٢]؟ قال: هم الأنبياء والأوصياء.

وكذا في رواية أُخرى عنه: نحن الموازين القسط[٣].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣. (٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) بحار الأنوار: ٧/ ٢٤٣، والتفسير الصافي: ٢/ ١٨٢.

قوله: مؤيدون عند الحكيم العليم بالحكمة، أي كما أنّهم مؤدّبون في الحكمة كذلك مؤيّدون بالحكمة من عنده تعالى، تدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته، ليميز الخبيث من الطيب والحق من الباطل فلو لم يكونوا مؤيّدين بها من عنده تعالى بالحكمة أعني بالبينات والمعجزات القولية والفعلية لما يفصل بين النبيّ والمتنبّي، قال عزّ من قائل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

قوله: ثمّ ثبت ذلك ـ إلى آخره لما هدينا العقل بتلك المقدمات إلى هذا المطلب الأسنى، فدلّ أنّ الأرض لا تخلو في كلّ دهر وزمان من لدن خلق البشر إلى قيام القيامة، من حجّة إلهيّة، ودريت أنّ الخليفة في الأوّل قبل الخليقة، وفي الآخر بعدها لئلا يحتجّ أحد على الله تعالى أنّه تركه بغير حجّة لله عليه.

الحديث الخامس في الكافي بإسناده إلى منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله: إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله قال: صدقت.

قلت: إنّ من عرف أنّ له ربّاً فقد ينبغي له أن يعرف أنّ لذلك الربّ رضاً وسخطاً، وأنّه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فينبغي له أن يطلب الرسل فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة وأنّ لهم الطاعة المفترضة، فقلت للنّاس: أليس تعلمون أنّ رسول الله كان هو الحجّة من الله على خلقه؟

قالوا: بلى، قلت: فحين مضى من كان الحجة؟ قالوا: القرآن فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرّجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّا فقلت لهم: من قيّم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم، قلت: كلّه؟

قالوا: لا، فلم أجد أحداً يقال: أنّه يعرف القرآن كلّه إلّا عليّاً وإذا كان الشي بين القوم فقال هذا: لا أدري وقال هذا: لا أدري وقال هذا: لا أدري وقال هذا: أنا أدري فأشهد أنّ عليّاً كان قيّم القرآن، وكانت طاعته مفروضة وكان الحجّة على النّاس بعد رسول الله، وأنّ ما قال في القرآن فهو حق فقال: رحمك الله ـ إلى آخر الحديث[2].

بيان: هذا الحديث مشتمل على مطالب عقليّة مهّدت للزوم الحجّة على النّاس، ما دامت الأرض باقية، يأمرهم بالخير والصلاح ويهديهم إلى سبيل الرشاد، ولا بد أن يكون معه علم بالله وآياته. وتلك المطالب رتّبت على أسلوب بديع وأساس متين: الأوّل أنّ الله أجلّ وأكرم من أن

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) الكافي: ١/ ١٦٩ ح ٢، وعلل الشرائع: ١/ ١٩٢.

يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون بالله وما أحسن هذا القول وأحلاه ويعلم منه أنّ منصور بن حازم كان حازماً حاذقاً في أُصول العقائد.

وغرضه من ذلك إما أنّ معرفة الله تعالى فطري غريزي فطرة الله التي فطر الناس عليها، والعقل وحده كاف في معرفته عزّ وجل وهو القائد إلى جنابه وأُصول صفاته، فلا يحتاج الإنسان في معرفته تعالى إلى خلقه بما أعطاه من العقل يسلكه إلى الصراط المستقيم، قال عزّ من قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1].

فهو تعالى أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل يعرف بالعقل الذي أعطاه خلقه.

وإمّا أنّ الله جلّ جلاله هو الغني القائم بالذات واجب الوجود في ذاته وصفاته وما سواه ممكن مفتقر إليه ومستند به تعالى، ظاهر بظهوره وموجود بوجوده، وهو تعالى لإرتفاع مكانه وجلال كبريائه وشدّة وجوده وبساطته أجلّ من أن يعرف بخلقه، على أنّه تعالى لا حدّ عليه ولا ضدّ ولا ندّ حتّى يعرف بها، بل هو سبب كلّ شيء وعلّته فهو الأوّل عند أولي الأبصار، فإنّ أوّل ما يعرف من عرفان كلّ شيء هو الله تعالى، قال سيد الموحدين عليّ أمير المؤمنين: ما عرفت شيئاً إلّا وقد عرفت الله قبله وقال: اعرفوا الله بالله.

ومن كلام مولانا سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين في دعاء عرفة: كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك[2].

وقال أيضاً: تعرفت لكلّ شيء فما جهلك شيء، وقال: تعرفت إليّ في كلّ شيء فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء فأنت الظاهر لكلّ شيء[3].

فهو تعالى أجل وأكرم من أن يعرف ذاته من جهة خلقه، بل لا يعرف غيره على الحقيقة إلّا به.

وإمّا أنّه تعالى أجل وأكرم من أن يدرك عامة النّاس لطائف صنعه ودقائق حكمته ومصلحته في فعله وقوله، بل الخلق يعرفونها بالله تعالى أي بإرساله الرسل وإنزاله الكتب والظاهر أنّ خير الوجوه أوسطها.

والمطلب الثاني: أنّ من عرف أنّ له ربّا عرف أنّ لذلك الربّ صفات قدوسية متعالية لائقة بجنابه، فلمّا عرف ذلك بنور العقل السليم والعقل السّليم يشتاق التقرب إلى جنابه، ويطلب ما يوصله ببابه، لأنّ الإنسان جبّل على النيل إلى السعادة والميل عن الشقاوة، سيّما السعادة الدائمة

(١) سورة الشمس، الآية: ٧ ـ ٨.

(٢) البحار: ٦٤/ ١٤٢، وصحيفة الحسين: ٢١٤.

(٣) مناسك الحج: ٢٧٥، والبحار: ٦٤/ ١٤٢.

الأبديّة التي لا تحصل إلّا بالتخلّق بأخلاق الله والاتّصاف بصفاته العليا، وليس كل طريق وفعل وقول بمقرب النّاس إليه تعالى بالضرورة، فيحتاج إلى هاد يهديه سبل الخير وما فيه رضوانه تعالى وما فيه سخطه، ولا يتأتى ذلك إلّا بالوحي، ولا يوحى إلى كل واحد من آحاد النّاس لعدم قابلية كلّ واحد لذلك، فإنّ للنبوّة صفات خاصّة لا يتحملها إلّا الأوحدي من النّاس، المؤيد من عند الله تبارك وتعالى كما حقق في محلّه، فالعقل السليم يطلب من الله تعالى إرسال الرسل، فلولا البعثة لكان الله تعالى ظالماً لعباده، فإذا أوحى الله تعالى ما فيه خير البرية وسعادته وما يوجب رضوانه تعالى وسخطه إلى رسول بالبراهين والمعجزات والبيّنات فيأخذ النّاس معالم دينه ومعارف شريعته من الرسول، قال عزّ من قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وأنّ ما قال في القرآن وكانت طاعته مفروضة وكان الحجّة على النّاس بعد رسول الله[1].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

المطلب الثّالث: أنّ الحجّة على النّاس بعد خاتم النبيّين من هو؟ وهذا المطلب في المقام هو الأهمّ لأنّ المسلمين اتفقوا في وجود من يكون حافظاً للشرع من الزيادة والنقصان وللأمة من الظلم والطغيان، كما علم على ما بيّناه في المباحث السالفة وإنّما الكلام في ذلك الحجّة بعد النّبيّ وهو إمّا الكتاب أو السنّة المتواترة أو الخبر الواحد أو الإجماع أو القياس أو البراءة الأصليّة أو الإستصحاب أو العالم القائم مقام النّبيّ، والأخير أيضاً على وجهين: إمّا العالم مطلقاً أو العالم المعصوم من الذنوب، المنزّه من العيوب، المنصوب من عند علّام الغيوب، المؤيد بتأييدات سماوية، المهدي بهداية إلهيّة، وهذه وجوه محتملة في المقام لا بدّ للبصير الناقد أن ينظر فيها ويبحث عنها.

فنقول: أمّا الكتاب فهو كما قال منصور بن حازم يخاصم به المرجئ والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به، حتّى يغلب الرجال بخصومته فالقرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم.

ونزيدك بياناً في المقام حتّى يتبيّن الحق فنقول: لا ريب أنّ لله تعالى في كل واقعة وفي كلّ ما يحتاج إليه النّاس في معاشهم ومعادهم حكماً، وهي أمور غير متناهية وكذا لا ريب أنّ الله تعالى نزّل القرآن تبياناً لكلّ شيء كما نصّ به عزّ من قائل في سورة النحل آية ٨٩: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3].

وفي ذلك روى ثقة الإسلام الكلينيّ قدّس سرّه، في أُصول الكافي بإسناده عن مرازم عن أبي

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

عبد الله قال: إنّ الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتّى والله ما نزّل الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه[١].

وفيه أيضاً بإسناده إلى عمرو بن قيس عن أبي جعفر قال: سمعته يقول: أنّ الله تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله وجعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً[٢].

وكذا غيرهما من الأخبار الأخرى في ذلك الباب.

وكذا لا ريب أنّ القرآن لم يبيّن تلك الفروع والأحكام الجزئية وكلّ ما يحتاج إليه النّاس في أمورهم الدينية والدّنيوية على التفصيل والبسط، وهذا لا ينافي قوله عزّ وجلّ في الآيتين المذكورتين لأنّ الكتاب مشتمل على أصول كلّية، يستنبط منها الأحكام الجزئيّة والقوانين الإلهيّة من كان عارفاً بها حقّ المعرفة، فلنقدّم لك مثالاً في ذلك توضيحاً للمراد.

قال المفيد في إرشاده: وروي عن يونس عن الحسن: أنّ عمر أتي بامرأة قد ولدت لستّة أشهر فهمّ برجمها فقال له أمير المؤمنين: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٣].

ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[٤].

فإذا تممت المرأة الرّضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً، كان الحمل منها ستّة أشهر فخلّى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك، فعمل الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا انتهى[٥].

وكذا غيره من الوقائع التي قضى فيها أمير المؤمنين عليّ بكتاب الله مما يحير العقول، فهذا الحكم كان ثابتاً في الكتاب المجيد ولكن لا تبلغه عقول الرّجال إلا الكمّل منهم الذين هداهم الله إليه وعلّمهم معالم دينه، وجاءت الرّواية في ذلك في الكافي بإسناده عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله: ما من أمر يختلف فيه إثنان إلّا وله أصل في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقول الرّجال.

ونظير ما نقله المفيد جاء في الكافي للكليني بإسناده عن عليّ بن يقطين قال: سأل المهدي أبا الحسن عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب الله تعالى، فإنّ النّاس إنّما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها.

---

(١) شرح أصول الكافي: ٢/ ٢٧٥ ح ١، والمحاسن للبرقي: ١/ ٢٦٧ ح ٣٥٢.
(٢) شرح أصول الكافي: ٢/ ١٧٦ ح ٢، والبحار: ٨٩/ ٨٤ ح ١٦.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٥) بحار الأنوار: ٨٧/ ١١٥، والإيضاح: ١٩١ ح ٥.

فقال له أبو الحسن: بل هي محرّمة في كتاب الله تعالى يا أمير المؤمنين فقال له: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب الله يا أبا الحسن؟

فقال: قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].

فأمّا قوله: ما ظهر منها، يعني زنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾، يعني ما نكح من الآباء لأنّ النّاس كانوا قبل أن يبعث النبيّ إذا كان للرجل زوجة ومات عنها، تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه فحرّم الله تعالى ذلك. وأمّا الإثم فإنها الخمر بعينها وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

فأمّا الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمهما أكبر كما قال تعالى.

فقال المهدي: يا عليّ بن يقطين فهذه فتوى هاشمية.

قال: قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال: فوالله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي[2].

قال حبيب الله الخوئي في شرح النهج: واعلم أنّ نظائرهما المروية عن أئمتنا المستنبطة من ضم الآيات القرآنية بعضها من بعض غير عزيز، واستبصر من هذا أنما يعرف القرآن من خوطب به، وأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً.

قال عزّ من قائل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

ومعلوم أنّ من الأشياء القرآن نفسه فهو تبيان لنفسه أيضاً ولكن لا تبلغه عقول الرّجال كما دريت.

وإنّ للإستنباط من الكتاب رجالاً عيّنهم الله لنا في كتابه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[4].

على أنّا نقول: إنّ في الكتاب محكماً ومتشابها وناسخاً منسوخاً وعامّاً وخاصّاً ومبينا ومجملاً، تمييزها واستنباط الفروع الجزئية والأحكام الإلهيّة منها صعب مستصعب جدّاً، بل خارج عن طوق البشر إلّا من اختاره الله وعلّمه فقه القرآن، وملأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ومن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.
(٢) الكافي: ٦/٤٠٦ ح ١، والبحار: ٤٨/١٤٩ ح ٢٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ٨٣.

المجمل في الكتاب قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيدِيَهُمَا﴾[١].

فإنّ اليد يطلق على العضو المعروف إلى الأشاجع وإلى الزند وإلى المرفق وإلى المنكب، فيقال أدخلت يدي في الماء إلى الأشاجع وإلى الزند وإلى المرفق وإلى المنكب، وأعطيت بيدي وإنّما أعطاه بأنامله وكتبت بيدي وإنّما كتبه بأصابعه، والاستعمال ظاهر في الحقيقة فيحصل الإشتراك ويأتي الإجمال في حدّ القطع، كما أنها مجملة في أنّ المراد قطع يدي السارق كلتيهما أو إحداهما، وعلى الثاني اليد اليمنى أو اليسرى وكذا في المقدار المسروق الذي تقطع فيه أيديهما، وفي من تكررت منه السرقة بعد القطع أو قبل القطع وغيرها من أحكام السرقة المدوّنة في كتب الحديث والفقه، وكذا غيره من الأحكام والفرائض مثل فرض الصّلاة والزّكاة والصوم والحجّ والجهاد وحدّ الزنا ونظائرها، ممّا نزل في الكتاب مجملاً فلا بدّ لها من مفسّر ومبيّن.

ثمّ أنّه لو كان كتاب الله وحده بلا قيّم ومفسّر ومبيّن كافياً لما أمر الله تعالى بإطاعة الرّسول، وفي عدّة مواضع من كتابه الكريم، كما حرّرناه من قبيل ودريت أن القائل حسبنا كتاب الله خبط خبط عشواء.

في أنّ السّنة وحدها لا تكون حجّة إلا بقيم

قال حبيب الله الخوئي: وأمّا السّنة فالكلام فيها الكلام في الكتاب، فإنّ كلام حجج الله تعالى دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ولكثير من الرّوايات إن لم نقل لجميعها وجوه محتملة، وقد يعارض بعضها، ولبعضها بطون علمية كالآيات القرآنيّة، فقد روى الصّدوق في المجلس الأوّل من أماليه بإسناده عن عمرو بن اليسع عن شعيب الحدّاد قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد يقول: أنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرب أو نبيّ مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة، قال عمرو: فقلت لشعيب: يا أبا الحسن وأي شيء المدينة الحصينة؟

قال: فقال: سألت الصّادق عنها فقال لي: القلب المجتمع[٢].

على أنّ الروايات ليست بوافية في جميع الأحكام، على سبيل التنصيص في الجزئيات بل كلّيات أيضاً، يستنبط منها تلك الفروع الجزئية، مع أنّ الروايات أكثرها منقولة بالمعنى، ولم يثبت بقاؤها على هيئتها التي صدرت عن المعصوم، أعني أنها لم تتواتر لفظاً وإن تواتر مدلول كثير منها، حتّى ذهب الشهيد الثّاني في الدراية، إلى أنّ رواية واحدة يمكن ادعاء تواتره لفظاً، حيث قال:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٢ ح ٦، والبحار: ٢/ ١٨٣ ح ١.

والتواتر يتحقق في أُصول الشرائع كثيراً، وقليل في الأحاديث الخاصّة وإن تواتر مدلولها، حتّى قال أبو الصّلاح من سئل عن إبراز مثال لذلك أعياه طلبه، نعم حديث:«من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار» يمكن ادعاء تواتره، فقد نقله عن النّبي من الصحابة الجم الغفير. انتهى[1].

قال المجلسي في مرآة العقول: من المعلوم أنّ الصّحابة وأصحاب الأئمّة لم يكونوا يكتبون الأحاديث عند سماعها، ويبعد بل يستحيل عادة حفظهم جميع الألفاظ على ما هي عليه، وقد سمعوها مرّة واحدة خصوصاً في الأحاديث الطويلة، مع تطاول الأزمنة، ولهذا كثيراً ما يروى عنهم المعنى الواحد بألفاظ مختلفة، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

أمّا القرآن الكريم فإنّه المنزّل من الله تعالى المحفوظ على هيئته التي نزلت بلا تغيير وتبديل في ألفاظه بلا خلاف، بل اتفق الكلّ من المسلمين وغيرهم على أنّ القرآن بين الكتب المنزلة هو الكتاب الذي لم يتطرق إليه تحريف أو تصحيف أو زيادة أو نقصان مطلقاً.

فإذا كانت الأحاديث على ذلك المنوال، فيأتي البحث في الأخبار على أطوار كثيرة مضبوطة في كتب الدّراية والرّجال وغيرهما، مثلاً ينظر في الرّاوي هل كان أهلاً للنقل أم لا، كما روى الكلينيّ في الصحيح عن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله: أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص.

قال: إن كنت تريد معناه فلا بأس[2].

وبالجملة الكلام في القرآن والحديث، هو ما ذكره مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ نقله الرّضي في النّهج، كما مضى في الخطبة الثمانية والمئتين وكذا نقله الكلينيّ في الكافي وفي الوافي (ص ٦٢ م١).

روى الكلينيّ بإسناده عن أبان بن عيّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لأمير المؤمنين: إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله غير ما في أيدي النّاس، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي النّاس أشياء كثيرة من تفسير القرآن، ومن الأحاديث عن نبي الله أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل، أفترى النّاس يكذبون على رسول الله متعمّدين ويفسّرون القرآن بآرائهم قال: فأقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب:

إنّ في أيدي النّاس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله على عهده حتّى قام خطيباً فقال: أيّها النّاس قد

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٩، ووسائل الشيعة: ١/ ١٤.

(٢) الكافي: ١/ ٥١ ح ٢، والبحار: ٢/ ١٦٤.

كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النّار، ثمّ كذب عليه من بعده.

وإنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله متعمداً، فلو علم النّاس أنّه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله ورآه وسمع منه، فيأخذون عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[1].

ثم بقيوا بعده فتقربوا إلى أئمّة الضلالة والدعاة إلى النّار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب النّاس، وأكلوا بهم الدّنيا وإنّما النّاس مع الملوك والدّنيا إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمّد كذباً فهو في يده يقول ويعمل به ويرويه، ويقول أنا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثمّ أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ النّاسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله، لم ينسه بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ والمنسوخ وعمل بالنّاسخ ورفض المنسوخ، فإنّ أمر النّبيّ مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله: الكلام له وجهان كلام عام وكلام خاصّ مثل القرآن، وقال الله تعالى في كتابه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله. وليس كلّ أصحاب رسول الله كان يسأل عن الشي فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجي الأعرابي والطاري فيسأل رسول الله حتّى يسمعوا[2].

أقول: إنّه يذكر بعد قوله حتّى يسمعوا: منزلته عند النّبي وسنذكر هذا الذيل أيضاً في محلّه، فبما حررناه دريت أنّ الكتاب والسنّة غير وافيين بكل الأحكام، مع أنّ لله تعالى في كلّ واقعة حكماً يجب تحصيله فهما يحتاجان إلى قيّم.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ١٩١ ح ٢١٠، والكافي: ١/ ٦٤.

في الكافي بإسناده عن أبي البختري عن أبي عبد الله قال: إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً وإنّما ورّثوا من أحاديثهم، فمن أخذ بشي منها فقد أخذ حظّا وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فإن فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[١].

وحيث علم معنى العدل فيما تقدم، وعلم أنّ الإمام المنصوب الإلهي على العدل المحض، ويهدون بأمر الله تعالى إلى طريق الحق، علم أنّ المراد بالعدول هم الأئمة الهادين المهديين لا غير، وجاء خبر آخر في الكافي كأنه مفسر له حيث روى بإسناده عن ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قال رسول الله: إنّ عند كلّ بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكّلاً به يذب عنه، ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوّره ويرد كيد الكائدين، يعبّر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله[٢].

ونِعْم ما قال الفيض في الحديث بياناً: المراد من ورثة الأنبياء ورثتهم من غذاء الرّوح، لأنّهم أولادهم الروحانيون الذين ينتسبون إليهم من جهة أرواحهم المتغذية بالعلم المستفاد منهم كما أنّ من كان من نسلهم ورثتهم من غذاء الجسم، لأنّهم أولادهم الجسمانيّون (الذين ينتسبون إليهم من جهة أجسادهم المتغذية بالغذاء الجسماني) حظّاً وافراً كثيراً لأنّ قليل العلم خير ممّا طلعت عليه الشّمس.

فانظروا يعني لمّا ثبت أنّ العلم ميراث الأنبياء، فلا بدّ أن يكون مأخوذاً عن الأنبياء وعن أهل بيت النّبوّة، الذين هم مستودع أسرارهم، وفيهم أصل شجرة علمهم دون غيرهم، فإنّ المجاوزين عن الوسط الحقّ يحرّفون الكلم عن مواضعه بحسب أهوائهم. والمبطلون يدّعون لأنفسهم العلم ويلبسون الحقّ بالباطل لفساد أغراضهم. والجاهلون يؤولون المتشابهات على غير معانيها المقصودة منها لزيغ قلوبهم، فيشتبه بسبب ذلك طريق التعلّم على طلبة العلم.

وفي أهل بيت النّبي صلوات الله عليه وعليهم في كلّ خلف بعد سلف أمة وسط، لهم الاستقامة في طريق الحق من غير غلو ولا تقصير ولا زيغ ولا تحريف، يعني الإمام المعصوم وخواصّ شيعته الأمناء على أسراره الحافظين لعلمه الضابطين لأحاديثه، فإنّ الأرض لا تخلو منهم أبداً وهم لا يزالون ينفون عن العلم تحريف الغالين وتلبيس المبطلين وتأويل الجاهلين، فخذوا علمكم عنهم دون غيرهم لتكونوا ورثة الأنبياء.

وهذا الحديث ناظر إلى ما روي عن النّبيّ أنّه قال: يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتفسير للعدول الوارد فيه[٣].

---

(١) الكافي: ١/ ٣٢ ح ٢، ووسائل الشيعة: ٢٧/ ٧٨ ح ٢.
(٢) المحاسن للبرقي: ١/ ٢٠٨ ح ٧١، والكافي: ١/ ٥٤ ح ٥.
(٣) بحار الأنوار: ٩٧/ ٢٧٩، ونهج السعادة: ٧/ ٤٣ ح ١١.

والخلف بالتحريك والسكون كلّ ما يجي بعد من مضى، إلّا أنّه بالتحريك في الخير وبالتسكين في الشرّ يقال: خلَف صدق وخلْف شر.

وأمّا القياس فقد حققنا في المباحث السالفة أنّ لله تعالى في كلّ واقعةٍ حكماً، وأن الأحكام مبتنية على مصالح ومفاسد في الأشياء لا تبلغها العقول ولا يعلمها إلّا علّام الغيوب، ولو تأمّلنا حقّ التأمل في الدّين لرأينا أنّ دين الله لم يبن على القياس، فإنّ المراد بالقياس في المقام القياس الفقهي، الذي يسمّى في علم الميزان بالتمثيل، ومبني الشرع على اختلاف المتفقات كوجوب الصّوم آخر شهر رمضان وتحريمه أوّل شوّال، واتفاق المختلفات كوجوب الوضوء من البول والغائط واتفاق القتل خطأ والظهار في الكفارة. مع أنّ الشارع قطع يد سارق القليل دون غاصب الكثير، وجلد بقذف الزنا وأوجب فيه أربع شهادات دون الكفر، وذلك كلّه ينافي القياس وقد قال رسول الله: تعمل هذه الأمّة برهة بالكتاب، وبرهة بالسّنة، وبرهة بالقياس، فإذا فعلوا ذلك فقد ضلّوا وأضلّوا.

وليس القياس إلّا اتباع الهوى وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[١].

ولو تطرق في الشريعة العمل بالقياس لمحق الدّين، لأنّ لكلّ أحد أن يرى برأيه ونظره مناسبة بين الحكمين، وغالباً لا يخلو الشيئان عن مناسبة ما، فيلزم عندئذ تحليل الحرام وتحريم الحلال، وآراء كثيرة مردية في موضع واحد، مع أنّ حكم الله واحد لا يتغير، وقد روى شيخ الطّائفة في التهذيب بإسناده عن أبي مريم عن أبي جعفر قال: قال صلوات الله عليه: لو قضيت بين رجلين بقضية ثمّ عادا إليّ من قابل لم أزدهما على القول الأوّل لأنّ الحق لا ينغير[٢].

وقد دريت آنفاً أنّه ليس شيء ممّا يحتاج إليه النّاس إلّا وقد جاء فيه كتاب أو سنة، وأنّ الله تعالى نص في كتابه العزيز، أنزل في القرآن تبيان كل شيء قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٤].

وغيرهما من الآيات الأخر، فإذاً بيّن القرآن كلّ شيء وكذا السنة، وإن كان لا تبلغها عقول الرّجال، فعلينا أن نطلب من عنده علم الكتاب، وليس لنا أن نختار بالقياس والإستحسان وأمثالهما حكماً نفتي به أو نعمل، فإنّ الله حذرنا عن ذلك في كتابه بقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٢) الأصول الأصيلة: ١١١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.

وقال عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وقال عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[5] وغيرها من الآيات القرآنيّة.

فهذه الآيات القرآنية تذمّ من رغب عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختياره، وتنهيه عن ذلك ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * أَمْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * أَمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

انتهى كلام حبيب الله الخوئي في منهاج البراعة[6].

ما نسب من الشعر لعلي بن الحسين عليه السلام

عن الزهري قال: سمعت عَلي بن الحُسَين ـ سيد العابدين ـ يحتسب نفسه ويناجي ربه ويقول:

يانفسُ حتّام إلى الدنيا غرورك، وإلى عمارتها ركونك؟

أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارثه الأرض من ألّافك، ومن فجعت به من إخوانك، ونقل البلى من أقرانك؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بَوالٍ دوائرُ

خلت دورهم منها وأقوتْ عراصهم ... وساقتهمُ نحو المنايا المقادر

وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمتهمُ تحت التراب الحفائر

(١) سورة القلم، الآية: ٣٦ ـ ٤١.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢١.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١٥.
(٤) سورة محمد، الآية: ١٤.
(٥) سورة النجم، الآية: ٢٣.
(٦) منهاج البراعة: ١٦/ ٤٠ ـ ٨٥.

كم تَخَرّمت أيدي المنون من قرون بعد قرون، وكم غيّرت الأرض ببلاها، وغيبتْ في ثراها ممن عاشرت من صنوف الناس، وشيّعتهم إلى الأرماس.

وأنت على الدنيا مكبّ منافس ... لخطائها فيها حريص مكاثر
على خطر تمسي وتصبح لاهياً ... أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
وإنّ امرأً يسعى لدنياه دائباً ... ويذهل عن أخراه لا شكّ خاسر

فحتّام على الدنيا إقبالك، وبشهواتها اشتغالك؟ وقد رخطك القتير[1]، وأتاك النذير، وأنت عما يراد بك ساه، وبلذة نومك لاه.

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى ... عن اللّهو واللّذات للمرء زاجرُ
أبعد اقتراب الأربعين تربّصٌ ... وشيب قذال منذر لك كاسرُ
كأنّك تعني بالذي هو صائر ... لنفسك عمداً أو عن الرشد حائر

أنظر إلى الأمم الماضية، والملوك الفانية، كيف أفنتهم الأيام، ووافاهم الحمام، فانمحت من الدنيا آثارهم، وبقيت فيها أخبارهم.

وأضحوا رميماً في التراب وعُطّلتْ ... مجالس منهم أقفرتْ ومقاصر
وحلّوا بدار لا تزاور بينهم ... وأنّى لسكان القبور تزاورُ
فَمَا أنْ ترى إلاّ جُثيً قد ثَوَوْا بِها ... مُسَطّحة تَسْفي عليها الأعاصر

كم ذي منعة وسلطان، وجنود وأعوان، تمكّن من دنياه، ونال فيها ما تمنّاه، وبنى القصور والدساكر[2]، وجمع الأعلاق[3] والذخائر:

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت ... مبادرةً تهوى عليه الذخائرُ
ولا دفعتْ عنه الحصونُ التي بنى ... وحفّ بها أنهاره والدّساكر
ولا قارعتْ عنه المنيةَ حيلةٌ ... ولا طمعت في الذبّ عنه العساكر

أتاه من الله ما لا يردّ، ونزل به من قضائه ما لا يُصدّ، فتعالى الله الملك الجبار المتكبر القهّار، قاصم الجبارين ومبير المتكبرين:

مليك عزيز لا يُرَدّ قَضاؤه ... حكيمٌ عليمٌ نافذُ الأمر قاهرُ
عنا كلّ ذي عزّ لعِزّة وجهه ... فكلّ عزيز للمهيمن صاغرُ

---

(١) القتير: الشيب، أو أوله (القاموس المحيط).
(٢) الدساكر، هي أبنية كالقصور حولها بيوت، واحدتها دسكرة، (انظر القاموس).
(٣) الأعلاق جمع علق، وهو النفيس من كل شيء (انظر القاموس).

لقد خضعتْ واستسلمتْ وتضاءلتْ لعزّة ذي العرش الملوكُ الجبابرُ

فالبدار البدار، والحذار من الدنيا ومكائدها، وما نصبت لك من مصائدها، وتحلّت لك من زينتها، وأظهرت لك من بهجتها:

وفي دون ما عاينت من فَجَعاتها إلى رفضها داع، وبالزهد آمرُ
فجدّ ولا تغفل فعيشك زائلٌ وأنت إلى دار الإقامة صائرُ
ولا تطلبِ الدنيا فإنّ طلابها وإنْ نلتَ منها غُبْطةً لك صائرُ

وهل يحرص عليها اللبيب، أو يسر بها أريب، وهو على ثقة من فنائها، وغير طامع في بقائها؟ أم كيف تنام عينا من يخشى البيات، وتسكن نفس من يتوقع الممات؟

ألا لا ولكنّا نغرّ نفوسنا وتشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذّ العيش من هو موقن بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأنما نرى أن لا نشور وإنّنا سدى ما لنا بعد الممات مصائر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها، ويتمتع به من بهجتها مع صنوف عجائبها، وكثرة تعبه في طلبها، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها؟

وما قد نرى في كل يوم وليلة يروح علينا صرفها ويباكر
تعاورنا آفاتها وهمومها وكم قد ترى يبقى لها المتعاور
فلا هو مغبوط بدنياه آمن ولا هو عن بطلانها النفس قاصر

كم قد غرّت الدنيا من مَخْلد إليها، وصرعت من مكبّ عليها، فلم تنعشه من غرته، ولم تقمه من صرعته، ولم تشفه من ألمه، ولم تبره من سقمه.

بلى أوردته بعد عزّ ومنعة موارد سوء ما لهنّ مصادر
فلما رأى أن لا نجاة وأنه هو الموت لا ينجيه منه التحاذر
تندّمَ إذ لم تغن عنه ندامة عليه وأبكته الذنوب الكبائر

بكى على ما سلف من خطاياه، وتحسر على ما خلف من دنياه، حين لا ينفعه الإستعبار، ولا ينجيه الإعتذار، عند هول المنيّة، ونزول البلية.

أحاطت به أحزانه وهمومه وأبلس لما أعجزته المعاذر
فليس له من كربة الموت فارج وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خفت عن عواده، وأسلمه أهله وأولاده، فارتفعت الرنة بالعويل، وأيسوا من برء العليل، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدّوا عند خروج نفسه رجليه.

فكم موجع يبكي عليه ومفجع ومستنجد صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً يعدد منه خير ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته وعما قليل كالذي صار صائر

فشق جيوبها نساؤه، ولطم خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجع لرزئه إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمّروا لإبرازه.

وظل أحب القوم كان لقربه يحثّ على تجهيزه ويبادر
وشمّر من قد أحضروه لغسله ووجّه لما قام للقبر حافر
وكفّن في ثوبين واجتمعت له مشيّعة إخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده، وقد غلب الحزن على فؤاده، وغشي من الجزع عليه، وخضبت الدموع خديه، وهو يندب أباه ويقول: يا ويلاه.

لعاينت من قبح المنية منظراً يهال لمرآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد يهيج اكتئابهم إذا ما تناساه البنون الأصاغر
ورنّة نسوان عليه جوازع مدامعهم فوق الخدود غوازر

ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره، فلما استقر في اللحد وهي[1] عليه اللبن، وقد حثوا بأيديهم التراب، وأكثروا التلدد[2] عليه والإنتحاب، ووقفوا ساعة عليه، وآيسوا من النظر إليه.

فولوا عليه مُعْولين وكلهم لمثل الذي لاقى أخوه محاذرُ
كشاء رتاع آمنات بدا لها بمذننة بادي الذراعين حاسرُ
فريعت ولم ترتع قليلا وأجفلت فلما نأى عنها الذي هو جازر

عادت إلى مرعاها، ونسيت ما في أختها دهاها، أفبأفعال البهائم اقتدينا، أم على عادتها جرينا؟ عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى والثرى، المدفوع إلى هول ما ترى.

ثوى مفرداً في لحده وتوزعت مواريثَه أرحامُه والأواصر
وأخنوا على أمواله يقسمونها بلا حامد منهم عليها وشاكرِ

---

(١) الوهي: الشق في الشيء، وَهَى: تخرق وانشقّ واسترخى رباطه (القاموس).
(٢) التلدد: تلفت يميناً وشمالاً، وتحيّر متبلداً، وتلبث (القاموس).

فيا عامر الدنيا ويا ساعياً لها ويا آمناً من أن تدور الدوائر

كيف أمنت هذه الحالة، وأنت صائر إليها لا محالة؟ أم كيف تهنأ بحياتك، وهي مطيّتك إلى مماتك؟ أم كيف تسيغ طعامك، وأنت منتظر حمامك؟

ولم تتزود للرحيل وقد دنا وأنت على حال وشيكاً مسافر

فيا لهف نفسي كم أسوّف توبتي وعمريَ فان والردى ليَ ناظر

وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عادل الحكم قادر

فكم ترقّع بآخرتك دنياك، وتركب في ذلك هواك؟ أراك ضعيف اليقين يا مؤثر الدنيا على الدين. أبهذا أمرك الرحمن، أم على هذا نزل القرآن؟

تخرّب ما يبقى وتعمرُ فانياً فلا ذاك موفورٌ ولا ذاك عامرُ

وهل لك إنْ وافاك حتفُك بغتةً ولم تكتسب خيراً لدى الله عاذر

أترضى بأن تفنى الحياةُ وتنقضي وديـنُك منقوصٌ ومالُك وافرُ

وعن محمّد بن عَلي، قال: كان أبي عَلي عليه السلام بن الحُسَين إذا مرت به جنازة يقول:

نُزاع إذا الجنائز قابلتنا ونلهو حين تمضي ذاهبات

كروعة ثلّة لمغار سبع فلما غاب عادت راتعات[1]

في كتاب الاحتجاج عن ثابت البناني قال: كنت حاجّاً وجماعة عبّاد البصري مثل أيّوب السجستاني وحبيب الفارسي فلمّا دخلنا مكّة رأينا الماء قليلاً لقلّة الغيث ففزع إلينا الناس يسألونا أن نستسقي لهم فأتينا الكعبة وطفنا بها ثمّ سألنا الله خاضعين متذلّلين فمنعنا الإجابة فبينا نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل قد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالكعبة أشواطاً ثمّ أقبل علينا وقال: يا مالك بن دينار ويا فلان ويا فلان.

قلنا: لبّيك يا فتى.

فقال: ما فيكم أحد يجبه الرحمن؟

فقلنا: يا فتى علينا الدّعاء وعليه الإجابة.

فقال: ابعدوا عن الكعبة فأتى الكعبة وخرّ ساجداً فقال في سجوده: سيّدي بحبّك لي لأسقيتهم الغيث، فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب.

فقلت: يا فتى من أين علمت أنّه يحبّك؟

(١) تاريخ دمشق: ٢٣/ ٣٥٣، والبداية والنهاية: ٩/ ١٢٨.

قال: لو لم يحبني لم يستزرني، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني فسألته بحبّه لي فأجابني ثمّ ولّى وأنشأ يقول، شعر:

من عرف الربّ فلم تغنه ... معرفة الربّ فذاك الشقيّ
ما ضرّ في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقى
ما يصنع العبد بغير التقى ... والعزّ كلّ العزّ للمتّقي

فقلت: يا أهل مكّة مَن هذا الفتى؟

قالوا: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب[1].

وقال الأصمعي: كنت أطوف حول الكعبة ليلة فإذا شاب طريف الشمائل وعليه ذوابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحيّ القيّوم، غلقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حرّاسها وبابك مفتوحٌ للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين، ثمّ أنشأ يقول، شعر:

يا من يجيب دعاء المضطرّ في الظلم ... يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبة ... وأنت وحدك يا قيّوم لم تنم
أدعوك ربّ دعاء قد أمرت به ... فارحم بكائي بحقّ البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالنّعم

فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام[2].

وقال عليه السلام:

لسنحسن على الحوض روّاده ... نذود ونسقي ورّاده
وما فاز من فاز إلاّ بنا ... وما خاب من حبّنا زاده
ومن سرّنا نال منّا السرور ... ومن ساءنا ساء ميلاده
وما كان غاصبنا حقّنا ... فيوم القيامة ميعاده

ويروى له عليه السلام:

نحن بنو المصطفى ذو غصص ... يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمةٌ في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وآخرنا

(١) الصحيفة السجادية: ١٠٩، والبحار: ٤٦/ ٥١.

(٢) البحار: ٤٦/ ٨٢، والصحيفة السجادية: ٥٠٠.

يفرح هذا بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا
والناس في الأمن والسرور وما يأمن طول الزمان خائفنا
وما خصصنا به من الشرف الطائل بين الأنام آفتنا
يحكم فينا والحكم فيه لنا جاحدنا حقّنا وغاصبنا

ويروى له عليه السلام:

لباسي للدُنيا التجلّد والصبر ولبسي للأُخرى البشاشة والصبر
إذا اعترني أمر لجأت إلى العرا لأنّي من القوم الذين لهم فخر
ألم تر أنّ العرف قد مات أهله وأنّ الندى والجود ضمّهما قبرُ
على الجود والعرف السلام فما بقى من العرف إلاّ الرّسم في الناس والذكر[1]

شهادة الإمام السجاد عليه السلام

عن الحسن بن عليّ بن بنت إلياس عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: إنَّ عليَّ بن الحسين عليه السلام لمّا حضرته الوفاة أُغمي عليه ثمَّ فتح عينيه وقرأ ﴿إذا وقعت الواقعة﴾[2] ﴿وإنّا فتحنا لك﴾[3] وقال: ﴿الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنّة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين﴾. ثمَّ قبض من ساعته ولم يقل شيئاً[4].

عن ابن مسكان عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبض عليُّ بن الحسين عليه السلام وهو ابن سبع وخمسين سنة، في عام خمس وتسعين، عاش بعد الحسين خمساً وثلاثين سنة[5].

وقال الصدوق سمه الوليد بن عبد الملك لعنه الله فقتله، وقال حمد الله المستوفي: ذهب علماء الشيعة إلى أن الوليد بن عبد الملك بن مروان سمه[6].

وفي كتاب كشف اليقين توفّي عليه السلام في ثامن عشر من المحرّم سنة أربع وتسعين وقيل: خمس وتسعين وكان عمره عليه السلام سبعاً وخمسين سنة كان منها مع جدّه سنتين ومع عمّه الحسن عشر سنين وأقام مع أبيه بعد عمّه عشر سنين وبعد قتل أبيه تتمّة ذلك[7].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٠٤.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ١.
(٣) سورة الفتح، الآية: ١.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
(٥) الكافي: ١/ ٤٦٨ ح ٦، والبحار: ٤٦/ ١٥٢.
(٦) شرح أصول الكافي: ٦/ ٣٨ ح ٣، والبحار: ٢٧/ ٢١٥.
(٧) كشف الغمة: ٢/ ٢٩٤، والبحار: ٤٦/ ١٢ ح ٢٣.

وقد سمّه الوليد بن عبد الملك على ما تظافرت به الروايات وفي بعضها أنّ هشاماً سمّه في خلافة أخيه الوليد عليهما لعائن الله والملائكة والناس أجمعين.

وفي كتاب العدد أنّ السنة التي مات فيها عليه السلام تسمّى سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها من العلماء وكان زين العابدين عليه السلام سيّد الفقهاء مات في أوّلها وتتالى الناس بعده سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وسعيد بن جُبير وعامّة فقهاء المدينة[١].

وقال أبُو نُعَيم: توفي سنة اثنتين وتسعين. وقال بعض أهله: أربع وتسعين.

قال الواقدي: أخبرني عَبْد الرحيم بن أبي فروة أنه توفي بالمدينة، فدفن بالبقيع سنة أربع وتسعين، وقال أبُو نُعَيم: توفي سنة اثنتين وتسعين.

قال ابن أبي شيبة: مات سنة ثنتين وتسعين، وقال يَحْيَى بن بُكَير: مات سنة أربع أو خمس وتسعين، سنّه ثمان وخمسون، قاله الذُهْلي عنه.

وعن خليفة بن خياط قال: وقال أبُو نعيم: فيها ـ يعني سنة اثنتين وتسعين ـ مات عَلي بن الحُسَين بن عَلي بن أبي طالب، ويقال: أربع وتسعين[٢].

وعن عَلي بن المديني: مات عَلي بن حسين ابن عَلي بن أبي طالب سنة اثنتين وتسعين[٣].

وعن معن قال: توفي أنس بن مالك، وعَلي بن حسين، وأبُو بكر بن عَبْد الرَّحْمن بن الحارث، وعروة بن الزبير سنة ثلاث وتسعين، وقال بعضهم: سنة أربع، وقيل: خمس وتسعين[٤].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه أن عَلي بن حسين مات سنة أربع وتسعين، ودفن بالبَقِيع في أول السنة[٥].

وعنه عليه السلام قال: مات عَلي بن حسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

وقال محمّد بن عمر: فهذا يدلّك على أنّ عَلي بن حسين كان مع أبيه وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة، وليس قول من قال: إنه كان صغيراً ولم يكن أنبت بشيء، ولكنه كان يومئذ مريضاً، فلم يقاتل، وكيف يكون يومئذ لم يُنبت، وقد ولد له أبُو جعفر محمّد بن علي؟ ولقي أبُو جعفر جابرَ بن عَبْد الله، وروى عنه، وإنما مات جابر سنة ثمان وتسعين[٦].

(١) البحار: ٤٦/ ١٥٤.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٠٤.
(٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤١/ ٤١٣.
(٤) تهذيب الكمال: ٢٠/ ٤٠٣.
(٥) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٢١.
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٥/ ٢٢١.

حزن الناقة على علي بن الحسين عليه السلام

عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان لعليّ بن الحسين عليه السلام ناقة، حجَّ عليها اثنين وعشرين حجّة، ما قرعها قرعة قطّ، قال: فجاءت بعد موته وماشعرنا بها إلّا وقد جاءني بعض خدمنا أو بعض الموالي فقال: إنَّ النّاقة قد خرجت فأتت قبر عليّ بن الحسين فانبركت عليه، فدلكت بجرانها القبر وهي ترغو[١].

فقلت: أدركوها أدركوها وجيئوني بها قبل أن يعلموا بها أو يروها.

قال: وما كانت رأت القبر قطّ[٢].

وروي أنها لم تلبث إلّا ثلاثة أيّام حتّى ماتت فدفنها عليه السلام لأنّها من نِعم الجنّة كما ورد في الرواية[٣].

فضل زيارة علي بن الحسين عليه السلام

الكليني، عن أبي علي الأشعري، عن عبد الله بن موسى، عن الحسن بن علي الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة[٤].

الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن اسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن زيد الشحام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار أحداً منكم؟

قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

وعن الصدوق رفعه إلى الصادق عليه السلام انّه قال: من زار واحداً منّا كان كمن زار الحسين عليه السلام[٦].

---

(١) الجران ـ بكسر الجيم وتخفيف الراء ـ مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره والجمع جرن، والرغا صوت ذوات الخف، رغى البعير والنعام والظبي رغاء بالضم صوتت فضجت.

(٢) الكافي: ١/٤٦٧ ح ٢، والبحار: ٤٦/١٤٨ ح ٢.

(٣) الكافي: ١/٤٦٧ ح ٢، والبحار: ٤٦/١٤٨ ح ٢.

(٤) الكافي: ٤/٥٦٧ ح ٢.

(٥) الكافي: ٤/٥٧٩ ح ١.

(٦) ثواب الأعمال: ١٢٣.

الطوسي بإسناده، عن محمّد بن أحمد بن داود، عن أحمد بن محمّد بن سعيد، عن أحمد بن يوسف، عن هارون بن مسلم، عن أبي عبد الله الحراني قال قلت: لأبي عبد الله عليه السلام ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟

قال: من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين كتب له حجة مبرورة فإن صلى عنده أربع ركعات كتب له حجة وعمرة، قلت: جعلت فداك وكذلك لكلّ من زار اماماً مفترضة طاعته؟

قال: وكذلك كلّ من زار إماماً مفترضة طاعته[١].

وعن الطوسي رفعه إلى الصادق عليه السلام انّه قال: من زارني غفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً[٢].

الطوسي رفعه إلى أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام انّه قال: من زار جعفراً أو أباه عليهما السلام لم يشتك عينه ولم يصبه سقم ولم يمت مبتلى[٣].

ذكر حال من عاصره من الملوك والشخصيات ورجوعهم إليه

عاشر من الملوك يزيد ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وتوفي في ملك الوليد بن عبد الملك.

استقدمه عَبْد الملك بن مروان في خلافته يستشيره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس[٤].

أصحاب علي بن الحسين عليه السلام

قال صاحب المناقب: ومن رجاله عليه السلام من التابعين أبو محمّد سعيد بن جبير نزيل مكّة وكان يسمّى جهيد العلماء ويقرأ القرآن في ركعتين قيل: وما على الأرض أحد إلّا وهو محتاج إلى علمه وكان يأتمّ بعليّ بن الحسين فكان يثني عليه وما كان سبب قتل الحجّاج له إلّا على هذا الأمر[٥].

وذكر أنّه لمّا دخل على الحجّاج قال: أنت شقيّ بن كسير قال: أُمّي كانت أعرف بي سمّتني

(١) التهذيب: ٦/٧٩ ح ٤.
(٢) التهذيب: ٦/٧٨.
(٣) التهذيب: ٦/٧٨.
(٤) راجع المحاسن والمساوىء ٥٢٢ محاسن المسافر.
(٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/٣١١، والبحار.

سعيد بن جبير، قال: ما تقول في أبي بكر وعمر هما في الجنّة أو في النار؟

قال: لو دخلت الجنّة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، ولو ركبت النار لعلمت من فيها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟

قال: لست عليهم بوكيل.

قال: أيّهم أحبُّ إليك؟ قال: أبيت أن تصدقني.

قال: بل لم أحبّ أن أكذبك[١].

❋ ❋ ❋

حال معاوية بن يزيد بن معاوية

روي أنّه لمّا نزع معاوية بن يزيد بن معاوية نفسه من الخلافة قام خطيباً فقال: أيّها الناس إنّا بلينا بكم وبليتم بنا إلّا أنّ جدّي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته عليّ بن أبي طالب فركب جدّي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتّى صار رهين عمله وضجيع حفرته تجاوز الله عنه ثمّ صار الأمر إلى أبي ولقد كان خليقاً أن لا يركب سنة إذ كان غير خليق بالخلافة فقلّت مدّته وانقطعت آثاره وخمدت ناره ولقد أنسانا الحزن له على الحزن عليه، ثمّ أخفت يترحّم على أبيه، وصرت أنا الثالث وما كنت لأتحمّل آثامكم شأنكم وأمركم ولّوه من شئتم.

فقال له مروان بن الحكم: يا أبا ليلى سنّة عمرية.

فقال: يا مروان أتخدعني عن ديني آتيني برجال كرجال عمر أجعلها بينهم شورى والله إن كانت الخلافة مغنماً فقد أصبنا منها حظّنا ولئن كانت شرّاً فحسب آل أبي سفيان وما أصابوا منها ثمّ نزل.

فقالت له أُمّه: ليتك كنت حيضة.

فقال: أنا وددت ذلك ولم أعلم أنّ لله ناراً يعذّب بها من عصاه وأخذ من غير حقّه[٢].

وهلك يزيد وهو ابن ثلاثة وستّين سنة وولّي الأمر أربع سنين وهلك معاوية بن يزيد وهو ابن إحدى وعشرين سنة وولّي الأمر أربعين ليلة[٣]

❋ ❋ ❋

(١) الاختصاص: ٢٠٥، والبحار: ١١/ ٤٢.
(٢) البحار: ٤٦/ ١١٩ ح ٧.
(٣) الاختصاص: ١٣١.

شدّة عداوة بني أود لعلي وولده

وفي كتاب فرحة الغري روى هشام الكلبي عن أبيه قال: أدركت بني أود وهم يعلّمون أبناءهم ونساءهم سبّ عليّ بن أبي طالب وفيهم رجل دخل على الحجّاج يوماً فأغلظ له الحجّاج في الجواب فقال: لا تقل هذا أيّها الأمير فلا لقريش ولا لثقيف منقبة يعتدّون بها إلّا ونحن نعتدّ بمثلها.

قال له: وما مناقبكم؟ قال: ما ينقص عثمان ولا يذكر بسوء في مجالسنا قط.

قال: هذه منقبة، قال: وما رأى بنا خارجي قط يعني من الذين خرجوا على الحجّاج وقاتلوه.

قال: ومنقبة.

قال: وما شهد منّا مع أبي تراب مشاهده إلّا رجل واحد فأسقطه ذلك عندنا وأخمله فما له عندنا قدر ولا قيمة.

قال: ومنقبة.

قال: وما أراد منّا رجل قط أن يتزوّج امرأة إلّا سأل عنها هل تحبّ أبا تراب أو تذكره بخير فإن قيل إنّها تفعل ذلك اجتنبها فلم يتزوّجها.

قال: ومنقبة.

قال: فما ولد فينا ذكر فسمّي عليّاً ولا حسناً ولا حسيناً ولا ولدت فينا جارية فسمّيت فاطمة.

قال: ومنقبة.

قال: ونذرت امرأة منّا حين أقبل الحسين إلى العراق إن قتله الله أن تنحر جزوراً فلمّا قتل وفت بنذرها.

قال: ومنقبة.

قال: ودعى رجل منّا إلى البراءة من عليّ ولعنه فقال: نعم وأزيدكم حسناً وحسيناً.

قال: ومنقبة.

والله قال لنا أمير المؤمنين عبد الملك: أنتم الشعار دون الدثار وأنتم الأنصار بعد الأنصار.

قال: ومنقبة.

قال: وما بالكوفة ملاحة إلّا ملاحة بني أود فضحك الحجّاج.

قال هشام بن الكلبي: قال لي أبي فسلبهم الله ملاحتهم[1].

(١) البحار: ٤٦/ ١٢٠ ح ١٠، وفرحة الغري: ٥١.

بين زين العابدين ومحمد بن الحنفية عليهما السلام

وعن أبي عبيدة وزرارة جميعاً عن أبي جعفر قال: لمّا قتل الحسين أرسل محمّد بن الحنفيّة إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام فخلى به فقال له: يابن أخي قد علمت أنّ رسول الله دفع الوصيّة والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين ثمّ إلى الحسن ثم إلى الحسين عليهم السلام وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلّى على روحه ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك وولادتي من عليّ في سنّي وقدمي أحقّ بها في حداثتك فلا تنازعني في الوصيّة والإمامة ولا تحاجّني.

فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: اتّق الله ولا تدّع ما ليس لك بحقّ إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين إن أبي يا عمّ صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليّ في ذلك قبل أن يشهد[1] بساعة وهذا سلاح رسول الله عندي فلا تتعرّض لهذا فإنّي أخاف عليك نقص العمر وتشتّت الحال، إنّ الله عزّ وجلّ جعل الوصيّة والإمامة في عقب الحسين فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال أبو جعفر: وكان الكلام بينهما بمكة فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام لمحمّد بن الحنفيّة: إبدأ أنت فابتهل إلى الله عزّ وجلّ واسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ اسأل.

فابتهل محمّد في الدّعاء وسأل الله عزّ وجلّ ثم دعا الحجر فلم يجبه.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا عمّ لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك.

قال له محمّد: فادع الله أنت يابن أخي واسأله.

فدعا الله عليّ بن الحسين عليه السلام بما أراد ثمّ قال:

أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق النّاس أجمعين لما خبّرتنا من الوصيّ والإمام بعد الحسين بن عليّ عليه السلام؟

قال: فتحرّك الحجر حتّى كاد أن يزول عن موضعه ثمّ أنطقه الله عزّ وجلّ بلسان عربي مبين فقال: اللّهم إنّ الوصيّة والإمامة بعد الحسين بن عليّ بن فاطمة بنت رسول الله لك.

قال: فانصرف محمّد بن عليّ وهو يتولى عليّ بن الحسين عليه السلام[2]

(١) في نسخة: يستشهد.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٢٢ ح ٣، والكافي: ١/ ٣٤٨ ح ٥.

بين علي بن الحسين عليه السلام وعبيد الله

الحكم بن محمّد بن القاسم الثقفي، حدثني أبي عن أبيه إنه حضر عُبَيْد الله بن زياد حين أُتي برأس الحُسَين فجعل ينكث بقضيب ثناياه ويقول: إنْ كان لحسن الثَّغر، فقال له زيد بن أرقم: إرفع قضيبك، وطال ما رأيتُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله يلثم موضعه، فقال: إنّك شيخٌ خرفتَ، فقام زيد يجرّ ثوبه، ثم عرضوا عليه، فأمر بضرب عنق عَلي بن الحُسَين، فقال له علي: إن كان بينك وبين هؤلاء النساء رحم فأرسل معهن من يؤديهن، فقال: تؤديهن أنت، وكأنه استحيا، وصرف الله عن عَلي بن الحُسَين القتل.

قال القاسم بن محمد: وما رأيت منظراً قط أفظع من إلقاء رأس الحُسَين بين يديه وهو ينكته.

وعن مُصْعَب بن عَبْد الله، قال: كان علي الأصغر بن الحُسَين مع أبيه، وهو يومئذ ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً، فلما قُتل الحُسَين قال عُمَر بن سعد: لا تَعَرّضوا لهذا المريض، قال عَلي بن الحسين: فغيّبني رجل منهم وأكرم نُزُلي، واختصّني، وجعل يبكي كلما دخل وخرج، حتى كنت أقول: إنْ يكن عند أحد خير فعند هذا. إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد عَلي بن الحُسَين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم.

قال: فدخل والله عليّ وهو يبكي، وجعل يربط يديّ إلى عنقي، وهو يقول: أخاف، فأخرجني إليهم مربوطاً، حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم، وأنا أنظر، فأُدخلتُ على ابن زياد، فقال: ما اسمك؟ فقلت: عَلي بن حسين.

قال: أو لَمْ يقتل الله علياً، قال: قلت: كان لي أخ أكبر مني يقال له عَلي، قتله الناس.

قال: بل الله قتله، قلت: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها**﴾[1] فأمر بقتله.

فصاحت زينب بنت علي: يابنَ زياد، حسبك من دمائنا، أسألك بالله إنْ قتلته إلّا قتلتني معه، فتركه[2].

بين علي بن الحسين عليه السلام ويزيد

لما صَار الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام إلى يزيد بن معاوية قام رجل من أهل الشام فقال: إنّ نساءهم لنا حلال.

فقال عَلي بن الحسين عليه السلام: كذبتَ ما ذاك لك إلّا أن تخرج من ملّتنا.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) نسب قريش للمصعب الزبيري ص: ٥٨.

فأطرق يزيد مليّاً ثم قال لعَلي بن حسين: إنْ أحببت أن تقيمَ عندنا فتصل رحمك، فعلتَ وإنْ أحببتَ وصلتك ورددتك إلى بلدك.

قال عليه السلام: بل تردّني إلى المدينة، فردّه[1].

بين علي بن الحسين عليه السلام والخضر

عن أبي حمزة الثُّمَالي قال: أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أصوت، فقعدت حتى خرج فسلّمت عليه ودعوت له فردَّ عليّ ثم انتهى إلى حائط فقال عليه السلام: يا أبا حمزة ترى هذا الحائط.

فقلت: بلى يابن رسول الله.

قال: فإني إتكأت عليه يوماً، وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في اتجاه وجهي.

ثم قال لي: ياعلي بن الحسين مالي أراك كئيباً، أعلى الدنيا؟ فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر.

قال: قلت: ما عليها أحزن وهو كما تقول.

فقال: أعلى الآخرة؟ فهو وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر.

قال: قلت: ما على هذا أحزن هو كما تقول.

فقال: ما حزنك ياعلي؟

فقلت: ما أتخوف من فتنة ابن الزبير[2].

فقال: ياعلي هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟

قلت: لا.

---

(١) نسب قريش للمصعب الزبيري: ٥٨.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، وكان ممن إمتنع من مبايعة يزيد ـ لعنه الله ـ وآوى إلى مكة فحاصره أصحاب يزيد، ونصبوا له المنجنيق على الكعبة، ورموها بالنار، فلما مات يزيد في سنة أربع وستين بايعه أهل الحرمين بالخلافة، بعد أن بقي الناس بغير خلافة أكثر من شهرين ثم بايعه أهل العراق واليمن، وفي سنة ثلاث وسبعين نازل الحجاج ابن الزبير بأمر من عبدالملك بن مروان، فحاصره ونصب المنجنيق ورمى الكعبة ودام القتال أشهراً، حتى قُتل في هذه الفتنة خلق كثير، ولذلك كان الإمام عليه السلام يتخوف على الناس من هذه الفتنة.

قال: فخاف الله فلم يكفه؟

قلت: لا، فغاب عني.

فقيل لي: يا علي بن الحسين هذا الخضر ناجاك[١].

بين علي بن الحسين عليه السلام وعَبْد الملك بن مروان

روى محمّد بن سعد في الطبقات عن عَلي بن محمد، عن عثمان بن عثمان قال: زَوّج عَلي بن حسين ابنة من مولاه، وأعتق جارية له وتزوجها.

فكتب إليه عَبْد الملك بن مروان يعيّره بذلك.

فكتب إليه علي: لقد كان لكم في رَسُول الله أسوَة حسنة قد أعتق رَسُول الله صلى الله عليه وآله صفية بنت حيي وتزوجها، وأعتق زيد بن حارثة وزوّجه ابنة عمته زينب بنت جحش[٢].

ومن كتاب العقد أنّه كتب ملك الروم إلى عبد الملك أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة، لأغزونّك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أن يبعث إلى زين العابدين يتهدّده ويتوعده ويكتب إليه ما يقول، ففعل.

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كلّ يوم ثلاثمائة لحظة ليس منها لحظة إلّا يحيي فيها ويميت ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء وإنّي لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة.

فكتب بها الحجّاج إلى عبد الملك فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم فلمّا قرأه قال: ما خرج هذا إلّا من كلام النبوّة[٣].

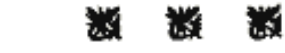

بين علي بن الحسين عليه السلام وعمر بن عبد العزيز

في بصائر الدرجات مسنداً إلى عبد الله التميمي قال: كنت مع عليّ بن الحسين عليه السلام في المسجد فمرّ عمر بن عبد العزيز عليه شراكا فضّة وكان شابّاً، فقال عليه السلام: أترى هذا المترف إنّه لن يموت حتّى يلي الناس، قال: قلت: هذا الفاسق؟

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٣٤، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٨، ونور الأبصار: ١٥٧، ومناقب آل أبي طالب ٤/ ١٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢١٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٩٩، والبحار: ٤٦/ ١٣٣ ح ٢٢.

قال: نعم، فلا يلبث فيهم إلّا يسيراً حتّى يموت فإذا هو مات لعنه أهل السماء واستغفر له أهل الأرض[١].

وعن الثمالي قال: كنت مع عليّ بن الحسين في داره وفيها شجرة فيها عصافير فطارت وصوّتت فقال: إنّها تقدّس ربّها وتسأله قوت يومها[٢]

وفي آخر: أنّ لهنّ وقتاً يسألن فيه قوتهن، يا أبا حمزة لا تنام قبل طلوع الشمس فإنّي أكرهها لك؛ إنّ الله يقسّم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها[٣].

بين علي بن الحسين عليه السلام والحسن البصري

وفي الاحتجاج روي أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى فوقف عليه ثمّ قال له: أمسك أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله للموت إذا نزل بك غداً؟ قال: لا، قال: أفتحدّث نفسك بالتحوّل والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها؟

فأطرق مليّاً ثمّ قال: إنّي أقول ذلك بلا حقيقة.

فقال: أفترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله يكون لك معه سابقة؟ قال: لا، قال: أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟ قال: لا، قال: أفرأيت أحداً فيه مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالإنتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ولا ترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها وأنت تعظ الناس.

فلمّا ولّى عليه السلام قال الحسن البصري: مَن هذا؟ قالوا: عليّ بن الحسين، قال: أهل بيت علم، فما رئي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس[٤].

بين علي بن الحسين عليه السلام والحجاج

في الكافي عن أبان بن تغلب قال: لمّا هدم الحجّاج الكعبة فرّق الناس ترابها فلمّا صاروا إلى

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٨٤، وبصائر الدرجات: ١/ ١٩٠.
(٢) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٢٣٢ ح ١٧٩، والبحار: ٤٦/ ٢٣ ح ٣.
(٣) البحار: ٤٦/ ٢٤ ح ٥، ومستدرك سفينة البحار: ١٠/ ١٩٢.
(٤) البحار: ١٠/ ١٤٦ ح ٢.

بناتها خرجت إليهم حيّة فمنعتهم عن البناء فصعد الحجّاج المنبر وقال: رحم الله عبداً عنده علم ممّا ابتلينا به.

فقام إليه شيخ وقال: علمها عند عليّ بن الحسين.

فقال: معدن ذلك، فبعث إليه وأخبره بخبر الحيّة فقال له: يا حجّاج عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل فألقيته في الطريق وانتهبته كأنّك ترى أنّه تراثٌ لك، إصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقي أحد منهم أخذ من ترابها إلّا ردّه. فلمّا رجع التراب وضع عليه الأساس وأمرهم أن يحفروا فغابت عنهم الحيّة فلمّا انتهوا إلى موضع القواعد قال لهم: تنحّوا فدنا منها وغطّاها بثوبه ثمّ بكى وغطّاها بالتراب ثمّ دعى لفعله فقال: ضعوا بناءكم فوضعوا البناء فلمّا ارتفعت حيطانها أمر بالتراب فألقي في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدرج.

اعلم أن الحجّاج هدم الكعبة لمّا قاتل ابن الزبير من قبل عبد الملك بن مروان لأنّه لمّا هلك يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما بايع أهل الحجاز لعبد الله بن الزبير وكان الخليفة في الحجاز، فلمّا استقلّ الأمر لعبد الملك في الشام سيّر الحجّاج على الحجاز فقاتل ابن الزبير بمكّة شرّفها الله تعالى وقتل من قتل من عسكر ابن الزبير وطلب الباقون الأمان من الحجّاج حتّى ولدي ابن الزبير ولمّا أخذوا عليه الطرقات إلتجأ إلى دخول الكعبة فدخلها وسلّ سيفه وسار يقتل كلّ من دخل إليه.

فقال الحجّاج: أنصبوا على الكعبة المنجنيق فرموها وهدّموا سقفها على ابن الزبير فمات فأمر بإخراجه وصلبه على الخشبة أيّاماً كثيرة ينتظر التماس أُمّ عبد الله لأنّها كانت معه بمكّة وهي التي حرّضته على الحرب وأن لا يسالم القوم وهي تراه على الخشبة كلّ ساعة فما طلبت من الحجّاج انزاله فلمّا طالت الأيّام قالت يوماً: ما بال هذا الإمام لم ينزل عن خشبته، فبلغ الحجّاج فأنزله وأرسله إليها فوضعته بين يديها . ومن حبّها له دزّ لبنها عليه[1].

وفي الحديث: إنّ الله سبحانه لم يجر ابن الزبير لأنّه كان مثل الحجّاج في الفساد والإنحراف عن أهل البيت عليهم السلام وهو الذي حمل أباه الزبير على حرب الجمل حتّى قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما زال الزبير رجلاً منّا حتّى نشأ ولده عبد الله فأخرجه منّا.

وذلك أنّ عائشة خالته فأخذته على مذهبها وجرّ هو أباه[2].

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٤٧.

(٢) البحار: ٢٨/ ٣٤٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١/ ٢٢.

بين حرة والحجاج

في كتاب فضائل ابن شاذان وكتاب الروضة عن جماعة من الثقاة أنّه لمّا وردت حرّة بنت حليمة السعدية على الحجّاج قال لها: أنت حرّة بنت حليمة السعدية؟ قالت له: فراسة من غير مؤمن.

فقال لها: الله جاء بك فقد قيل عنك إنّك تفضّلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان؟

فقالت: لقد كذب الذي قال إنّي أفضّله على هؤلاء خاصة، أنا أفضّله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ابن مريم.

فقال: ويلك تفضّليه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أُولي العزم؟ إن لم تأتيني ببيان ما قلت ضربت عنقك.

فقالت: ما أنا فضّلته على هؤلاء الأنبياء ولكنّ الله فضّله عليهم في القرآن بقوله عزّ وجلّ في حقّ آدم ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1] وقال في حقّ عليّ: وكان سعيه مشكورا.

فقال: أحسنت يا حرّة، فبما تفضّليه على نوح ولوط؟

فقالت: الله تعالى فضّله عليهما بقوله: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[2] وعليّ بن أبي طالب كان ملاكه تحت سدرة المنتهى زوجته الزهراء التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

فقال: أحسنت يا حرّة فبِمَ تفضّليه على أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله؟

فقالت: الله فضّله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[3]، ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام قال قولاً لا يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه كلمة ما قالها أحدٌ قبله ولا بعده.

قال: أحسنت يا حرّة، فبِمَ تفضّليه على موسى كليم الله؟

قالت: بقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾[4] وعليّ بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتّى أنزل الله في حقّه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾[5].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.
(٤) سورة القصص، الآية: ٢١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

قال الحجّاج: أحسنت يا حرّة، فبِمَ تفضّليه على داود وسليمان عليهما السلام؟

قالت: الله تعالى فضّله عليهما بقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[1].

قال لها: في أيّ شيء كانت حكومته؟

قالت: في رجلين رجل كان له كرم والآخر له غنم فوقعت الغنم في الكرم فرعته فاحتكما إلى داود عليه السلام فقال: تُباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتّى يعود على ما كان عليه، فقال له ولده: لا يا أبت بل يؤخذ من لبنها وصوفها قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[2] وأنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: سلوني عمّا فوق العرش سلوني عمّا تحت العرش قبل أن تفقدوني وأنّه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبيّ صلى الله عليه وآله للحاضرين: أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم عليّ.

فقال لها: أحسنت، فبِمَ تفضّليه على سليمان؟

فقالت: الله تعالى فضّله عليه بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[3].

ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: طلّقتك يا دنيا ثلاثاً لا حاجة لي فيك فعند ذلك أنزل الله تعالى فيه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً﴾[4].

فقال: أحسنت يا حرّة، فبِمَ تفضّليه على عيسى ابن مريم؟

قالت: الله فضّله بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾[5].

فأخّر الحكومة إلى يوم القيامة، وعليّ بن أبي طالب لمّا ادّعوا فيه النصيرية ما ادّعوه لم يعاتبهم ولم يؤخّر حكومتهم.

قال: أحسنتِ يا حرّة خرجت من جوابك ثمّ أجازها وأعطاها وسرّحها سراحاً حسناً رحمة الله عليها[6].

(١) سورة ص، الآية: ٢٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٩.
(٣) سورة ص، الآية: ٣٥.
(٤) سورة القصص، الآية: ٨٣.
(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٦.
(٦) البحار: ٤٦/ ١٣٤ ـ ١٣٦ ح ٢٥، ومواقف الشيعة: ١/ ٩٠.

أسلوب الدعوة عند علي بن الحسين عليه السلام

اختلفت الدعوة من إمام إلى إمام عليهم صلوات الله جميعاً بحسب الظروف والأوضاع التي كانت تحيط بكل إمام، مع اتحادهم في الهدف وهو مرضاة الله تعالى وإعلاء كلمته، وهداية عباده من الضلالة وإخراجهم من الظلمات الشيطانية إلى النور المطلق نور الهداية والعلم والإيمان.

وهذا لا يعني أنّ الإمام لا يمتلك كل الأساليب بل هم عليهم أفضل الصلاة والسلام في العلم سواء كما تقدم، إنما كان كل إمام منهم عليه السلام ينظر إلى المصلحة الكبرى وهي مرضاة الله وإطاعته فيعمل على أساسها، فقد تكون سكوتاً كما حصل في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تكون حرباً كما حصل معه أيضاً وكما حصل مع إمامنا الحسين عليه السلام، وقد تكون صلحاً كما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام، وقد تكون دعاء كما حصل مع الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد تكون مدرسة علمية وجامعة ثقافية كما حصل مع الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

وكان الأسلوب عند الإمام زين العابدين أسلوباً روحياً ألا وهو الدعاء، والذي محوره تقوية العلاقة بين الإنسان وخالقه.

كان الدعاء للردّ على ذوي الأفكار المنحرفة في تلك المرحلة التي كثرت فيها الفتوحات ودخلت في الإسلام عناصر جديدة من مختلف الأقطار والمذاهب.

وإستطاع الإمام أن يستقطب مجموعة كبيرة من المؤمنين الذين كانوا يتخبّطون في عصره، والذين أصبحوا وأولادهم نواةً طاهرة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في عصر الإمام الباقر والصادق عليهما السلام.

دعاء علي بن الحسين عليه السلام المستجاب

في كتاب الاحتجاج عن ثابت البناني قال: كنت حاجّاً وجماعة عبّاد البصري مثل أيّوب السجستاني وحبيب الفارسي فلمّا دخلنا مكّة رأينا الماء قليلاً لقلّة الغيث ففزع إلينا الناس

يسألونا أن نستسقي لهم فأتينا الكعبة وطفنا بها ثمّ سألنا الله خاضعين متذلّلين فمنعنا الإجابة فبينا نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل قد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالكعبة أشواطاً ثمّ أقبل علينا وقال: يا مالك بن دينار ويا فلان ويا فلان.

قلنا: لبّيك يا فتى.

فقال: ما فيكم أحد يجبه الرحمن؟

فقلنا: يا فتى علينا الدّعاء وعليه الإجابة.

فقال: ابعدوا عن الكعبة فأتى الكعبة وخرّ ساجداً فقال في سجوده: سيّدي بحبّك لي لأسقينهم الغيث، فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب.

فقلت: يا فتى من أين علمت أنّه يحبّك؟

قال: لو لم يحببني لم يستزرني، فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني فسألته بحبّه لي فأجابني ثمّ ولّى وأنشأ يقول، شعر:

من عرف الربّ فلم تغنه ... معرفة الربّ فذاك الشقيّ
ما ضرّ في الطاعة ما ناله ... في طاعة الله وماذا لقي
ما يصنع العبد بغير التّقى ... والعزّ كلّ العزّ للمتّقي

فقلت: يا أهل مكّة مَن هذا الفتى؟

قالوا: عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب[1].

قال السيد الجزائري في الرياض: لمّا كان أكثر هؤلاء من صوفية أهل الخلاف الذين يدّعون محبّة الله سبحانه لهم وأنّهم ممّن يستجاب دعاءه بيّن لهم عليه السلام أنّ الله لا يحبّهم ولا يقبل لهم دعاء؛ لأنّ القبول فرع المحبّة وإلّا فما يترتّب على دعاء من لا يحبّه الله مثل المخالفين في الأديان والمذاهب ليس من باب القبول بل هو إمّا استدراج لهم أو لأنّه سبحانه لا يحب أن ترفع إليه أصواتهم.

كما جاء في الرواية من تأخير إجابة المؤمن، لأنّ الله سبحانه يحبّ أن يسمع صوته وقوله: لم يستزرني فيه طعن عليهم بأنّ الله سبحانه لم يأمرهم ولم يطلب منهم زيارة بيته، ثمّ انظر إلى تفاوت مقامات زين العابدين عليه السلام حيث يقول هنا: سيّدي بحبّك لي ويقول في أدعية الصحيفة: لو قمت لك حتّى ينخلع صلبي وبكيت لك حتّى تتفقّأ حدقتاي إلى قوله: ما استحققت محو سيّئة واحدة من سيّئاتي وهذه الطريقة أخذها من جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه كان يقرب نفسه وينبسط معها إلى ربّه حتّى يقول: ما عبدتك خوفاً من نارك وبعدها في مقام آخر حتّى ترى أنّه فعل ذنوباً تبلغ به حدّ الأياس وهذه طريقة تخصّهم وليست هي مورد لكلّ وارد وتحقيق الكلام في المقامين يطلب من محاله وقد كشفنا عنها في شرح كتاب التوحيد لابن بابويه طيّب الله ثراه[2].

بحث حول الدعاء

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

(١) الصحيفة السجادية: ١٠٩، والبحار: ٤٦/ ٥١.

(٢) رياض الأبرار، مخطوط.

وقال عز من قائل ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[١].

ثم يقول: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام قال: «الدُّعَاءُ يَرُدُّ الْقَضَاءَ بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِبْرَاماً فَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ رَحْمَةٍ وَنَجَاحُ كُلِّ حَاجَةٍ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِالدُّعَاءِ وَإِنَّهُ لَيْسَ بَابٌ يُكْثَرُ قَرْعُهُ إِلَّا يُوشَكُ أَنْ يُفْتَحَ لِصَاحِبِهِ»[٤].

المفهوم الحقيقي للدعاء

قال صاحب تفسير الأمثل: علمنا أنّ الدعاء إنّما يكون فيما خرج عن دائرة قدرتنا، بعبارة أخرى الدعاء المستجاب هو ما صدر لدى الإضطرار وبعد بذل كل الجهود والطاقات ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٥].

يتّضح من ذلك أنّ مفهوم الدعاء طلب تهيئة الأسباب والعوامل الخارجة عن دائرة قدرة الإنسان، وهذا الطلب يتجه به الإنسان إلى من قدرته لا متناهية ومن يهون عليه كل أمر.

هذا الطلب طبعاً يجب أن لا يصدر من لسان الإنسان فقط، بل من جميع وجوده، واللسان ترجمان جميع ذرات وجود الإنسان وأعضائه وجوارحه.

يرتبط القلب والروح بالله عن طريق الدعاء إرتباطاً وثيقاً، ويكتسبان القدرة عن طريق اتصالهما المعنوي بالمبدأ الكبير، كما تتصل القطرة من الماء بالبحر الواسع العظيم.

جدير بالذكر أنّ هناك نوعاً آخر من الدعاء يردّده المؤمن حتى فيما اقتدر عليه من الأمور، ليعبّر به عن عدم استقلال قدرته عن قدرة الباري تعالى، وليؤكد أنّ العلل والعوامل الطبيعية إنما هي منه سبحانه، وتحت إمرته. فإن بحثنا عن الدواء لشفاء دائنا، فإنّما نبحث عنه لأنّه سبحانه أودع في الدواء خاصية الشفاء (هذا نوع آخر من الدعاء أشارت إليه الروايات الإسلامية أيضاً).

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٤) أصول الكافي، ج ٢، كتاب الدعاء (باب إن الدعاء يرد البلاء)، الحديث ٧.
(٥) سورة النمل، الآية: ٦٢.

بعبارة موجزة: الدعاء نوع من التوعية وإيقاظ القلب والعقل، وإرتباط داخلي بمبدأ كل لطف وإحسان، لذلك نرى أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: «لَا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ قَلْبٍ لَاهٍ»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ بَظَهْرِ قَلْبٍ سَاهٍ»[٢].

شروط استجابة الدعاء

دراسة شروط استجابة الدعاء توضّح لنا كثيراً من الحقائق الغامضة في مسألة الدعاء، وتبين لنا آثاره البناءة، والروايات الإسلامية تذكر شروطاً لاستجابة الدعاء منها:

١ ـ ينبغي لمن يدعو أن يسعى أولا لتطهير قلبه وروحه، وأن يتوب من الذنب، وأن يقتدي بحياة قادة البشرية الإلهيين.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ شَيْئاً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ، وَالْمِدْحَةِ لَهُ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، وَالْاِعْتِرافِ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ الْمَسْأَلَةَ»[٣].

٢ ـ أن يسعى الداعي إلى تطهير أمواله من كل غصب وظلم، وأن لا يكون طعامه من حرام.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعاؤُهُ فَلْيَطِبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ»[٤].

٣ ـ أن لا يفترق الدعاء عن الجهاد المستمرّ ضدّ كل ألوان الفساد، لأنّ الله لا يستجيب ممن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن النّبي صلى الله عليه وآله: «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَيَدْعُوا خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»[٥].

ترك هذه الفريضة الإلهية (فريضة المراقبة الإجتماعية) يؤدي إلى خلوّ الساحة الإجتماعية من الصالحين، وتركها للمفسدين، وعند ذاك لا أثر للدعاء، لأن هذا الوضع الفاسد نتيجة حتمية لأعمال الإنسان نفسه.

٤ ـ العمل بالمواثيق الإلهية، الإيمان والعمل الصالح والأمانة والصلاح من شروط استجابة الدعاء، فمن لم يف بعهده أمام بارئه لا ينبغي أن يتوقع من الله استجابة دعائه.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وشكا له عدم استجابة دعائه، فقال الإمام:

«إِنَّ قُلُوبَكُمْ خَانَتْ بِثَمَانِ خِصَالٍ:

---

(١) أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٤٢، باب الإقبال على الدعاء، الحديث ١.
(٢) نفس المصدر.
(٣) سفينة البحار، ج ١، ص ٤٤٨ و٤٤٩.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر السابق.

أَوَّلُهَا: إِنَّكُمْ عَرَفْتُمُ اللهَ فَلَمْ تُؤَدُّوا حَقَّهُ كَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَمَا أَغْنَتْ عَنْكُمْ مَعْرِفَتُكُمْ شَيْئاً.

وَالثَّانِيَةُ: إِنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِرَسُولِهِ ثُمَّ خَالَفْتُمْ سُنَّتَهُ، وَأَمَتُّمْ شَرِيعَتَهُ فَأَيْنَ ثَمَرَةُ إِيمَانِكُمْ؟!

وَالثَّالِثَةُ: إِنَّكُمْ قَرَأْتُمْ كِتَابَهُ الْمُنْزَلَ عَلَيْكُمْ فَلَمْ تَعْمَلُوا بِهِ، وَقُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ثُمَّ خَالَفْتُمْ!

وَالرَّابِعَةُ: إِنَّكُم قُلتُم تَخَافُونَ مِنَ النَّارِ، وَأَنْتُم فِي كُلِّ وَقت تَقدُمُونَ إِلَيها بِمَعاصِيكُم فَأَينَ خَوفُكُم؟!

وَالْخَامِسَةُ: إِنَّكُمْ قُلْتُمْ تَرْغَبُونَ في الْجَنَّةِ، وأَنْتُمْ في كُلِّ وَقْت تَفْعَلُونَ مَا يُبَاعِدُكُمْ مِنْها فَأَيْنَ رَغْبَتُكُمْ فِيهَا؟

وَالسَّادِسَةُ: إِنَّكُمْ أَكَلْتُمْ نِعْمَةَ الْمَوْلى فَلَمْ تَشْكُرُوا عَلَيْهَا!

وَالسَّابِعَةُ: إِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِعَداوَةِ الشَّيْطَانِ، وَقَالَ: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾**، **فَعَادَيْتُمُوهُ بِلَا قَوْل، وَوَالَيْتُمُوهُ بِلَا مُخَالَفَة.**

وَالثَّامِنَةُ: إِنَّكُمْ جَعَلْتُمْ عُيُوبَ النَّاسِ نَصْبَ أَعْيُنِكُمْ وَعُيُوبَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ تَلُومُونَ مَنْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِاللَّوْمِ مِنْهُ فَأَيُّ دُعَاء يُسْتَجَابُ لَكُمْ مَعَ هَذا، وَقَدْ سَدَدْتُمْ أَبْوَابَهُ وَطُرُقَهُ؟ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا أَعْمَالَكُمْ وَأَخْلِصُوا سَرَائِرَكُمْ وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَسْتَجِيبُ اللهُ لَكُمْ دُعَاءَكُمْ»[1].

هذا الحديث يقول بصراحة: إنّ وعد الله باستجابة الدعاء وعد مشروط لا مطلق. مشروط بتنفيذ المواثيق الإلهية، وإن عمل الإنسان بهذه المواثيق الثمانية المذكورة فله أن يتوقع استجابة الدعاء، وإلّا فلا.

العمل بالأُمور الثمانية المذكورة باعتبارها شروطاً لاستجابة الدعاء كاف لتربية الإنسان ولإستثمار طاقاته على طريق مثمر بنّاء.

٥ ـ من الشروط الأُخرى لاستجابة الدعاء العمل والسعي، عن علي عليه السلام: «الدَّاعِي بِلَا عَمَل كَالرَّامِي بِلَا وَتَر»[2].

الوتر بحركته يدفع السهم نحو الهدف، وهكذا دور العمل في الدعاء.

من مجموع شروط الدعاء المذكورة نفهم أنّ الدعاء لا يغنينا عن التوسل بالعوامل الطبيعية، بل أكثر من ذلك يدفعنا إلى توفير شروط إستجابة الدعاء في أنفسنا، ويحدث بذلك تغييراً كبيراً في حياة الإنسان وتجديداً لمسيرته، وإصلاحاً لنواقصه.

أليس من الجهل أن يصف شخص الدعاء بهذا المنظار الإسلامي أنه مخدّر؟!

٦ ـ ومن الشروط المعرفة. قيل للإمام الصادق عليه السلام: ندعو فلا يستجاب لنا؟

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٣٣٧.

فقال عليه السلام: لأنكم تدعون من لا تعرفونه[١].

وعن الرضا: لا ديانة إلا بعد المعرفة ولا معرفة إلا بعد الإخلاص[٢].

فضل الدعاء

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله يقول: ﴿انّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[٣] قال: هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء قلت: إنّ ﴿ابراهيم لأوّاه حليم﴾[٤] قال: الأوّاه هو الدعاء[٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: أدع ولا تقل قد فرغ من الأمر فإنّ الدعاء هو العبادة إنّ الله يقول: ﴿انّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[٦].

وعن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أحب الأعمال إلى الله في الأرض الدعاء وأفضل العبادة العفاف قال وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلا دعّاء[٧].

وعن صفوان، عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال لي: يا ميسر أدع ولا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله منزله لاتنال إلّا بمسألة ولو انّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط يا ميسر أنّه ليس من باب يقرع إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه[٨].

عن سيف التمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بالدعاء فإنكم لاتقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها أنّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار[٩].

الدعاء سلاح المؤمن

عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض[١٠].

---

(١) التوحيد: ٢٨٨ باب ٤١ ح ٧.
(٢) التوحيد: ٤٠ باب ٢ ح ٢.
(٣) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٥.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٦٦ ح ١.
(٦) الكافي: ٢/ ٤٦٧ ح ٥.
(٧) الكافي: ٢/ ٤٦٧ ح ٨.
(٨) الكافي: ٢/ ٤٦٦ ح ٣.
(٩) الكافي: ٢/ ٤٦٧ ح ٦.
(١٠) الكافي: ٢/ ٤٦٨.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي، وفي المناجاة سبب النجاة وبالإخلاص يكون الخلاص فإذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع.

وعن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدعاء ترس المؤمن ومتى تكثر قرع الباب يفتح لك[١].

وعن ابن فضال، عن بعض أصحابنا، عن الرضا عليه السلام انّه كان يقول لأصحابه: عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء.

وعن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الدعاء أنفذ من السنان الحديد[٢].

الدعاء يرد البلاء والقضاء

عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان قال: سمعته يقول: إنّ الدعاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراماً[٣].

وعن الرضا عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: إنّ الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة، إنّ الدعاء ليرد البلاء وقد أبرم إبراماً[٤].

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: ألا أدلّك على شيء لم يستثن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: بلى.

قال: الدعاء يرد القضاء وقد أبرم إبراماً وضم أصابعه[٥].

وعن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً فأكثر من الدعاء فانّه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلّا بالدعاء وأنّه ليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه[٦].

وعن أبي ولّاد قال قال أبو الحسن موسى عليه السلام: عليكم بالدعاء فإنّ الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدّر وقضي ولم يبق إلّا إمضاؤه فإذا دعي الله وسئل صرف البلاء صرفة[٧].

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٦٨.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٦٩ ح ٧.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٦٩.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٦٩.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٧٠ ح ٦ و٧ و٨.
(٦) الدعوات للراوندي: ١٧.
(٧) ميزان الحكمة: ٢/ ٨٧٠.

دعاء السجاد لدفع البلاء

في كتاب بشائر المصطفى عن زين العابدين عليه السلام قال: لم أرَ مثل التقدّم في الدّعاء وكان ممّا حفظ عنه عليه السلام من الدعاء حين بلغه توجّه مسرف بن عقبة إلى المدينة: ربِّ كم من نعمة أنعمت بها عليَّ قلَّ لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قلَّ لك عندها صبري فيا من قلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني وقلَّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ويا ذا النعماء التي لا تُحصى عدداً صلِّ على محمّد وآل محمّد وادفع عنّي شرّه فإنّي أدرأ بك في نحره وأستعيذ بك من شرّه، فقدم مسرف بن عقبة المدينة وكان يقال لا يريد غير عليّ بن الحسين فسلّم عليه فأكرمه ووصله[١].

مسرف هو مسلم بن عقبة الذي بعثه يزيد لعنه الله لوقعة الحرّة حول المدينة فسمّي بعدها مسرفاً لإسرافه في إهراق الدماء، لأنّ يزيد أمره بنهب المدينة وإباحتها للجند ثلاثة أيّام، فأفسدوا فيها وأهرق الدماء حتّى جرت الدماء تحت المنبر، ثمّ لمّا رفع السيف عنهم أخذ عليهم البيعة ليزيد أنّهم عبيده وأموالهم وذراريهم ماله يتصرّف بهم كيف شاء من بيع وشراء، ومن أبى عن هذه البيعة قتله حتّى ورد أنّه أخذ البيعة على زين العابدين عليه السلام بمثل ذلك، وكانت هذه الواقعة على أهل المدينة وعلى الإسلام لا تقصر عن واقعة الطفوف لأنّهم استحلّوا بها فروج النساء وكانت بعد واقعة الطفوف[٢].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الدعاء شفاء من كلّ داء

عن ابن أبي عمير، عن أسباط بن سالم، عن علاء بن كامل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: عليك بالدعاء فإنّه شفاء من كلّ داء[٣].

من دعا استجيب له

عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الدعاء كهف الإجابة كما أنّ السحاب كهف المطر[٤].

وعن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) الصحيفة السجادية: ٣٦٥، والبحار: ٤٦/ ١٢٢ ح ١٣.
(٢) البحار: ٤٦/ ١٢٣ ح ١٤.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٠.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٧١.

قال: ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلّا استحيى الله أن يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضل رحمته مايشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يرد يده حتى يمسح على وجهه ورأسه[١].

إلهام الدعاء

عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال قال أبو عبد الله عليه السلام: هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا. قال: إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير[٢].

وعن أبي ولّاد قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلّا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلّا كان ذلك البلاء طويلا فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله[٣].

التقدم في الدعاء

عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء وقالت الملائكة: صوت معروف ولم يحجب عن السماء ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل به البلاء وقالت الملائكة إنّ ذا الصوت لانعرفه[٤].

وعن اسماعيل بن مهران، عن منصور بن يونس، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الدعاء في الرخاء يستخرج الحوائج في البلاء[٥].

وعن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من سرّه أن يستجاب له في الشدة فليكثر الدعاء في الرخاء[٦].

وعن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان جدي يقول: تقدموا في الدعاء فإنّ العبد إذا كان دعّاء فنزل به البلاء فدعا، قيل: صوت معروف وإذا لم يكن دعّاء فنزل به بلاء فدعا، قيل: أين كنت قبل اليوم[٧].

وعن الوشاء، عمّن حدثه عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: الدعاء بعد مايتزل البلاء لا ينتفع [به][٨].

---

(١) الكافي ٢/ ٤١٧ ح ٢، والبحار: ٨٢/ ١٩٨ ح ٣.
(٢) الكافي: ٢/ ٤١٧ ح ١، ووسائل الشيعة: ٧/ ٤٤ ح ٢.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٧١.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٧٢.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٧٢ ح ٣، ووسائل الشيعة: ٧/ ٤١ ح ٢.
(٦) الكافي: ٢/ ٤٧٢ ح ٤، وكشف الغطاء: ٢/ ٣٠٧.
(٧) الكافي: ٢/ ٤٧٢ ح ٥، ووسائل الشيعة: ٧/ ٤١ ح ٤.
(٨) الكافي: ٢/ ٤٧٢.

وعن عنبسة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من تخوّف [من] بلاء يصيبه فتقدّم فيه بالدعاء لم يره الله ذلك البلاء أبداً[١].

اليقين في الدعاء

عن ابن أبي عمير، عن سليم الفرّاء، عمّن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دعوت فظن أنّ حاجتك بالباب[٢].

الإقبال على الدعاء

عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لايقبل الله دعاء قلب لاه. وكان علي عليه السلام يقول: إذا دعا أحدكم للميت فلا يدعو له ولبه لاه عنه ولكنه ليجتهد له في الدعاء[٣].

وعن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن سليمان بن عمرو قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله لايستجيب دعاء بظهر قلب ساه فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالإجابة[٤].

ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسقى الناس حتى قالوا: إنّه الغرق ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ببده وردّها: اللهم حوالينا ولا علينا قال فتفرق السحاب ـ فقالوا: يارسول الله استسقيت لنا فلم نسق ثمّ استسقيت لنا فسقينا؟ قال: إني دعوت وليس لي في ذلك نيّة ثمّ دعوت ولي في ذلك نيّة[٥].

الإلحاح في الدعاء

عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله عبداً طلب من الله حاجة فألحّ في الدعاء استجيب له أو لم يستجب له وتلا هذه الآية **﴿وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّاً﴾**[٦] [٧].

عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن محمّد بن مروان، عن الوليد بن عقبة الهجري قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله لايلحُّ عبد مؤمن على الله في حاجته إلّا قضاها له[٨].

وعن أبي الصباح، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في

---

(١) عوالي اللئالي ٤/ ٢٠، والبحار: ٩٠/ ٣٣٩.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٧٣.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٣ ح ٢، والبحار: ٩٠/ ٣١٤ ح ١٩.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٧٣ ح ١، والبحار: ٩٠/ ٣٠٥ ح ١.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٧٤.
(٦) سورة مريم، الآية: ٤٨.
(٧) الكافي: ٢/ ٤٧٥ ح ٦.
(٨) الكافي: ٢/ ٤٧٥.

المسألة وأحبّ ذلك لنفسه، إنّ الله يحبّ أن يسأل ويطلب ما عنده[١].

وعن ابن أبي عمير، عن الحسين الأحمسي، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لاوالله لايلحّ عبدٌ على الله إلّا استجاب الله له[٢].

تسمية الحاجة في الدعاء

عن ابن أبي عمير، عن أبي عبد الله الفرّاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يعلم مايريد العبد إذا دعاه، ولكنّه يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج فإذا دعوت فسمّ حاجتك.

وفي حديث آخر قال: إنّ الله يعلم حاجتك وما تريد ولكن يحبّ أن تبثّ إليه الحوائج[٣].

إخفاء الدعاء

عن أبي همام اسماعيل بن همام، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: دعوة العبد سرّاً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية.

وفي رواية أخرى: دعوة تخفيها أفضل عند الله من سبعين دعوة تظهرها[٤].

الثناء قبل الدعاء

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: آيتان في كتاب الله أطلبهما فلا أجدهما قال: وما هما؟

قلت: قول الله: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[٥] فندعوه ولا نرى إجابة قال: أفترى الله أخلف وعده؟

قلت: لا. قال: فمّ ذلك؟

قلت: لا أدري. قال: لكني أخبرك من أطاع الله فيما أمره ثمّ دعاه من جهة الدعاء أجابه قلت: وما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ثمّ تشكره ثمّ تصلي على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ تذكر ذنوبك فتقر بها ثمّ تستعيذ منها فهذا جهة الدعاء ثمّ قال: وما الآية الأخرى قلت: قول الله: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾[٦] وإني أنفق ولا أرى خلفا قال: أفترى الله أخلف وعده؟

قلت: لا. قال: فمم ذلك؟

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٧٥ ح ٤، والبحار: ٧٥/ ١٧٣ ح ١٤.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٧٥.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٧٦.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٧٦ ح ١، ووسائل الشيعة: ٧/ ٦٤ ح ٢.
(٥) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٩.

قلت: لا. أدري قال: لو أنّ أحدكم اكتسب المال من حلّه وأنفقه في حلّه لم ينفق درهماً إلّا أُخلف عليه[١].

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما هي المدحة ثمّ الثناء ثمّ الإقرار بالذنب ثمّ المسألة إنّه والله ماخرج عبد من ذنب إلّا بالإقرار[٢].

وعن أبي كهمس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: دخل رجل المسجد فابتدأ قبل الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: عاجل العبد ربه، ثمّ دخل آخر فصلى وأثنى على الله وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله: سل تعطه، ثمّ قال: إنّ في كتاب علي عليه السلام أنّ الثناء على الله والصلاة على رسوله قبل المسألة وأنّ أحدكم ليأتي الرجل يطلب الحاجة يحب أن يقول له خيراً قبل أن يسأله حاجته[٣].

وعن الحارث بن المغيرة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إيّاكم إذا أراد أحدكم أن يسأل من ربّه شيئاً من حوائج الدنيا والآخرة حتى يبدأ بالثناء على الله والمدح له والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثمّ يسأل الله حوائجه[٤].

العموم في الدعاء

عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دعا أحدكم فليعمّ فإنّه أوجب للدعاء[٥].

الاجتماع في الدعاء

عن درست بن أبي منصور، عن أبي خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من رهط أربعين رجلا اجتمعوا فدعوا الله في أمر إلّا استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا أربعين فأربعة يدعون الله عشر مرات إلّا استجاب الله لهم، فإن لم يكونوا أربعة فواحد يدعو الله أربعين مرّة يستجيب الله العزيز الجبار له[٦].

وعن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما اجتمع أربعة رهط قط على أمر واحد فدعوا الله إلّا تفرقوا عن إجابة[٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثمّ دعا وأمّنوا[٨].

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٨٦ ح ٨.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٨٤.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٨٥ ح ٧.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٨٤ ح ١.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٨٧.
(٦) الكافي: ٢/ ٤٨٧.
(٧) الكافي: ٢/ ٤٨٧ ح ٢، ووسائل الشيعة: ٧/ ١٠٤ ح ٢.
(٨) الكافي: ٢/ ٤٨٧ ح ٣، والبحار: ٤٦/ ٢٩٧ ح ٢٨.

الصلاة على النبي وأهل بيته في الدعاء

عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلّي على محمّد وآل محمّد[١].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على رأسه فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله رفع الدعاء[٢].

عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لاتجعلوني كقدح الراكب فإنّ الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء، إجعلوني في أوّل الدعاء وفي آخره وفي وسطه[٣].

عن أبان الأحمر، عن عبد السلام بن نعيم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي دخلت البيت ولم يحضرني شيءٌ من الدعاء إلّا الصلاة على محمّد وآل محمّد، فقال: أما انّه لم يخرج أحدٌ بأفضل ممّا خرجت منه[٤].

عن سيف عن أبي أُسامة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام ما معنى إجعل صلواتي كلّها لك؟ فقال: يقدّمه بين يدي كلّ حاجة فلا يسأل الله شيئاً حتى يبدأ بالنبي صلى الله عليه وآله فيصلّي عليه ثمّ يسأل الله حوائجه[٥].

الدعاء للإخوان بظهر الغيب

عن درست بن أبي منصور، عن أبي خالد القماط قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أسرع الدعاء نجحا للإجابة دعاء الاخ لأخيه بظهر الغيب يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به آمين ولك مثلاه[٦].

وعن ابن أبي عمير، عن أبي المعزا، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوشك دعوة وأسرع إجابة دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب[٧].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب يدرُّ الرزق ويدفع المكروه[٨].

وعن علي، عن أبيه قال: رأيت عبد الله بن جندب في الموقف فلم أر موقفاً أحسن من موقفه مازال ماذاً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خدّيه حتى تبلغ الأرض فلمّا صدر الناس قلت له: يا أبا محمّد ما رأيت موقفاً قطّ أحسن من موقفك قال: والله مادعوت إلّا لإخواني وذلك أنّ أبا الحسن

---

(١) الكافي: ٢/ ٤٩١ ح ١.
(٢) الكافي: ٢/ ٤٩١ ح ٢.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٩٢ ح ٥.
(٤) الكافي: ٢/ ٤٩٤ ح ١٧.
(٥) الكافي: ٢/ ٤٩٢ ح ٤.
(٦) الكافي: ٢/ ٥٠٧.
(٧) الكافي: ٢/ ٥٠٧.
(٨) الكافي: ٢/ ٥٠٧.

موسى عليه السلام أخبرني: إنّ من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف فكرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا[١].

وعن ثوير قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير قد أعطاك مثلى ما سألت له وأثنى عليك مثلَى ما أثنيت عليه ولك الفضل عليه وإذا سمعوه يذكر أخاه بسوء ويدعو عليه قالوا له: بئس الأخ أنت لأخيك كفّ أيّها المستّر علىٰ ذنوبه وعورته واربع علىٰ نفسك واحمد الله الذي ستر عليك واعلم أنّ الله أعلم بعبده منك[٢].

الدعاء على العدو

عن إسحاق بن عمار قال: سكوت إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام جاراً لي وما ألقى منه، قال: فقال لي: أدع عليه قال: ففعلت فلم أر شيئاً فعدت إليه فشكوت إليه فقال لي: أدع عليه قال: فقلت: جعلت فداك قد فعلت فلم أر شيئاً، فقال: كيف دعوت عليه؟ فقلت: إذا لقيته دعوت عليه قال: فقال: ادع عليه إذا أدبر وإذا استدبر ففعلت فلم ألبث حتى أراح الله منه[٣].

وعن يونس بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لي جاراً من قريش من آل محرز قد نوّه باسمي وشهرني كلما مررت به قال: هذا الرافضي يحمل الأموال إلىٰ جعفر بن محمّد، قال فقال لي: فادع الله عليه إذا كنت في صلاة الليل وأنت ساجد في السجدة الأخيرة من الركعتين الأوليين فاحمد الله ومجده وقل: «اللّهمّ إنّ فلان بن فلان قد شهرني ونوه بي وغاظني وعرضني للمكاره، اللّهمّ اضربه بسهم عاجل تشغله به عني، اللّهم وقرّب أجله واقطع أثره وعجّل ذلك يا رب الساعة الساعة» قال: فلمّا قدمنا الكوفة قدمنا ليلاً فسألت أهلنا عنه قلت: ما فعل فلان؟ فقالوا: هو مريض، فما انقضى آخر كلامي حتى سمعت الصياح من منزله وقالوا قد مات[٤].

وعن علي بن أسباط عن يعقوب بن سالم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له العلاء بن كامل: إنّ فلاناً يفعل بي ويفعل فإن رأيت أن تدعو الله فقال: هذا ضعف بك قل: «اللّهمّ إنّك تكفى من كل شيء ولا يكفي منك شيء فاكفني أمر فلان بم شئت وكيف شئت ومن حيث شئت وأنّى شئت»[٥].

وعن المسمعي قال: لما قتل داود بن علي المعلى بن خنيس قال أبو عبد الله عليه السلام: لأدعون الله علىٰ من قتل مولاي وأخذ مالي، فقال له داود بن علي: إنّك لتهددني بدعائك؟

---

(١) الكافي: ٢/٥٠٨.
(٢) الكافي: ٢/٥٠٨.
(٣) الكافي: ٢/٥١١ ح١.
(٤) الكافي: ٢/٥١٢.
(٥) الكافي: ٢/٥١٢.

قال حماد: قال المسمعي: فحدثني معتب: أنّ أبا عبد الله عليه السلام لم يزل ليلته راكعاً وساجداً فلما كان في السحر سمعته يقول وهو ساجد: «اللّهمّ إني أسألك بقوتك القوية وبجلالك الشديد الذي كل خلقك له ذليل أن تصلي علىٰ محمّد وأهل بيته وأن تأخذه الساعة الساعة» فما رفع رأسه حتى سمعنا الصيحة في دار داود بن علي فرفع أبو عبد الله عليه السلام رأسه وقال: إني دعوت الله بدعوة بعث الله عليه ملكاً فضرب رأسه بمرزنة من حديد انشقت منها مثانته فمات[١].

وروي عن أبي الحسن عليه السلام قال: إذا دعا أحدكم علىٰ أحد فليقل: اللّهم أطرقه ببلية لا أخت لها وأبح حريمه[٢].

الدعاء للرزق

عن ابن عمير، عن أبان، عن أبي سعيد المكاري وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: علّم رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدعاء: «يا رازق المقلّين يا راحم المساكين يا ولي المؤمنين ياذا القوة المتين صلّ علىٰ محمّد وأهل بيته وارزقني وعافني واكفني ما أهمّني»[٣].

وعن معمر بن خلّاد، عن أبيالحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: نظر أبو جعفر عليه السلام إلىٰ رجل وهو يقول: «اللّهمّ إنّي أسألك من رزقك الحلال» فقال أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت النبيّين قل: «اللّهمّ إني سألتك رزقاً [حلالاً] واسعاً طيباً من رزقك»[٤].

وعن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: قلت للرضا عليه السلام جعلت فداك أدع الله أن يرزقني الحلال فقال: أتدري ما الحلال؟.

قلت: الذي عندنا الكسب الطيب.

فقال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: الحلال هو قوت المصطفين ثمّ قال: أسألك من رزقك الواسع[٥].

وعن ابن فضال، عن يونس، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لقد استبطأت الرزق، فغضب ثمّ قال لي: قل اللّهمّ إنّك تكفّلت برزقي ورزق كلّ دابّة يا خير مدعوّ ويا خير من أُعطى ويا خير من سئل ويا أفضل مرتجى إفعل بي كذا وكذا[٦].

وعن إبراهيم بن عمر اليماني، عن زيد الشحام، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ادع في طلب الرزق في المكتوبة وأنت ساجد: يا خير المسؤولين ويا خير المعطين ارزقني وارزق عيالي من فضلك الواسع فإنّك ذو الفضل العظيم[٧].

---

(١) الكافي: ٢/ ٥١٣.
(٢) الكافي: ٢/ ٥١٢ ح٢.
(٣) الكافي: ٢/ ٥٥٢.
(٤) الكافي: ٢/ ٥٥٢.
(٥) الكافي: ٢/ ٥٥٢.
(٦) الكافي: ٢/ ٥٥١.
(٧) الكافي: ٢/ ٥٥١.

أحوال أولاد الإمام السجاد عليه السلام

قال في تاج المواليد: كان له تسعة أولاد ذكور ولم يكن له أنثى.

وهم محمد الباقر، وزيد الشهيد بالكوفة، وعبد الله، وعبيد الله، والحسن، والحسين، وعلي، وعمر[١].

وقيل أولاده: محمد وكنيته أبو جعفر الباقر عليه السلام، وعبد الله والحسن والحسين وزيد وعمر والحسين الأصغر وعبد الرحمٰن وسليمان وعلي وخديجة ومحمد وفاطمة وعليّة وأم كلثوم[٢].

وقيل: كان له من الأولاد عشر رجال وأربع نسوة.

وفي كتاب الدرّ ولد عليّ بن الحسين عليه السلام خمسة عشر ولداً ثمّ عدّدهم والإختلاف كثير في تعدادهم[٣].

ويقال إنّ قريشاً رغبت في أمهات الأولاد واتّخاذهن بعد زَهَادةٍ فيهن حيث ولد عَلي بن حسين، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر، وسَالم بن عَبْد الله بن عمر[٤].

وفي كتاب المناقب أبناؤه عشر من أُمّهات الأولاد إلاّ إثنين محمّد الباقر وعبد الله الباهر أُمّهما أُمّ عبد الله بن الحسن بن علي، وأبو الحسين زيد الشهيد بالكوفة وعمر توأم، والحسين الأصغر وعبد الرحمٰن وسليمان توأم، والحسن والحسين وعبيد الله توأم، ومحمّد الأصغر فرد وعلي وهو أصغر ولده وخديجه فرد.

ويُقال لم يكن له بنت ويُقال ولدت له فاطمة وعليّة وأُمّ كلثوم.

أعقب منهم محمّد الباقر وعبد الله الباهر وزيد بن علي وعمر بن عليّ وعليّ بن عليّ والحسن الأصغر[٥].

أحوال زيد بن علي

في كتاب المحاسن روى السيّاري عن رجل من أصحابه قال: ذكر بين يدي أبي عبد الله عليه السلام من خرج من آل محمّد فقال عليه السلام: لا أزال وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمّد ولوددتُ أنّ الخارجي من آل محمّد وعليّ نفقة عياله[٦].

---

(١) تاج المواليد: ٣٨، وذكر المصنف تسعة وعدد ثمانية! انظر: تاريخ ابن الخشاب: ١٨٠.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٣٩ بما معناه. (٣) البحار: ٤٦/ ١٥٥ ح٣.
(٤) تهذيب الكمال: ١٣/ ٢٤٠. (٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣١١.
(٦) السرائر: ٣/ ٥٦٩، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٥٤ ح١٢.

إنّ كلّ من خرج على بني أُميّة وبني العبّاس من آل محمّد كان محقّاً في خروجه وتوجهه ما قاله نعمة الله الجزائري في الرياض: أنّ من خرج إن كان مثل زيد فهو كما جاء مستفيضاً في الأخبار إنّما دعى إلى أخذ الثأر وإلى الرضا من آل محمّد بأن يرجع الأمر إلى أهله وإن كان طالباً للخلافة فهو أحقّ منهم بها، لأنّ فيه مع الأخذ بالثأر كفّ أيديهم وظلمهم عن الأُمّة.

وأمّا نهي الأئمّة عليهم السلام لهم عن الخروج فباعتبار ما علموا من عدم تمام الأمر في خروجهم لأنّ بني أُميّة كانت مدّة دولتهم ثمانين سنة وكانوا فيها كما قال عليه السلام: لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله بزوال ملكهم فيكون ذلك النهي اتّقاء على الخارجين ويجوز أن يكون تقيّةً من خلفاء الجور لأنّهم يزعمون أنّ الأئمّة عليهم السلام يأمرونهم بالخروج عليهم[١].

في كتاب الأمالي عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام إنّه أقبل زيد بن علي فلمّا نظر إليه أبو جعفر عليه السلام وهو مقبل قال: هذا سيّد من أهل بيته والطالب بأوتارهم لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد[٢].

وعن أبي سيابة قال: دفع إليّ الصادق عليه السلام ألف دينار أمرني أن أقسمها في عيال مَن أصيب مع زيد بن عليّ فقسّمتها فأصاب كلّ واحد أربعة دنانير[٣].

وفي ذلك الكتاب عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن آباته عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام: يا حسين يخرج من صلبك رجل يُقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجّلين يدخلون الجنّة بلا حساب[٤].

وفي عيون الأخبار مسنداً إلى الفضيل قال: إنتهيت إلى زيد بن علي صبيحة خرج بالكوفة فقال: من يعينني على قتال أنباط الشام فأدخله الجنّة بإذن الله، فلمّا قُتل توجّهت نحو المدينة فدخلت على الصادق عليه السلام فقال: يا فضيل ما فعل عمّي زيد؟ قال: فخنقتني العبرة فقال لي: قتلوه؟

قلت: أي والله.

قال: فصلبوه؟

قلت: أي والله، فأقبل يبكي فقال: شهدت مع عمّي قتال أهل الشام؟.

قلت: نعم.

قال: كم قتلت منهم؟

قلت: ستّة.

---

(١) رياض الأبرار، مخطوط.
(٢) أمالي الصدوق: ٤١٥ ح١١، والبحار: ٤٦/ ١٧٠ ح١٧.
(٣) أمالي الصدوق: ٤١٦ ح١٣، وكشف الغمة: ٢/ ٣٤٢.
(٤) أمالي الصدوق: ٤٠٩ ح٩، والبحار: ٤٦/ ١٧٠ ح١٩.

قال: فلعلّك شاكّ في دماتهم؟

فقلت: لو كنت شاكّاً ما قتلتهم، فسمعته وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمّي زيد وأصحابه شهداء مثل ما مضى عليه عليّ بن أبي طالب وأصحابه[١].

وعن حمزة بن حمران قال: دخلت إلى الصادق عليه السلام فقال لي: يا حمزة من أين أقبلت؟

قلت: من الكوفة، فبكى، ثمّ قال: ذكرت ما صنع بعمّي زيد ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاء ابنه يحيى فقال له: ابشر يا أبتاه فإنّك ترد على رسول الله وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم قال: أجل يا بُني ثمّ دعى بحدّاد فنزع السهم فكانت نفسه معه فجيء به إلى ساقية تجري فحفر له فيها ودفن وأجرى عليه الماء وكان معهم غلام سندي لبعضهم فذهل إلى يوسف بن عمر من الغد فأخبره بدفنهم إيّاه فأخرجه فصلبه في الكناسة أربع سنين ثمّ أمر به فأحرق بالنار وذرى في الرياح فلعن الله قاتله وخاذله وإلى الله أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيّه بعدموته وبه نستعين[٢].

وعن ابن عبدون عن أبيه قال: لمّا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العبّاس وهب المأمون جرمه لأخيه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن عليّ فقتل ولولا مكانك منّي لقتلته فليس ما أتاه بصغير.

فقال عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيد بزيد بن عليّ بن الحسين فإنّه كان من علماء آل محمّد غضب لله عزّ وجلّ فجاهد أعداءه حتّى قُتل في سبيله وكان عمّي جعفر عليه السلام يقول: رحم الله عمّي زيد إنّه دعى إلى الرضا من آل محمّد ولو ظفر لوفى بما دعى إليه وقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلمّا ولّى قال جعفر بن محمّد: ويلٌ لمن سمع واعيته فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمام بغير حقّها ما جاء؟

فقال عليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ وأنّه كان أنقى من ذاك إنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد وإنّما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه ثمّ يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممّن خوطب بهذا الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾[٣].

وعن أبي سعيد المكاري قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر زيد ومن خرج معه فهمّ بعض أهل المجلس أن يتناوله فانتهره أبو عبد الله عليه السلام وقال: مهلاً ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلاّ

(١) عيون أخبار الرضا: ٢/٢٢٨ ح٧، والبحار: ٤٦/ ١٧١.
(٢) البحار: ٤٦/ح٢٢، والنهاية لابن الأثير: ٤/ ١٢٢.
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

بسبيل خير إنّه لم تمت نفس منّا إلاّ وتدركه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق ناقة يعني مقدار ضمان حلبها[١].

وعن مؤمن الطاق: إنّ زيد بن عليّ بن الحسين بعث إليه وهو مختف قال: فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول إن طرقك طارق منّا أتخرج معه؟

قال: إن كان أبوك أو أخوك خرجت معه.

فقال: أنا أريد أن أخرج فتخرج معي؟

قلت: لا، جعلت فداك إنّما هي نفس واحدة فإن كان لله عزّ وجلّ في الأرض معك حجّة فالمتخلّف عنك ناج والخارج معك هالك وإن لم يكن لله معك حجّة فالمتخلّف عنك والخارج سواء.

ثمّ قال: كنت أجلس مع أبي إلى الخوان فيلقمني اللقمة السمينة ويبرّد لي اللقمة الحارّة حتّى تبرد شفقة عليّ ولم يشفق عليّ من حرّ النار إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به.

فقلت له: من شفقته عليك من حرّ النار لم يخبرك خاف عليك أن لا تقبله فتدخل النار وأخبرني فإن قبلته نجوت وإن لم أقبل لم يبال إن أدخل النار.

ثمّ قلت له: أنتم أفضل أم الأنبياء؟

قال: بل الأنبياء، قلت: لِمَ يقول يعقوب ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً﴾[٢] لِمَ لم يخبرهم حتّى لا يكيدونه ولكن كتمهم وكذلك أبوك كتمك لأنّه خاف عليك.

فقال: أما والله قلت ذلك لقد حدّثني صاحبك بالمدينة إنّي أُقتل وأُصلب بالكناسة وأنّ عنده لصحيفة فيها قتلي وصلبي فحدّثت أبا عبد الله عليه السلام بمقالة زيد وما قلت له فقال لي: أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ولم تترك له مسلكاً يسلكه[٣].

عن أبي اليقظان قال: كنّا جماعة عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: أيّكم له علم بعمّي زيد؟ إلى أن قال: مسجد السهلة كان بيت إبراهيم الذي خرج منه إلى العمالقة وكان بيت إدريس عليه السلام: الذي كان يخيط به وفيه صخرة خضراء فيها صورة وجوه النبيّين، وفيه مناخ الراكب يعني الخضر عليه السلام، ولو أنّ عمّي أتاه حين خرج فصلّى فيه واستجار بالله لأجاره عشرين سنة، وما أتاه مكروب فصلّى فيه ما بين العشائين ودعى الله إلاّ فرّج عنه[٤].

---

(١) معاني الأخبار: ٣٩٢ ح٣٩، والبحار: ٤٦/ ١٧٩ ح٣٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥.

(٣) مستدرك الوسائل: ١١/ ٣٣ ح١، ومدينة المعاجز: ٥/ ٢٧٤.

(٤) مستدرك الوسائل: ٣/ ٤١٤ ح٢، والبحار: ٤٦/ ١٨٢ ح٤٥.

وعن الوليد بن صبيح قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام في ليلة إذ طرق الباب طارق فخرجت الجارية وقالت: هذا عمّك عبد الله بن علي فقال: أدخليه، فقال لنا: أدخلوا البيت فدخلنا بيتاً، فلمّا دخل لم يدع شيئاً من القبيح إلاّ قاله في أبي عبد الله عليه السلام ثمّ خرج وخرجنا فأقبل يحدّثنا من الموضع الذي قطع كلامه فقال بعضنا: لقد استقبلك هذا بشيء حتّى لقد همَّ بعضنا أن يخرج إليه فيوقع به.

فقال: مه لا تدخلوا فيما بيننا، فلمّا مضى من الليل ما مضى طرق الباب طارق فخرجت الجارية وقالت: عمّك عبد الله بن عليّ.

فقال لنا: عودوا إلى مواضعكم ثمّ أذِن له فدخل بنحيب وبكاء وهو يقول: يابن أخي إغفر لي غفر الله لك إصفح عنّي صفح الله عنك.

فقال: غفر الله لك يا عمّ ما الذي أحوجك إلى هذا؟

قال: إنّي لمّا آويت إلى فراشي أتاني رجلان أسودان فشدّا وثاقي ثمّ قال أحدهما للآخر: إنطلق به إلى النار فانطلق بي فمررت برسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله لا أعود فامرهما فخلّى عنّي وأنّي لأجد ألم الوثاق، فقال عليه السلام: أوص، قال: بما أوصي ما لي مال وأنّ لي عيالاً كثيراً وعليّ دين.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: دينك عليّ وعيالك إلى عيالي فأوص، فما خرجنا من المدينة حتّى مات وضمّ أبو عبد الله عليه السلام عياله إليه وقضى دينه وزوّج ابنه ابنته[1].

أسباب خروج زيد بن عليّ

قال السيد نعمة الله الجزائري في الرياض: ورد في الأخبار أنّ السبب في خروج زيد أمور:

الأوّل: إنّه كان يدعو إلى الرضا من آل محمّد وكان يعتقد ويعلم أنّ الإمام كان أخوه ثمّ من بعده ابن أخيه وكان يريد له الخلافة التي كانت حقّه.

الثاني: الطلب بدم الحسين عليه السلام فإنّ تلك الواقعة الكبرى ما أبقت لأحد من بني هاشم ولا من غيرهم تمتّعاً في الحياة وكانوا يطلبون به الموت ويأسفون على ما فرط منهم من التقصير في الجهاد وهي الرزية التي أرغمت الأنوف وقرّبت الحتوف.

الثالث: إنّه دخل على هشام بن عبد الملك وقد جمع له أهل الشام وأمرهم أن يتضايقوا له في المجالس حتّى لا يتمكّن من الوصول إلى قربه فقال له زيد: أوصيك بتقوى الله، فقال له هشام: أنت

(١) مدينة المعاجز: ٦/ ٤٧ ح١٦٥، والبحار: ٤٦/ ١٨٥ ح٥٠.

المؤهّل نفسك للخلافة وما أنت وذاك لا أمّ لك وإنّما أنت ابن أمَة فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبيّ بعثه وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فالنبوّة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن عليّ بن أبي طالب فوثب هشام وقال لقهرمانه: لا يبيتنّ هذا في عسكري فخرج زيد وهو يقول: إنّه لم يكره قوم قط السيف إلاّ ذلّوا فلمّا وصل الكوفة بايعه أهلها ثمّ نقضوا بيعته وأسلموه فقُتل وصلب بينهم أربع سنين لم ينكر ذلك أحد منهم ولا دفع عنه بيد ولا لسان.

الرابع: إنّ هشاماً كان يستهزء بزيد بل روي أنّه قذفه بأُمّه حتّى أنّ السفّاح لمّا أخرج بني أُميّة من قبورهم لإحراق عظامهم أمر بجثّة هشام فضربوها حدّ القذف قال: إنّه قذف زيد بن علي ولم يحدّ.

الخامس: ما رواه الحميري في كتاب الدلائل عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا يخرج على هشام أحد إلاّ قتله فقلنا لزيد هذه المقالة فقال: إنّي شهدت هشاماً ورسول الله صلى الله عليه وآله يسبّ عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيّره فوالله لو لم يكن إلاّ أنا وآخر لخرجت عليه[1].

وفي كتاب أبي القاسم بن قولويه قال: روى بعض أصحابنا قال: كنت عند عليّ بن الحسين عليه السلام ولم يتكلّم حتّى تطلع الشمس فبشّروه بولادة زيد بعد صلاة الفجر فالتفت إلى أصحابه وقال: أيّ شيء أُسمّي هذا المولود؟

فقال كلّ رجل منهم اسماً فقال: يا غلام عليّ بالمصحف فوضعه في حجره ثمّ فتحه فنظر إلى أوّل الورقة وإذا فيه ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أجراً عَظِيماً﴾[2] ثمّ طبقه ثمّ فتحه فإذا في أوّل الورقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

ثمّ قال: هو والله زيد هو والله زيد فسمّي زيداً.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لزيد بن حارثة: المقتول في الله والمصلوب في أُمّتي والمظلوم من أهل بيتي سميّ هذا، ويقول له: يا زيد زاد اسمك عندي حبّاً فأنت سميّ الحبيب من أهل بيتي[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: أمّا الباكي على زيد فمعه في الجنّة وأمّا الشامت به فشريك في دمه[5].

---

(١) الكافي: ٨/ ٣٩٥ ح٥٩٣، والبحار: ٤٦/ ١٩٢ ح٩٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٤) السرائر: ٣/ ٣٣٨، والبحار: ٤٦/ ١٩٢ ح٥٧.
(٥) الغدير: ٣/ ٧٠.

وروى الكشّي عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: رحم الله عمّي زيداً ما قدر أن يسير بكتاب الله ساعة من نهار، يا سليمان ما كان عدوّكم عندكم؟ قلنا: كفّار، قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[1] فجعل المن بعد الإثخان، أسرتم قوماً ثمّ خلّيتم سبيلهم قبل الإثخان وإنّما جعل الله المن بعد الإثخان حتّى خرجوا عليكم من وجه آخر فقاتلوكم[2].

وعنه عليه السلام: رحم الله عمّي زيداً لو ظفر لوفى إنّما دعى إلى الرضا من آل محمّد وأنا الرضا[3].

وقال عليه السلام: إنّ الله عزّ ذكره أذِن في هلاك بني أُميّة بعد إحراقهم زيد بسبعة أيّام[4].

قال السيد نعمة الله الجزائري في الرياض: إنّ الأحاديث الناطقة بحسن حال زيد وأنّه من أهل السعادة وكان محقّاً في خروجه مستفيضة بل متواترة فلا ينبغي التعرّض له ولمن خرج بعده إلاّ بخير إلاّ أن يكون حاله ظاهراً كما سيأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى[5].

(١) سورة محمد، الآية: ٤.
(٢) البحار: ٤٦/ ١٩٦ ح٦٨.
(٣) شرح الأخبار: ٣/ ٢٨٧، والبحار: ٤٦/ ١٩٩.
(٤) الكافي: ٨/ ١٦١ ح١٦٥.
(٥) رياض الأبرار: مخطوط.

المحتويات

هو سيد الساجدين ٥
ذكر أمه عليها السلام ٧
برّ الإمام علي بن الحسين بأمّه عليها السلام ١١
ولادة علي بن الحسين عليه السلام ١١
في أنّه وارث أبيه عليه السلام ١٢
وفاته ودفنه عليه السلام ١٣
ألقاب وكنى علي بن الحسين عليه السلام ١٣
سبب تسميته بزين العابدين عليه السلام ١٥
علّة لقبه سيّد الساجدين ١٦
في نقش خاتم علي بن الحسين عليه السلام ١٦
فضل علي بن الحسين عليه السلام ١٦
مدح علي بن الحسين عليه السلام من الفرزدق ١٨
في أسرار علي بن الحسين عليه السلام ٢٣
كرامات علي بن الحسين عليه السلام ٢٤
ورع علي بن الحسين عليه السلام ٢٥
خوف علي بن الحسين عليه السلام من الله ٢٥
أخلاق علي بن الحسين عليه السلام ٢٥
كرم علي بن الحسين عليه السلام ٢٨
تصبّر علي بن الحسين عليه السلام في الشدائد ٢٩
حلم علي بن الحسين عليه السلام ٣٠
زهد علي بن الحسين عليه السلام وتواضعه ٣٢
مناجات الإمام السجاد عليه السلام ٣٣
علم علي بن الحسين عليه السلام بالغيب ٣٩

معاجز وكرامات علي بن الحسين عليه السلام ٤٢
خدمة الملائكة لعلي بن الحسين عليه السلام ٤٧
علي بن الحسين عليه السلام يكلم حوت يونس ٤٨
كلام علي بن الحسين عليه السلام للغزال ٤٩
كلام علي بن الحسين عليه السلام للجن ٤٩
علم علي بن الحسين عليه السلام بلغة الحيوانات ٤٩
معرفة علي بن الحسين عليه السلام بلغة الطيور ٥٠
إحياء علي بن الحسين عليه السلام لميت ٥٠
قدرة علي بن الحسين عليه السلام ٥٢
عبادة علي بن الحسين عليه السلام ٥٢
نقل علي بن الحسين عليه السلام الصدقات ليلاً ٥٧
قضاؤه عليه السلام حاجة الناس ٥٨
مداراة علي بن الحسين عليه السلام للناس ٥٩
رحمته عليه السلام بعبيده ٥٩
حزنه وبكاؤه على أبيه الحسين عليه السلام ٦٠
نصرة الملائكة لعلي بن الحسين عليه السلام ٦١
مواعظ الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ٦١
صفة الإمام السجاد عليه السلام ٦٧
وصية علي بن الحسين عليه السلام بناقته ٦٧
النص على الإمام علي بن الحسين عليه السلام ٦٨
بحث في الإمامة ٧١
كلام هشام بن الحكم في عصمة الإمام عليه السلام ٧٥
احتجاج الإمام الرضا على المخالفين في الإمامة ٧٩
عدم تأثير السحر والشعبذة وأمثالهما على الإمام ٨٣
الإمام وصفاته ٨٤
في أنّ السّنة وحدها لا تكون حجّة إلا بقيم ١١٨

ما نسب من الشعر لعلي بن الحسين عليه السلام ١٢٣
شهادة الإمام السجاد عليه السلام ١٢٩
حزن الناقة على علي بن الحسين عليه السلام ١٣١
فضل زيارة علي بن الحسين عليه السلام ١٣١
ذكر حال من عاصره من الملوك
والشخصيات ورجوعهم إليه ١٣٢
أصحاب علي بن الحسين عليه السلام ١٣٢
حال معاوية بن يزيد بن معاوية ١٣٣
شدّة عداوة بني أود لعلي وولده ١٣٤
بين زين العابدين ومحمد بن الحنفية عليهما السلام ١٣٥
بين علي بن الحسين عليه السلام وعبيد الله ١٣٦
بين علي بن الحسين عليه السلام ويزيد ١٣٦
بين علي بن الحسين عليه السلام والخضر ١٣٧
بين علي بن الحسين عليه السلام وعَبْد الملك بن مروان ١٣٨
بين علي بن الحسين عليه السلام وعمر بن عبد العزيز ١٣٨
بين علي بن الحسين عليه السلام والحسن البصري ١٣٩
بين علي بن الحسين عليه السلام والحجاج ١٣٩
بين حرة والحجاج ١٤١
أسلوب الدعوة عند علي بن الحسين عليه السلام ١٤٣
دعاء علي بن الحسين عليه السلام المستجاب ١٤٣
بحث حول الدعاء ١٤٤
المفهوم الحقيقي للدعاء ١٤٥
شروط استجابة الدعاء ١٤٦
فضل الدعاء ١٤٨
الدعاء سلاح المؤمن ١٤٨
الدعاء يرد البلاء والقضاء ١٤٩

دعاء السجاد لدفع البلاء ١٥٠
الدعاء شفاء من كلّ داء ١٥٠
من دعا استجيب له ١٥٠
إلهام الدعاء ١٥١
التقدم في الدعاء ١٥١
اليقين في الدعاء ١٥٢
الإقبال على الدعاء ١٥٢
الإلحاح في الدعاء ١٥٢
تسمية الحاجة في الدعاء ١٥٣
إخفاء الدعاء ١٥٣
الثناء قبل الدعاء ١٥٣
العموم في الدعاء ١٥٤
الاجتماع في الدعاء ١٥٤
الصلاة على النبي وأهل بيته في الدعاء ١٥٥
الدعاء للإخوان بظهر الغيب ١٥٥
الدعاء على العدو ١٥٦
الدعاء للرزق ١٥٧
أحوال أولاد الإمام السجاد عليه السلام ١٥٨
أحوال زيد بن علي ١٥٨
أسباب خروج زيد بن عليّ ١٦٢